الشيعة والتشيّع

فِرق وتاريخ

تأليف الأستاذ

إحسان إلهى ظهير

الناشر

إدارة ترجمان السُّنّة

٤٧٥ شادمان ، لاهور ، باكستان

الناشر
إدارة ترجمان السنة لاهور ـــ باكستان
المكتب الرئيسي : ٤٧٥- شادمان ، لاهور

توزيع

دار السلام
للنشر والتوزيع «قسم الجمله»
ص ب - ١٦٧٣٧
الرياض ١١٤٧٤

الطبعة العاشرة

١٤١٥هـ ــــ ١٩٩٥ء

طبع في ــــــ احمد پرنٹرز

إهـــداء

إلى كل من يريد معرفة الحق والحقيقة

من السنة أم من الشيعة ـــــــ !

المؤلف

فهرست الكتـــاب

الموضـــــــوع	الصفحة

الباب الثاني: التشيع والسبئية
٤٥ ـ ٧٧

الباب الثالث: الشيعة ومطاعنهم على ذي النورين والسبئية وفتنتهم أيامه
٧٩ - ١٣٤

الباب الرابع: تطور التشيع الأول. والشيعة الأولى. ودور السبئية بعد مقتل عثمان وأيام علي
١٣٥ ـ ١٦١

الباب الخامس: فرق الشيعة وتاريخها وعقائدها
١٦٣ ـ ٢٦٧

الباب السادس: الشيعة الاثنا عشرية
٢٦٩ ـ ٣٣٠

الباب السابع: الشيعة الاثنا عشرية والعقائد السبئية
٣٣١ ـ ٤٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمـد لله رب العـالمين، الـرحمن الـرحيم، مالـك يوم، الـدين والصلاة والسـلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى أهل بيته أمهـات المؤمنـين، وآلـه الغـر الميـامين، وأصحابه البررة المقربين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإننى بدأت فى جمع الكتب عن الإسـماعيليـة وللإسماعيلية بعد ما فرغت من كتـابى (الـبريلويـة ـ عقـائـد وتـاريـخ) واشتغلت فى ترتيب وتصفيف، ووضعت الخطـة، وخططت الخطـوط والتخطيـط للكتـابـة عنهم، وبـوّبت الأبـواب ورتبت الفصول، وجاوزت النصف من العمل حتى وصلتنى الـدعوة من الاخوة المخلصين، الغيورين لدين الله وحملته لزيارة أمريكا وإلقاء الخطب والمحاضرات فى عديد من ولاياتها، فى مراكز الطـلاب ومجـاميعهم، وأنديتهم ومحافلهم، أندية الطهارة ومحافل التقوى فى تلك البــلاد الكـافـرة المنحطـة، فى حضيض النجـاسـة والـرذالـة، كالبسـاتـين الـورديـة والأشجـار الـوارفة الظل واليانعة الأثمار فى صحراء عاطشـة حاميـة فيحـاء، والتى هى كمنـارة النـور فى ليلة ظلماء، مطـيرة حالكة سوداء.

الاخوة العرب المسلمون الذين ذهبوا الى تلك البقاع لطلب العلم بدءوا يعلمونهم العلم، علم الأخلاق وعلم الآداب وعلم الحضارة والثقافة، وعلم الروح علم القرآن وتعاليم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، واننى بعد ما رأيت وبعد ما شاهدت، رأيت التحمس لدين الله والعمل به والغيرة لحملته، أصحاب رسول الله وأسلاف هذه الأمة، وشاهدت العفاف والعفة والطهارة والتقوى، والمحافظة على الصلوات والخضوع والخشوع فيها، والتشوق والاستماع الى الأحاديث الدينية والكلمات العلمية والمحاضرات الاسلامية، وبصرت أنديتهم ومحافلهم. أيقنت أن الله سيعلى كلمته ويرفع رايته ويظهر دينه على الأديان كلها، وينشر صيت نبيه واسمه وذكره فى تلك البلاد النائية عن بلاد المسلمين، المترامية الأطراف. بهذا الجيل الميمون المبارك، وتيقنت بأنهم هم الذين قال فيهم وفى أنديتهم الشاعر العربى القديم:

وفيهم مقامات حسان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعل
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم   مجالس قد يشفى بأحلامها الجه

فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمراتهم وحاضرت فى مجمعاتهم، فتطرقت إلى مواضيع كثيرة وتكلمت فى مطالب شتى ومسائل عديدة مختلفة، والكلام ذو شجون وألوان، والحديث ذو جوانب وأطراف، وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه ومبناه، وحول الفرق التى حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت وتفرقت، وذهب بعضها بعيدا فى التفريق والاختلاف كما قرب البعض منها. ومن بين الفرق التى ذهبت إلى الشأو البعيد، واختلفت مع الأمة اختلافا جذريا وفى الأصول والأساس، الشيعة، فكثر الكلام وكثرت

الأسئلة ثم الأجوبة عليها. وكانت كتبى الثلاثة عن هذه النحلة فى متناول الكثيرين من الطلاب والمستمعين والحضار فى تلك المجالس، ولذلك كان البحث جدّيا والأسئلة فى صميم الموضوع. والرحى كانت تدور على عقائد القوم ومعتقداتهم التى كشفت النقاب عنها، وعن تاريخ هذه الطائفة ومنشئها والتطورات التى طرأت عليها والفرق التى تفرعت عنها واقتناع الاخوة بما ذكرته فى كتبى من عقائد القوم والاكتفاء بها والاحتياج الشديد الى معرفة تاريخ القوم ومنشئهم، والتغيرات التى وقعت حتى جعلتهم يبعدون كل هذا البعد عن الجماعة والأمة، وكان ينتهى الكلام والجلسات على مطالبات وضع الكتاب فوريا فى ذلك الخصوص ليكمل البحث ويتم الموضوع، ومادام يكتب الكتاب عن التاريخ والتطورات والمنشأ فلازم أن يشمل الفرق التى انبثقت من التشيع، فرجعت من تلك البلاد وأنا مقتنع بقضاء ما طلبوا، ومصمم على ما أظهروا الاحتياج إليه، فلم أصل الى بلادى فى السادس والعشرين من سبتمبر إلا وقد اشتغلت فى هذا الموضوع مؤجلا كتابتى فى الإسماعيلية مع شدة حرصى على اكمالها واتمامها، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولكل شى أجل.

فصرفت فيه جدّى وجهدى ولم أعمل شيئا فى هذه المدة كلها ليلها ونهارها إلا البحث والتنقيب والترتيب والتسويد والتبييض فى هذا.

اللهم إلا الخطب والمحاضرات فى المدن المختلفة فى باكستان، المجاورة للاهور والبعيدة عنها، والتى هى لازمتنى ولاحقتنى كل حين وكل آن وكل ظرف وكل مكان، ولا ولم ولعلى لن استطيع التخلص عنها رغم تهربى وفرارى فى الآونة الأخيرة لكثرة ملاحقتها لى وتسلطها على ومطاردتها أياى ولزومها لى، ولكثرة العناء والأسفار والمشقة، وقلة الراحة

والطمأنينة، والسكون القلبى والذهنى والفكرى فى سبيلها

فأحمد الله على إنعامه علىّ بأنى استطعت حسب مقدورى وطاقتى وقدر استطاعتى وبضاعتى أن أكمل البحث فى هذا، ولعله يستفيد منه القارىء ويستمتع به الناظر، ويسر به الباحث ويفرح به المؤرخ، لأنه قلما كتب عن الشيعة والتشيع بالترتيب التاريخى، والتسلسل الزمنى، بتنقية المطالب والمباحث من الأغراض والأهداف المشبوهة وبتصفيتها من القصص والأساطير، ومن النسيج المدسوس المدخول.

كما ندر من نبّه على تطور التشيع الأول وتقلب الشيعة الأولى والأسباب والحوادث التى سببت هذا التغير والتبديل. اللهم إلا بعض الاشارات التى وجدت فى كتب الفرق، الاشارات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع.

فنحن بدأنا الكتاب ببيان بدء التشيع ونشأته وبيان الشيعة الأولى.

ثم عقبنا ذلك الباب بالباب الثانى بينّا فيه السبئية ومؤسسها عبد الله بن سبأ وأفكاره وعقائده التى أراد ترويجه بين الشيعة الأولى، وبينّا مع ذلك الفضائح والقبائح التى ارتكبها هو وأنصاره وأعوانه والمخدعون به والواقعون فى حبائله، وبما قاموا من السعى بالفتنة والفساد والأحداث التى حدثت بسبب مؤامراتهم ومخططاتهم.

كما بينّا فى الباب الثالث اندماج السبئية فى صفوف الشيعة وإيقاع بعضهم فى شراكهم وفخهم فى خلافة علىّ، ومحاربة علىّ رضى الله عنه أفكار هؤلاء، ومحاولته منع شيعته من الركون إليهم وإلى عقائدهم، كما يتضمن هذا الباب وقائع حرب الجمل وصفين خالية من الأباطيل

ومتضمنة الحقائق التى طالما خفيت على الكثيرين من الناس وحتى السنة، ولعله أول مرة بهذا الوضوح والتفصيل.

ثم ذكرنا فى الباب الرابع تطور التشيع الأول وتبديل الشيعة الأولى وتسلط السبئيين على التشيع وغلبتهم على الشيعة ومقاومة الحسن أفكارهم وعقائدهم، ثم حدوث بعض فرق الشيعة الأخرى المتطرفة عنهم، ثم ذكرنا وقائع شهادة الحسين بالاختصار، والنتائج التى نتجت بعد هذه الشهادة، وتطور التشيع من الفكر السياسى إلى الفكر الدينى، وتغير الشيعة من الحزب السياسى إلى الحزب المذهبى.

وفى الباب الخامس ذكرنا ببعض الاختصار وبعض التفصيل أهم فرق الشيعة التى حدثت فى مختلف الأيام والعهود، وزمن أولاد علي بن أبى طالب العشرة منهم، ومعتقداتهم ومختصر عقائدهم.

والجدير بالذكر أننا لم نذكر فرقة منهم لم تذكر فى كتب القوم وذكرت فى كتب السنة، فمدارنا ومعولنا واعتمادنا لم يكن إلا على كتب القوم أنفسهم كى لا يقول قائل: قيل عنا ولم نقله، بل عكس ذلك نقول: قلتم فنقلناه.

وأما الباب السادس فخصصناه لذكر الفرقة الاثنى عشرية أو الإمامية، وهى الفرقة الموجودة حاليا فى العالم الإسلامى بكثرة، وهى التى يطلق عليها اسم الشيعة، ولا يقصد عند اطلاقه أحد غيرهم. ثم ذكرنا فى ذلك الباب وجهة نظر الشيعة تجاه إمامهم الثانى عشر أمولود وغائب، أو موهوم ومعدوم؟.

وضمن ذلك بيّنا عقيدتهم فى الإمامة وشروط الإمام التى تلزمه مع بيان فرق الاثنى عشرية التى انبثقت منها مع ادعاء كل واحدة منها كونها من الاثنى عشرية أو الإمامية أو الجعفرية.

والباب الأخير خصصناه لبيان الروابط العقائدية التى تربطها بالعقائد السبئية، المنقولة من اليهودية والمأخوذة منها. وبهذا لقد أوشكنا على الانتهاء من هذا الموضوع حيث تكمل(١) الكتب التى ألفناها فى الشيعة بهذا الكتاب، ولعلنا لا نكون مخطئين ولا مبالغين عندما نقول ان هذه الكتب الأربعة تغنى الكثيرين من الناس فى معرفة الشيعة والتشيع، ومن كتبهم أنفسهم، ومعرفة عقائدهم وتاريخهم وفرقهم، وحتى الشيعة أنفسهم يجدون فيها ما يدعوهم إلى التفكير والتعقل والتبصر ودقة النظر لتمييز الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

وألفت أنظار القراء والباحثين إلى أننا حاولنا فى كتابنا هذا كدأبنا

(١) هذا حسب ظننا وإلا فالاحتياج لكشف الحقائق الى كتب كثيرة، لا كما كنا نتوقع سابقا بأن المختصرين يكفيان لتعريف القوم وبيان حقائقهم. وها نحن نتبع الكتاب الأول بعد الكتاب الثانى والثالث بالكتاب الرابع. وعند اللحظات الأخيرة وصل إلينا كتاب جديد فى اللغة الفارسية باسم (حجت اثنا عشرى) من ايران، حاول صاحبه الردّ علينا فى القسم الأخير الكبير من الكتاب ولكنه اختفى تحت الاسم المستعار، وبدون الاشارة والنص على شخصيته وهويته خوفا من الفضيحة وتهربا من الخجل والندم لما يرى من تخاذله وعجزه عن القيام بالردّ العلمى على المطالب التى أوردناها فى كتابنا (الشيعة والسنة) والمباحث التى طرحناها أمام القارىء والباحث من السنة أو الشيعة.

ومن الطرائف أن هذا المبرقع ببرقعة (حقگو- أى القائل بالحق) حدّانا مرات عديدة وقال: إنه سيعطينا جائزة ان خطأناه فى رأيه فيما كتب وأثبتنا غلطته وعدم اصابته الصواب، ثم ولا يكتب على الكتاب داخله وخارجه لا اسمه ولا رسمه، ومن وجله وخوفه من بطشة الحق أنه لم يستطع ذكر المطبعة التى طبعت هذا الكتاب، ولا الادارة التى نشرته، ولا الجهة التى صدرته. فهذه هى جرأة القوم وهذه هى حقيقتهم.

فهذه الحقيقة الواحدة هى التى تكفى لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، والتفريق بين التخاذل والثبات، وبين الصدق والكذب.

= فالحاصل أننا لا ندرى أيكون هذا الكتاب هو آخر كتاب فى هذا الموضوع أم يجبرنا القوم على مواصلة التعقيب والتنقيب والبحث والتفتيش للاستطلاع والاستكشاف وكشف النقاب عن الحقائق الأخرى الخافية المخفية عن أعين الناس من السنة، وحتى الشيعة أنفسهم. واننا لنرى أيضا فى كل مرة نرجع الى كتب القوم أنها على قسمين: الكتب التى كتبت فقط للدعاية، وكتب متضمنة العقائد الأصلية والمعتقدات الحقيقية. فالكتب الدعائية كثرت فى العصور المتأخرة، وما أكثر ما استعمل مصنفوها الكذب والخداع لتغطية الأمور أمام المسلمين السنة، فما أحوج الناس الى معرفة الزور والخداع عن الصدق والحق. فلكم فكرنا فى اصدار كتاب يتضمن نقد هذه الكتب وما ورد فيها من المكر والخداع والنفاق والتعمية بعنوان (بين يدى الكتب) ولكن الكتابة فى المواضيع الأخرى تحول بيننا وبين ذلك. ولا ندرى ما فى مغيبات الأمور والله يعلم الأسرار.

فى الكتب الأخرى أن لا نكرر شيئا أوردناه فى كتاب آخر وحتى عند الاحتياج نبحث عن شيء آخر مماثل لذلك الشيء الذى أوردناه فيما سبق تجنبا للتكرار وزيادة فى الفائدة، اللهم إلا ما لابد منه لتشابك المواضيع وترادفها، وبذلك صارت هذه الكتب خالية من التكرار المشين، ولكل قيمته.

وعلى تلك الأصول والقاعدة لم نذكر ترجمة من نقلنا عنه عبارة أو اقتبسنا من كتابه كلاما وقد ذكرنا ترجمته فى الكتب الثلاثة السابقة، واكتفينا بذكر تعريف موجز مناسب للمقام للرجال الذين لم يرد تراجمهم قبل ذلك.

وميزة هذا الكتاب أنه يشتمل مع تاريخ التشيع والشيعة وتغيير التشيع الأول وتبدل الشيعة الأولى والفرق التى حدثت ونشأت بهذا الاسم وانقرضت أو بقيت، على مطاعن الشيعة على أصحاب رسول الله وخاصة عثمان ومعاوية وغيرهما رضوان الله عليهم أجمعين، والرد عليها ردا علميا ومنطقيا، وإننى لأرجو الله العلى القدير أن ينفع به الخلائق، الأحباء والأباعد، وأن يتقبله خالصا لوجهه الكريم ويجعله ذخيرة لى فى الدين والدنيا، وفى الحياة وبعد الممات، وأن يحشرنى فى زمرة أصحاب نبيّه العظيم، وأن يوفقنى للدفاع عن حوزة شريعته، وكرامة نبيّه، وعظمة أصحابه ورفاقه وتلامذته، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعن أسلاف هذه الأمة وعلمائها ومحسنيها، وجعلنا منهم، إنه سميع مجيب.

وأخيرا لا يسعنى إلا أن أشكر جميع الأخوة والأحباء الذين ساندونى وساهموا فى اخراج هذا الكتاب، وناصرونى فى مواصلة الكتابة فى مثل هذه المواضيع، فبارك الله فيهم وشكر مساعيهم وتقبّل أعمالهم وجزاهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء، وصلى الله على رسوله وعلى آله

وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسلك مسلكهم إلى يوم الدين.

احسان الهى ظهير
٣٠ محرم المحرم ١٤٠٤هـ
٦ نوفمبر ١٩٨٣م

الباب الأول

التشيع الأول والشيعة الأولى

إن لفظة الشيعة لا تطلق إلا على اتباع الرجل وأنصاره فيقال: فلان من شيعة فلان أى ممن يهوون هواه كما قال الزبيدى[١]: كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهى المطاوعة والمتابعة[٢].

فلم يكن استعمال هذه اللفظة فى العصر الأول من الإسلام إلا فى معناه الأصلى والحقيقى هذا، كما لم يكن استعمالها إلا لأحزاب سياسية وفئات متعارضة فى بعض المسائل التى تعلق بالحكم والحكام، وقد شاع استعمالها عند اختلاف معاوية مع علي رضى الله تعالى عنهما بعد شهادة عثمان رضى الله عنه، فكان يقال عن أنصار علي وأتباعه شيعة علي، وهؤلاء - أى شيعة علي - كانوا يرون عليا رضى الله عنه الخليفة الراشد الرابع والأحق بالخلافة من معاوية وغيره، وكانوا يشايعونه ويناصرونه فى حروبه مع معاوية رضي الله عنه، كما كان شيعة معاوية يرون الأمر بالعكس للجوء قتلة عثمان بن عفان إلى معسكر علي وتحت كنفه حسب زعمهم، ومادام هؤلاء كذلك، لم يكونوا معتقدين بثبوت الخلافة وأحقيتها لعلي بن أبى طالب رضى الله عنه. فإن قتل القتلة ونفذ فيهم

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد عبد الرزاق الحسينى الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، ولد بالهند فى بلجرام. علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين له كتب كثيرة، منها تاج العروس فى شرح القاموس، عشرة مجلدات، توفى بالطاعون فى مصر سنة ١٢٠٥هـ (الاعلام للزركلى جـ٧ ص٢٩٨).

(٢) تاج العروس للزبيدى ج٥ ص٤٠٥.

حد السيف رجعوا إليه وإلى التسليم بخلافته والانقياد لأمره كما نقله المؤرخون أن معاوية رضى الله عنه قال لمن بعث إليه من قبل علي رضى الله عنه من عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبى وشبيث بن ربعى وزياد بن حفصة يدعونه إلى الجماعة والطاعة :

أما بعد فإنكم دعوتمونى إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فمعنا هى ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهويزعم انه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به[٣] ولكنه آوى قتلة عثمان فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة[٤]» .

وقال بمثل هذه المقولة لأبى الدرداء ولأبى أمامة المبعوثين أيضا من قبل علي رضى الله عنه :

اذهبا إليه فقولا له : فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام[٥]» .

وقبل ذلك حينما أرسل علي رضى الله عنه جرير بن عبد الله إلى معاوية يدعوه إلى بيعته «طلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان[٦]» .

وإن المؤرخين ذكروا أيضا أن أبا الدرداء وأبا أمامة عندما رجعا إلى علي قالا له ذلك ، فقال :

هؤلاء الذين تريان ، فخرج خلق كثير ، فقالوا : كلنا قتلة عثمان ،

---

(٣) انظر الى القول العدل الذى صدر من رجل يكب عليه الشيعة ويلاتهم ودفائن حقدهم وبغضهم بدعوى أنه قال فى علي كيت وكيت ، فانظر اليه كيف يصرح بأننا لا نتهمه بقتل عثمان بل نصدق قوله فى براءته من دمه ولا نقول ما ينكره على رضى الله عنه .

(٤) البداية والنهاية جـ٧ ص٢٥٧ ط بيروت ، الطبرى جـ٥ ص٦ ، الكامل جـ٣ص٢٩٠ .

(٥) البداية والنهاية جـ٧ ص٢٥٩ .

(٦) البداية والنهاية جـ٧ ص٢٥٣ .

فمن شاء فليرمنا[٧]» .

هذا ولسنا الآن بصدد بيان أسباب الحروب التى دارت بين علي رضى الله عنه وبين معاوية رضى الله عنه وغيره ولكننا نريد أن نبين ههنا أن فئتين عظيمتين من المسلمين - كما عبر عنهما الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام فى مدحه الحسن رضى الله عنه - انحاز كل واحدة منهما إلى جانب وشايعت وناصرت من رأوا الحق معه ، فسميت كل طائفة من هاتين الطائفتين شيعة علي وشيعة معاوية ، ولم يكن الخلاف بينهما إلا خلافا سياسيا محضا ، طائفة كانوا يرون عليا رضى الله عنه خليفة ، صاحب حق شرعى حيث انعقدت له الخلافة بمشورة أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار[٨] ، وقوم رأوا أحق الناس بها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما حيث أنه يريد الثأر لدم الإمام المظلوم ، صهر رسول الله وخليفته للمسلمين ، الذى أخذ رسول الله ﷺ البيعة المشهورة لأخذ الثأر عنه يوم الحديبية ، وسميت فيما بعد هذه البيعة ببيعة الرضوان حيث أنزل الله رضاه لكل من بايع لأجله[٩] .

وكذلك اطلقت هذه اللفظة على حزب سياسى موحد لبنى علي وبنى العباس بتركيب شيعة آل محمد مقابل شيعة بنى أمية ، ولم يكن اطلاقها إلا لبيان رأى سياسى فى من يتولى الحكم وفى من يحق ان يتولاه. وقد صرح بذلك شيعى مشهور ناقلا عن كتاب الزينة للسجستانى :

---

(٧) البداية والنهاية جـ٧ ص٢٥٩ .

(٨) كما استشهد علي رضى الله عنه على أحقيتها له : إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فان اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى ، فان خرج منهم خارج بطعن أوبدعة ردّوه الى ما خرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى (نهج البلاغة ص٣٦٧) .

(٩) بقوله جل وعلا : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» .

ثم بعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه فى وجه علي بن أبى طالب وإظهاره الطلب بدم عثمان واستمالته عددا عظيما من المسلمين إلى ذلك صار أتباعه يعرفون بالعثمانية وصار أتباع علي يعرفون بالعلوية مع بقاء إطلاق اسم الشيعة عليهم واستمر ذلك مدة ملك بنى أمية[١٠]».

ونقل أيضا من نقيب الشيعة بحلب:

كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيعة. وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه كما يقال والاه من الولى والمشايعة، وكأن الشيعة لما اتبعوا هؤلاء القوم واعتقدوا فيهم ما اعتقدوا سموا بهذا الاسم لأنهم صاروا أعوانا لهم وأنصارا وأتباعا، فأما من قبل حين أفضت الخلافة من بنى هاشم إلى بنى أمية وتسلمها معاوية بن صخر من الحسن بن علي وتلقفها من بنى أمية رجل فرجل - نفر كثير من المسلمين من المهاجرين والأنصار عن بنى أمية ومالوا إلى بنى هاشم وكان بنو علي وبنو عباس يومئذ فى هذا شرع، فلما انضموا إليهم واعتقدوا أنهم أحق بالخلافة من بنى أمية وبذلوا لهم النصرة والموالاة والمشايعة سموا شيعة آل محمد، ولم يكم إذ ذاك بين بنى علي وبنى العباس افتراق فى رأى ولا مذهب. فلما ملك بنو العباس وتسلمها سفاحهم من بنى أمية نزغ الشيطان بينهم وبين بنى علي فبدا منهم فى حق بنى علي ما بدا فنفر منهم فرقة من الشيعة[١١]».

وقد كررنا لفظ السياسة حيث نقصد من ورائها أنه لم يكن بين القوم خلاف دينى يرجع إلى الكفر والإسلام كما أقر بذلك سيدنا علي رضى الله عنه حيث قال مخاطبا جنده عن معاوية وعساكره:

(١٠) أعيان الشيعة لمحسن الأمين: الجزء الأول القسم الأول ص١٢.

(١١) أيضا ص١٣ نقلا عن غاية الاختصار فى أخبار بيوتات العلوية المحفوظة من الغبار لسيد تاج الدين بن حمزة الحسينى نقيب حلب.

أوصيكم عباد الله تقوى الله ، فإنها خير ما تواصى به العباد به ، وخير عواقب الأمور عند الله ، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة[١٢]» .

هذا وقد زاد عليّ رضى الله عنه المسألة وضوحا وبيانا فى كتاب له كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين، ويبيّن فيه حكم من ناضلوه وقاتلوه وموقفه منهم :

وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام ، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء[١٣]» .

ولأجل ذلك منع أصحابه من سبّ أهل الشام وأنصار معاوية وشتمهم إياهم أيام حربهم بصفين :

إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب فى القول وأبلغ فى العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[١٤]» .

ويؤيد ذلك حديث شيعى مشهور رواه الكلينى فى صحيحه (الكافى) عن جعفر بن محمد الباقر ـ الإمام السادس المعصوم حسب زعم الشيعة ـ أنه قال : ينادى مناد من السماء أول النهار: ألا إن عليا صلوات الله عليه وشيعته هم الفائزون، قال : وينادى مناد آخر النهار: ألا إن

(١٢) نهج البلاغة ص٣٦٧ ط بيروت.
(١٣) أيضا ص٤٤٨ .
(١٤) أيضا ص٣٢٣ .

عثمان وشيعته هم الفائزون[١٥]».

ومن طريف ما ذكر أن أبا العالية وهو تابعى مشهور أدرك النبى ﷺ وهو شاب ولكنه لم يسلم إلا بعد وفاة النبى ﷺ فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فانه روى عنه أبو خلدة أنه قال: قال أبو العالية: لما كان زمان على ومعاوية وانى لشاب، القتال أحب إلىّ من الطعام الطيب، فجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان ما يرى طرفاهما إذا كبّر هؤلاء كبّر هؤلاء وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء فراجعت نفسى فقلت: أىّ الفريقين انزّله كافرا؟ ومن أكرهنى على هذا؟ قال: فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم[١٦]».

ولا ننكر أنه كان هناك أناس تأثروا بدسائس يهودية وأفكار مدسوسة وخرجوا عن الجادة المستقيمة وأعطوا هذا الخلاف صبغة دينية أمثال السبأيين وغيرهم ممن وقعوا فى حبائل اليهودية المبغضة للإسلام، وهم الذين كانوا يؤججون نار الحرب كلما خبت نيرانها كما سنفصل القول فيها بعد إن شاء الله ولكن عامة الناس كانوا على منأى عنها.

فهذه هى بداية استعمال هذه اللفظة، ثم اختص بكل من يوالى عليا وأولاده ويعتقد الاعتقادات المخصوصه والمستقاة من دسائس عبد الله بن سبأ اليهودى وغيره من الذين أرادوا هدم عمارة الإسلام وكيانه وتشويه عقائده وتعليماته كما قال ابن الأثير فى نهايته:

وأصل الشيعة الفرقة من الناس. وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم(؟) أنه يتولى عليا رضي الله عنه وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفى مذهب

(١٥) الكافى فى الفروع جـ٨ ص٢٠٩.

(١٦) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ٤ ص٢١٠، طبقات ابن سعد جـ٧ ص١١٤.

الشيعة كذا، أى عندهم، وتجمع الشيعة على شيع وأصلها من المشايعة وهى المتابعة والمطاوعة[١٧]».

وأمـا ادعـاء من يدعى بأن هذه اللفظة كانت شائعة فى عهد النبى ﷺ كما كان التشيـع موجـودا فى عصـره والشيعـة موجـودون فى زمنـه فلا ينهض به دليل ولا يقوم به برهان كما قال محمد الحسين فى (أصل الشيعة وأصولها):

إن أول من وضـع بذرة التشيـع فى حقـل الإسـلام - هو نفس صاحب الشريعة - يعنى ان بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنبا إلى جنب، وسـواء بسـواء، ولم يزل غارسهـا يتعـاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وازدهرت فى حياته[١٨]، ثم أثمرت بعد وفاته[١٩]».

وبمثـل ذلـك القـول قال الآخـر: ان التشيـع ظهـر فى أيام نبى الإسـلام الأقـدس الـذى كان يغـذى بأقـوالـه عقيـدة التشيع لعلي عليه السلام وأهل بيته ويمكنها فى أذهان المسلمين ويأمر بها فى مواطن كثيرة[٢٠]».

---

(١٧) النهاية لابن الأثير جـ٢ ص٢٤٤.

(١٨) واستشهد على ذلك بروايات واهية موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ ولا تصح منها ولا رواية واحدة مثل (ان عليا وشيعته لهم الفائزون).

وعلى ذلك قال ابن الحديد الشيعى الغالى: ان أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فانهم وضعوا فى بدأ الأمر أحاديث مختلقة فى فضائل أئمتهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم (شرح نهج البلاغة جـ١ ص٧٨٣).

ومن أعجب العجـائب أن رجـلا كهـذا يكـذب بكـل وقاحة ولا يستحى حيث ينسب رواية باطلة موضوعة ألا وهى رواية الطير الى الصحيحين. ولا وجود لها فيهما.

وكذلك من عدّ عددا كبيرا من أصحاب النبى ﷺ فى حياته وأطلق عليهم بأنهم كانوا شيعة على مثـل محسن الأمـين ومحمـد حسـين الزين وآل كاشف الغطاء وغيرهم فلا ندرى بماذا يجيبون عن أحاديث كثيرة مروية فى صحاحهم التى تحكم على ارتداد جميع أصحاب رسول الله ﷺ الا الثلاثة سلمان وأبوذر والمقـداد (انظـر تفصيـل ذلـك فى كتـابنـا الشيعة والسنة) فهل هؤلاء كانوا كفرة مع كونهم شيعة علي، ثم وكيف قبـل سلمان إمـارة من قبـل عمـر بن الخطـاب رضى الله عنـه؟ (حياة القلوب للمجلسى جـ٢ ص٧٨٠). وكان من أحد القادة الذين أرسلهم الفاروق لفتح المدائن (ابن كثير جـ٧ ص٦٧).

(١٩) أصل الشيعة وأصولها ص٨٧.

(٢٠) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص٢٩.

ولم يظن المظفرى الشيعى هذا كافيا فقال:

ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه صارخا بكلمة لا إله إلا الله فى شعاب مكة وجبالها. . . فكانت الدعوة للتشيع لأبى الحسن عليه السلام من صاحب الرسالة تمشى منه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين[٢١]».

ولا يخفى ما فيه من المجازفة بالقول والغلو لأن معناه أن رسول الله ﷺ لم يدع الى الإسلام والى وحدانية الله عز وجل والاقرار برسالته وطاعته والى الاتحاد والاتفاق والتآلف والمحبة والمودة، بل كان يدعو الى التحزب والتفرق والتشيع لعلي دون غيره، كما أنه حسب دعوى المظفرى كان يجعل عليا شريكا له فى نبوته ورسالته مع أن كلام الله المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذى أنزله الرحمن وضمن حفظه، قرآنه وبيانه، خال من كل هذا[٢٢] بل وبعكس ذلك إنه ملىء بالدعوة إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، والاعتصام بحبل الله وحده، والتمسك بالقرآن والسنة، والتجنب لما سواهما، كما أمر المسلمين بالاتفاق والاتحاد والتسمى باسم الإسلام والمسلمين، وكذلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ[٢٣] لا تشتمل ولا تصرح إلا بهذا

---

(٢١) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص٨، ٩ ط قم.

(٢٢) ولعل هذا من أهم دواعى انكار القرآن والاعتقاد فيه بالتغيير والتحريف والنقصان من قبل الشيعة لأنهم لا يجدونه مؤزرا لهم ومناصرا، بل كل ما فيه يخالف التشيع وعقائدهم بأصولها وفروعها ويفند مزاعمهم ويسفه عقولهم وآراءهم وأفكارهم. فانظر لتفصيل ذلك ومعرفتها كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة والقرآن).

(٢٣) والعجب كل العجب أن الشيعة الذين ينكرون الأحاديث الصحاح لرسول الله الثابتة عنه لأن رواة هذه الأحاديث وحملتها هم أصحاب رسول الله وكلهم ارتدوا - عياذا بالله حسب زعمهم - يثقون بروايات هؤلاء ومروياتهم. لا ندرى ان الشيعة أولئك كيف يتمسكون بالروايات الموضوعة الباطلة والأحاديث الواهية المكذوبة على رسول الله ﷺ؟ لأنه اختلق هذه الروايات واخترعها رجال منهم أو = = وضعها رواتهم والدعاة الى أباطيلهم وأضاليلهم.

وقلما تجد الشيعة يتمسكون بحديث صحيح أويعتقدون به وإلا كل بضاعتهم الموضوعات أو الأساطير والقصص.

كله لا غير فلقد قال الله عز وجل :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾[٢٤]

وقال : ﴿أطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾[٢٥]

وقال : ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾[٢٦]

وقال : ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢٧]

وقال : ﴿من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[٢٨]

وقال : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[٢٩]

وقال : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مّما قضيت﴾[٣٠]

وقال جل وعلا : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾[٣١]

وقال : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[٣٢]

وقال : ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[٣٣]

(٢٤) سورة الأنفال : الآية ٢٠
(٢٥) سورة محمد : الآية ٣٣
(٢٦) سورة آل عمران : الآية ١٣٢
(٢٧) سورة الحشر : الآية ٧
(٢٨) سورة النساء : الآية ١٥
(٢٩) سورة الأحزاب : الآية ٣٦
(٣٠) سورة النساء : الآية ٦٥
(٣١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣
(٣٢) سورة الأنفال : الآية ٤٦
(٣٣) سورة المؤمنون : الآية ٥٣

وقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا﴾[٣٤].

وقال: ﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾[٣٦].

وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾[٣٧].

وأخيرا أخبر الكون ومن فى الكون بأنه لم يرسل نبيه ولا رسوله خاتم النبيين والمرسلين إلا بما أرسل به الرسل والأنبياء من قبل حيث أمره أن يقول: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ وما أنا إلا نذير مبين﴾[٣٨].

وكما قال: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم موسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب﴾[٣٩].

ولقدبين جل وعلا سبحانه وتعالى مجملا بما أرسل الرسل من قبله حيث قال: ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٤٠].

كما فصل فى مواضع عديدة من القرآن بذكر كل واحد منهم

(٣٤) سورة الروم: الآية ٣٢.
(٣٥) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٣٦) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣٧) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٣٨) سورة الاحقاف: الآية ٩.
(٣٩) سورة الشورى: الآية ١٣.
(٤٠) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

برسالته.

وبمثل ذلك تماما وردت أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة.

وأما القوم فهم على خلاف ما بينه الرب جل وعلا وبينه رسوله العظيم عليه الصلاة والسلام حيث يزعمون أنه لم يرسل الرسول ﷺ إلا للدعوة إلى التشيع والتفرق وإلى الإشراك فى ذات الله وصفاته، وإشراكه عليا وأولاده فى النبوة والرسالة والإطاعة، ثم يسردون لإثبات ذلك روايات كلها باطلة وموضوعة، رواية ودراية، رواية حيث إن الرواة الذين رووا تلك الأحاديث شيعة ضالون ووضاعون كذابون، ولم ترد هذه الروايات فى كتب موثوقة معتمدة، ودراية حيث تعارض القرآن ونصوصه كما تخالف العقل، لأن العقل يقتضى أن لا يكون الشرائع-مقصودها ومهمتها الدعوة إلى الحب لأشخاص والولاية لهم ويسبب هذه الولاية دخولهم فى الجنة ونجاتهم من النار، كما أن الآيات القرآنية تنفى ذلك نفى باتا حيث لم يجعل الحب وحتى حب الله كافيا للفوز والنجاح فى الآخرة حيث قال الله عز وجل :

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[٤١].

وما الاتباع إلا الإيمان بالله والعمل الصالح حسب أوامر الله ونبيه والاجتناب عن نواهى الله ورسوله :

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم﴾[٤٢].

وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من

(٤١) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٤٢) سورة يونس: الآية ٩.

تحتها الأنهار ذلك الفوز العظيم﴾[٤٣]

ولقد اضطربت آراء القوم أنفسهم فى بدء نشأة التشيع وتكوينه حيث قال إمام الشيعة فى الفرق النوبختى ، أن نشأته لم تكن إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ كما كتب :

قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فى شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت نبوته عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، فافترقت الأمة ثلاث فرق (فرقة منها) سميت الشيعة وهم شيعة علي بن أبى طالب عليه السلام ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها ، «وفرقة منهم» ادعت الأمرة والسلطان وهم الأنصار ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي ، «وفرقة» مالت إلى بيعة أبى بكر بن أبي قحافة وتأولت فيه أن النبى صلى الله عليه وآله لم ينص على خليفة بعينه وأنه جعل الأمر إلى الأمة تختار لأنفسها من رضيته ، واعتل قوم منهم برواية ذكروها أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره فى ليلته التي توفى فيها بالصلاة بأصحابه فجعلوا ذلك الدليل على استحقاقه إياه وقالوا رضيه النبي صلى الله عليه وآله لأمر ديننا ورضيناه لأمر دنيانا وأوجبوا له الخلافة بذلك فاختصمت هذه الفرقة ، وفرقة الأنصار وصاروا إلى سقيفة بني ساعدة ومعهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة الثقفي وقد دعت الأنصار إلى العقد لسعد بن عبادة الخزرجى والاستحقاق للأمر والسلطان فتنازعوا هم والأنصار فى ذلك حتى قالوا منا أمير ومنكم أمير فاحتجت هذه الفرقة عليهم بأن النبي عليه السلام قال : الأئمة من قريش : وقال بعضهم أنه قال :

---

(٤٣) سورة البروج الآية ١١

الإمـامـة لا تصلح إلا فى قريش: فرجعت فرقة الأنصار ومن تابعهم إلى أمر أبى بكر غير نفر يسير مع سعد بن عبادة ومن اتبعه من أهل بيته فإنه لم يدخل فى بيعته حتى خرج إلى الشام مراغماً لأبي بكر وعمر فقتل هناك بحـوران قتله الـروم، وقـال آخـرون: قتلتـه الجن، فاحتجـوا بالشعـر المعروف وفى روايتهم أن الجن قالت:

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطي فؤاده

وهذا قول فيه بعض النظر لأنه ليس فى التعارف أن الجن ترمي بني آدم بالسهام فتقتلهم، فصار مع أبى بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر فلبثوا معه ومع عمر مجتمعين عليهما راضين بهما(٤٤)».

وأمـا ابن النـديم الشيعى(٤٥) فيرى أن تكـوين الشيعة لم يكن إلا يوم وقعة الجمل حيث قال:

ولما خالف طلحة والزبير على علىّ رضى الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثـمان، وقصـدهما علي عليـه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله تسمى من اتبعه على ذلك باسم الشيعة(٤٦)».

ومنهم من قال:

اشتهر اسم الشيعة يوم صفين(٤٧)».

وبمثـل ذلـك القول قال ابن حمزة وأبو حاتم وغيرهما من الشيعة، وهـذا يؤيـد ما ذهبنـا إليـه، وبمثـل هذا القـول قال ابن حزم فى (الفصـل)(٤٨) من المتقـدمـين وأحمد أمين(٤٩) وغيره الكثير ون الكثير ون

---

(٤٤) فرق الشيعة للنوبختى ص ٢٣، ٢٤.

(٤٥) هو ابن الفـرج محمـد بن اسحـاق النـديم الكـاتب الفـاضـل الخبير الماهر المتباحر الشيعى الإمامى مصنف كتاب الفهرست المولود سنة ٢٩٧ المتوفى سنة ٣٨٥. (الكنى والألقاب للقمى جـ١ ص٤٢٥ ـ٤٢٦).

(٤٦) الفهرست لابن النديم ص٢٤٩.

(٤٧) روضات الجنات للخوانسارى ص٨٨.

(٤٨) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ٤ ص٧٩.

(٤٩) فجر الإسلام ص٢٦٦ الطبعة الثامنة.

من التأخرين .

ويقول شيعى معاصر: إن استقلال الاصطلاح الدالّ على التشيع إنما كان بعد مقتل الحسين حيث أن التشيع أصبح كيانا مميّزا له طابع خاص .(★)

ولأجل ذلك اضطر محسن الأمين إلى أن يقول:

سواء كان اطلاق هذا الاسم فى حياة الرسول أوبعد الجمل فالقول بتفضيل علي عليه السلام وموالاته الذى هومعنى التشيع كان موجودا فى عهد الرسول واستمر بعده إلى اليوم[٥٠]» .

والمظفرى أن يقول:

فكان التجاهر بالتشيع أيام عثمان[٥١]» .

وهو الصحيح لأنه لا يوجد الأسماء قبل المسميات ولا الأحزاب قبل الخلافات، فلما وجد الخلاف تحزب لكل رأى حزب وتعصبوا جماعات وفرقا فآنذاك وجدت الجماعات ووجدت لها الأسماء ولم يكن هناك خلاف بين المسلمين ولم يتعصب له أشخاص قبل مقتل عثمان ذى النورين رضى الله عنه وقبل النتائج التى نتجت من قتله وبعد تولية علي رضى الله عنه أمرة المؤمنين وخلافة المسلمين، وعندئذ نشأ الخلاف، فمنهم من رأى رأى علي رضى الله عنه وأنصاره، ومنهم من رأى رأى طلحة والزبير ثم رأى معاوية وأتباعه، وهناك تحزب حزبان سياسيان كبيران بين المسلمين، شيعة علي وشيعة معاوية، وكل واحد من هؤلاء يرى رأيه فى تولية الحكم وتدبير الأمور، ودينهما واحد وعقائدهم واحدة متفقة، كما بيناه آنفا .

(★) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشيبى ص٢٣ .

(٥٠) أعيان الشيعة القسم الأول الجزء الأول ص١٣ .

(٥١) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص١٥ .

نعم كان هناك خلاف قبل شهادة عثمان رضى الله عنه والذى جرّ إلى قتل عثمان ولكنه لم يكن إلا بين قادة اليهود والمخدوعين المغترين الواقعين فى حبائل الدسائس اليهودية الأثيمة وبين المسلمين وإمامهم كما سيأتى بيانه فى باب مستقل، كما أنه وقعت الخلافات البسيطة الطفيفة ولكنها لم تبق إلا للحظات لرجوع الفريق الثانى إلى كتاب الله أوسنة رسول الله ﷺ امتثالا بقول الله عز وجل: ﴿**وان تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾(٥٢).

كالخلاف الذى وقع بين الأنصار والمهاجرين يوم السقيفة حيث رجع الأنصار عن رأيهم إلى رأى المهاجرين وبايعوا أبا بكر اتفاقا واتحادا، ولم يكن هناك فريق ثالث كما يزعمه الشيعة ولم يقدم اسم رجل ثالث للخلافة والإمارة غير سعد بن عبادة وأبى بكر. وعلى ذلك لم يكن هناك خلاف ولا نزاع، ولا الزعماء ولا القادة لهذه الآراء والأحزاب كما شهد بذلك علىّ رضى الله عنه حينما دخل عليه عمرو بن الحمق وحجر بن عدى وحبة العرنى والحارث الأعور وعبد الله بن سبأ بعد ما افتتحت مصر وهو مغموم حزين كما رواه عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب فقالوا له:

بين لنا ما قولك فى أبى بكر وعمر؟ فقال لهم علي عليه السلام: وهل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتى بها قد قتلت؟! أنا مخرجٌ إليكم كتاباً أخبركم فيه عما سألتم، وأسألكم أن تحفظوا من حقىّ ماضيعتم، فاقرؤوه على شيعتى وكونوا على الحقّ أعواناً؛ وهذه نسخة الكتاب:

---

(٥٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

من عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين: السلام عليكم؛ فانىّ أحمد إليكم الله الذى لا إله إلاّ هو.

أما بعد فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمة، وأنتم يامعشر العرب يومئذٍ على شر دينٍ وفى شر دارٍ، منيخون على حجارةٍ خشنٍ وحياتٍ صمٍّ، وشوكٍ مبثوثٍ فى البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام الجشيب، وتسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم [بينكم] بالباطل، سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، [والآثام بكم معصوبة] ولا يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فمن الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم، وقال فيما أنزله من كتابه: هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين، وقال: لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤفٌ رحيم، وقال: لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم، وكنتم أول المؤمنين تعرفون وجهه وشيعته وعمارته، فعلمكم الكتاب والحكمة، والفرائض والسنة، وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم، وصلاح ذات البين، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وأن توفوا بالعهد، ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وأمركم أن تعاطفوا وتباروا وتباذلوا وتراحموا، ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتقاذف والتباغى، وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان، وتقدم إليكم فيما أنزل عليكم: ألا تزنوا، ولا تربوا، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً وأن

تؤدوا الأمانات إلى أهلها، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكل خيرٍ يدنى إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به، وكل شر يباعد من الجنة، ويدنى من النار نهاكم عنه.

فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلقى فى روعى، ولا يخطر على بالى أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عنى من بعدى، فما راعنى إلا انثيال الناس على أبى بكر وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكت يدي ورأيت أني أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله فى الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمدٍ صلى الله عليه وآله وإبراهيم عليه السلام فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون مصيبته أعظم علىّ من فوات ولاية أموركم التي إنما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتقشع السحاب، فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته ونهضت فى تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت «كلمة الله هى العليا» ولو كره الكافرون.

فتولى أبوبكر تلك الأمور فيسّر وسدّد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله جاهدا[٥٣].

ومثل ذلك فى (مقالات الإسلاميين) للأشعرى:

وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم فى الإمامة وذلك أن رسول الله ﷺ لما قبضه الله عز وجل ونقله

(٥٣) الغارات للثقفى جـ١ ص٣٠٢ الى ٣٠٧، وورد مثل ذلك فى شرح نهج البلاغة لابن الحديد
...يعى وللميثم البحرانى الشيعى وفى ناسخ التواريخ وفى مجمع البحار للمجلسى وغيرها ومن أراد التفصيل فى
...ك فليراجع الى كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

الى جنته ودار كرامته اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة بمدينة الرسول ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضوان الله عليهم [فـ]ـقصدا نحو مجتمع الأنصار فى رجال من المهاجرين فأعلمهم أبوبكر أن الإمامة لا تكون إلا فى قريش واحتج بقول النبى ﷺ الإمامة فى قريش فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار منّا أميرٌ ومنكم أمير وبعد أن جرد الحُباب بن المنذر سيفه وقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب من يبارزنى بعد أن قام قيس بن سعد بنصرة أبيه سعد بن عبادة حتى قال عمر بن الخطاب فى شأنه ما قال، ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته فقاتل أهل الردة على ارتدادهم كما قاتلهم رسول الله ﷺ على كفرهم فأظهره الله عز وجل عليهم أجمعين، ونصره على جملة المرتدين، وعاد الناس إلى الإسلام أجمعين، وأوضح الله به الحق المبين، وكان الاختلاف بعد الرسول ﷺ فى الإمامة ولم يحدث خلاف غيره فى حياة أبى بكر رضوان الله عليه وأيام عمر إلى أن ولى عثمان بن عفان رضوان الله عليه وأنكر قوم عليه فى آخر أيامه أفعالاً كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه اختلافاً إلى اليوم، ثم قتل رضوان الله عليه وكانوا فى قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا: كان رضوان الله عليه مصيباً فى أفعاله قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا اختلاف بين الناس، إلى اليوم.

ثم بويع علي بن أبى طالب رضوان الله عليه فاختلف الناس فى أمره فمن بين منكر لإمامته ومن بين قاعد عنه ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم.

ثم حدث الاختلاف فى أيام علىّ فى أمر طلحة والزبير رضوان الله عليهم وحربهما إياه وفى قتال معاوية إياه وصار علي ومعاوية إلى صفين(٥٤)» .

ومثل الخلافات الأخرى كالخلاف فى موضع دفن الرسول وقتال مانعى الزكاة وغيرها، فلم تكد تظهر هذه الخلافات حتى تلاشت بعد عرض الأمور على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والرجوع إليهما.

ولكن الخلاف الذى لم ينحل والنزاع الذى لم ينته كان هو ذلك الاختلاف الذى شتت شمل المسلمين وفرق جمعهم وجعلهم فريقين كبيرين يرأس الأول منهما عليّ رضى الله عنه والثانى معاوية رضى الله عنه، ونكرر القول بأن هذا الخلاف لم يجرّ واحدا منهما إلى تكوين مذهب جديد واعتناق عقائد جديدة ولا إلى إنكار ما ثبت فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله ﷺ ولا الانحراف عن الجادة المستقيمة التى سلكها رسول الله ﷺ ومن بعده أبو بكر وعمر وعثمان الخلفاء الراشدون المهديون من بعد، كما لم يكن هناك مباغضة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين قضوا نحبهم قبل كما اختلقها شيعة اليوم، ولا إثارة إلى الضغائن القبلية والمبنية على الحسب والنسب، وخاصة لم يكن لأنصار عليّ رضى الله عنه، الخلص منهم، عقائد شيعة اليوم، المنطوية على بغض السلف الصالح وعلى الأخص أبو بكر وعمر وعثمان وأزواج رسول الله أمهات المؤمنين، والمبنية على إنكار القرآن الموجود بأيدى الناس، ولا سنة رسول الله ﷺ، التى أخذوها عن عبد الله بن سبأ وتوارثوها عن اليهودية البغيضة كما سنبرهن ذلك قريبا إن شاء الله بل، كانوا محبين لأصحاب محمد ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وأزواج النبى الطاهرات

(٥٤) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج١ ص٣٩ .

المطهرات، والمقتفين آثارهم والمقتدين هداهم، وعلى رأسهم عليّ رضى الله عنه أمير المؤمنين وخليفة رسول الله الأمين الراشد الرابع حيث كان يحبهم حبا جما ويظهر موالاته لهم وبعد انتقالهم عن هذه الدنيا إلى الملأ الأعلى، ويقتفى آثارهم، ويعاند كل من يعارضهم، ويعاقب كل من يتكلم فيهم، كما كان يحارب بكل قوة وشدة تسرب أفكار السبأية واليهودية فى أتباعه وأنصاره وشيعته، ويطرد كل من يشك فيه بتسممه هذه العقائد المسمومة.

فلقد ذكر الشيعة أنفسهم بأن عليا رضى الله عنه سمى أبناءه بأسماء الخلفاء الراشدين السابقين الثلاثة، بأبى بكر وعمر وعثمان(٥٥).

وابنه الحسن كذلك سمى أبناءه بأبى بكر وعمر(٥٦).

والحسين كذلك سمى أبناءه بأبى بكر وعمر(٥٧).

وكذلك الآخرون من أبناء علي وأبناء الحسين سمو أبناءهم بأسماء هؤلاء الأخيار البررة تحببا إليهم وتبركا بهم(٥٨).

وأما الاقتداء والاتباع فلقد ذكرنا عنه كثيرا فى كتابنا (الشيعة وأهل البيت) ولا نريد تكرار ما قلناه هناك فليرجع الى ذلك. ولكننا نثبت ههنا عبارة من ألد أعداء السنة وأكبر السبابين اللعانين الشيعة، عن الملا باقر المجلسى الشيعى الايرانى الذى يلقب بخاتمة المحدثين، والذى ألف أكبر مجموعة فى الحديث باسم (بحار الأنوار) فهو يكتب فى كتابه (جلاء العيون فى حياة ومصائب أربعة عشر معصوما) أن حسن بن علي بن أبى

---

(٥٥) اعلام الورى للطبرسى ص٢٠٣، الارشاد للمفيد ص١٨٦، تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢١٣، مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى ص١٤٢، كشف الغمة للأربلى ج٢ ص٦٤، جلاء العيون للمجلسى ص٥٨٢.

(٥٦) اعلام الورى ص٢١٣، تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢٢٨، مقاتل الطالبين ص٧٨، وص١١٩ منتهى الآمال ج١ ص٢٤٠.

(٥٧) التنبيه والاشراف للمسعودى الشيعى ص٢٦٣، جلاء العيون للمجلسى ص٥٨٢.

(٥٨) انظر لذلك كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

طالب صالح معاوية بن أبى سفيان على أنه يعمل بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين(٥٩) وأن لا يعيّن أحدا بعده وأن يؤمن الناس أينما كانوا فى الشام والعراق والحجاز واليمن وأن يؤمن شيعة علي بن أبى طالب وأصحابه فى أنفسهم وأموالهم وأزاجهم وأولادهم، وأخذ على هذه الشروط العهود المغلظة باليمين(٦٠)».

فجعل الحسن بن علي - وهو الإمام الثانى عند الشيعة - أحد شروط الصلح مع معاوية أن يكون متبعا لسيرة الخلفاء الراشدين، ولم يكن هؤلاء إلا أبا بكر وعمر وعثمان وعليّا، كما أنه لم يجعل العمل بسيرة هؤلاء شرطا من أهم الشروط الا لأنه كان يحسن فيهم الظن ويعتقد فيهم الخير ويؤمن بتقواهم وطهارتهم زيادة على إيمانهم وإسلامهم - الصحيح الخالص.

هذا ومثل هذا كثير لمن تتبع أخبار علي وأولاده(٦١) رضى الله عنهم ورحمهم أجمعين.

ونريد أن نضيف إلى ذلك أن الخلاف الذى وقع بين علي ومعاوية رضى الله عنهما لم يؤد إلى التكفير والتفسيق فيما بينهم ولا إلى المقاطعة الدائمة والمباغضة الأبدية والهجران والقطيعة كما تصوره القوم فى العصور المتأخرة وكما وضعت الأساطير والقصص، بل كل واحد من الحزبين كان يعتقد بإيمان الآخر وإسلامه ويحب الإصلاح بينهما ويسعى الى التوافق والتصالح، وعلى ذلك صالح الحسن بن علي معاوية رضى الله عنهم أجمعين وبايعه. ولو كان يظنه كافرا خارجا عن الإسلام لما اتفق معه ولم

(٥٩) فليلاحظ لفظ الخلفاء الراشدين لأن الذين أعمى الله أبصارهم لايستحيون من تأويلات سخيفة ركيكة كلما يعرض عليهم دليل وبرهان، المثبوت فى كتبهم وعن أعيانهم.

(٦٠) جلاء العيون ج١ ص٣٩٣ ط طهران ١٣٩٨ هـ، الفصول المهمة فى معرفة أحوال الأئمة ص١٦٣ ط طهران، منتهى الآمال للعباس القمى ص٣١٤.

(٦١) ونبذة غير يسيرة موجودة فى كتابنا (الشيعة وأهل البيت) من أراد ذلك فليرجع إليه

يصـالحـه ولم يبايعه ولم يأمر أخاه الحسين ولا قائد جيشه قيس بن سعد آن يبايعاه كما ثبت ذلك من كتب الشيعة، وهذه هى ألفاظ الكشى:

جبرئيـل بن أحمـد وأبـو اسحاق حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا: حدثنـا محمـد بن عبـد الحميـد العطـار الكوفى عن يونس بن يعقوب عن فضل غلام محمد بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إن معـاويـة كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن أقدم أنت والحسين وأصحـاب علي، فخـرج معهم قيس بن سعـد بن عبـادة الأنصارى وقدموا الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال: ياقيس قم فبايع، فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال: ياقيس انه إمامى - يعنى الحسن عليه السلام[٦٢]».

وقبل ذلك أبوه علي بن أبى طالب - وهو الإمام المعصوم الأول عند الشيعـة - خاطب معـاويـة بقوله فى رسالته التى أرسلها جوابا له - حسب زعم القوم -:

لم يمنعنـا قديم عزنـا وعادى طولنا على قومنا أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء[٦٣]».

وكـذلـك لو كان هنـاك مسألـة الكفر والنفاق لما تزوجت رملة بنت علي بن أبى طالب رضى الله عنه من معاوية بن مروان بن الحكم[٦٤].

و(رملة) بنت علي كانت أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى[٦٥].

---

(٦٢) رجال الكشى ص١٠٢، أيضا منتهى الآمال ص٣١٦، وجلاء العيون للمجلسى ج١ ص٣٩٥ .
(٦٣) نهج البلاغة تحقيق صبحى صالح ص٣٨٦، ٣٨٧. ط بيروت .
(٦٤) نسب قريش ص٤٥، جمهرة أنساب العرب ص٨٧ .
(٦٥) الارشاد للمفيد ص١٨٦، إعلام الورى للطبرسى ص٢٠٣ .

وابنته الثانية خديجة كانت متزوجة من عبد الرحمن بن عامر لأموى[٦٦].

وكان أبوه عامر بن كريز الأموى أميرا على البصرة من قبل معاوية وشـريكـا فى حرب الجمـل مع طلحة والزبير ضد علي، وأن خديجة بنت علي كانت من أم ولد له كما ذكرها الطبرسى فى الأعلام[٦٧] والمفيد فى الإرشاد[٦٨].

كما أن إحدى بناته تزوجت من عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى[٦٩].

وكـما أن بنـات الحسن وبنـات الحسين زوجن من الأمويين وبنات الأمويين زوجن من أبناء الهاشميين ومن أولاد عليّ بالأخص. ولقد ذكرنا هذه المصـاهـرات بين بنى أميـة وبين بنى هاشم فى كتاب (الشيعة وأهل البيت) ومن أراد التفصيل فليرجع الى ذلك ولكن نذكر ههنا واحدة من بنـات الحسن وواحـدة من بنـات الحسـين. فلقـد تزوجت سكينـة بنت الحسين وحفيدة علي من حفيد عثمان بن عفان، زيد بن عمروبن عثمان:

وزيـد بن عمـروبن عثـمان هذا هو الذى كلنت عنده سكينة بنت الحسين فهلك عنها فورثت عنه[٧٠]».

وكـذلـك نفسيـة بنت زيـد بن حسن بن علي تزوجت من الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان، قد ذكر هذا الزواج شيعى نسابة مشهور أيضا فى كتابه وما أقبحه فى التعبير:

(٦٦) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٦٨ .
(٦٧) ص ٢٠٣ .
(٦٨) ص ١٨٦ .
(٦٩) البداية والنهاية ج٩ ص٦٩ ط بيروت .
(٧٠) نسب قريش للزبيـرى ج٤ ص١٢٠، المعـارف لابن قتيبـة ص٩٤، جمهـرة أنسـاب العرب ج١ ٨٦، طبقات ابن سعد ج٦ ص٣٤٩ .

وكان لزيد بن الحسن بن علي ابنة إسمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان فولدت له منه وماتت بمصر. . . وكان زيد يفد إلى الوليد بن عبد الملك ويقعده على سريره ويكرمه لمكان ابنته ودفع له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة(٧١)».

والجدير بالذكر أن زيد بن الحسن هذا كان ممن حضر الكربلاء مع عمه الحسين رضى الله عنه، كما أن حفيدة الحسن بن علي زينب بنت الحسن المثنى أيضا كانت متزوجة من الوليد بن عبد الملك الأموى(٧٢).

وأبوها الحسن بن المثنى أيضا كان ممن حضر كربلاء مع عمه وصهره الحسين وجرح جرحا شديدا. ونلفت الأنظار إلى أن الستة من حفيدات الحسن من أبناء مختلفين كن متزوجات من الأمويين من قادتهم وزعمائهم، ولقد عدد هذه المصاهرات أصحاب الأنساب أكثر من عشرين مصاهرة وقرابة والتى حصلت كلها بعد خلاف وقع بين على ومعاوية وبعد حروب الجمل وصفين(٧٣) وكذلك تزوج كثير من الهاشميين من بنات الأمويين ومن الأسرة الحاكمة بالذات كما كان بينهم الصلات والهبات ولقاء وزيارات وخاصة بين أئمة الاثنى عشرية وعوائلهم حيث لم يقم واحد منهم بالمحاربة مع الأمويين ومنازعة ملكهم غير الحسين بن علي رضى الله عنهما. وأما حروب والده العظيم علي بن أبى طالب مع معاوية فمشهورة معروفة، كما أن مصالحة أخيه الأكبر مع معاوية أمر مشهور لا يستطيع إنكاره أحد، وأما ما روى عن ابن الحسين زين العابدين عليّ، والراوى هو بخارى القوم الكلينى، يروى فى صحيحه الذى قال فيه محدث الشيعة النورى الطبرسى: هو أحد الكتب

(٧١) عمدة الطالب فى أنساب ابى طالب ص٧٠، طبقات ابن سعد ج٥ ص٢٣٤.
(٧٢) جمهرة أنساب العرب.
(٧٣) ولا ندرى من أين جاء الشيعة بهذه الاعتقادات أن محاربة على كفر، والمحارب معه كافر، فهؤلا أولاده وأهل بيته يكذبون هذه الأقاويل ويفندون هذه المزاعم.

الأربعة التى عليها تدوررحى الفرقة الإمامية. . وكتاب الكافى بينها كالشمس بين نجوم السماء. . . وإذا تأمل فيها المنصف يستغنى عن ملاحظة حال آحاد رجال سند الأحاديث المودعة فيه وتورثه الوثوق ويحصل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها وصحتها[٧٤]»

إن علي بن الحسين قال ليزيد بن معاوية:

أنا عبد مكره، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع[٧٥]»

وكذلك كان البقية ممن أدركوا بنى أمية، وعلى منوالهم من أدركوا الدور العباسى اللهم إلا الذين حاربوا ونازعوا الملك فلم يكن حظهم حليفهم حيث حوربوا ممن حاربوا وقتلوا، كما لم يكن معاملة الشيعة وخاصة الاثنى عشرية مع أئمتهم طيبة حيث رفضوهم وكفروهم، فقوتلوا وحوربوا من جانب (الأعداء) وكفروا ورفضوا من قبل (الأحباء) بدعوى: من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر[٧٦]»

وعن الحسين بن المختار قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: جعلت فداك: ويوم ترى الذين كذبوا على الله؟ قال: كل من زعم أنه إمام وليس بإمام، قلت: وان كان فاطميا علويا؟ قال: وإن كان فاطميا علويا[*]»

وحصيلة البحث أن التشيع الأول لم يكن مدلوله العقائد المخصوصة والأفكار المدسوسة، كما لم تكن الشيعة الأولى إلا حزبا سياسيا يرى رأى علىّ رضى الله عنه دون معاوية رضى الله عنه فى عصر علىّ. وأما بعد استشهاده وتنازل الحسن عن الخلافة فكانوا مطاوعين لمعاوية أيضا، مبايعين له، كما حصل مع إمامهم الحسن وأخيه الحسين

(٧٤) مستدرك الوسائل للطبرسى ج٣ ص٥٤٦ ط مكتبة دار الخلافة طهران ١٣٢١ هـ

(٧٥) كتاب الروضة من الكافى ج٨ ص٢٣٥

(٧٦) الكافى فى الأصول ج١ ص٣٧٣

(*) أيضا

وقائد عساكره قيس بن سعد، ولم يكن بينهم خلاف دينى ولا نزاع قبلى ولا عصبية الحسب والنسب، وكانوا يفدون على الحكام ويصلون خلفهم، كما كان الحسن والحسين وهما ابنا علي وفاطمة وسبطا رسول الله ﷺ يفدان على معاوية.

«فلما استقر الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراما زائدا، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، ويعطيهما عطاء جزيلا وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلى ولا بعدى، فقال الحسين: والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلا أفضل منا. ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية فى كل عام فيعطيه ويكرمه[٧٧]».

وكذلك ذكر المجلسى عن جعفر بن الباقر ـ الإمام السادس عند الشيعة ـ أنه قال الإمام الحسن يوما للإمام الحسين وعبد الله بن جعفر إن هدايا معاوية ستصل فى أول يوم من الشهر القادم ولم يأت هذا اليوم إلا وقد وصلت الأموال من معاوية وكان الإمام الحسن بن علي مديونا كثيرا فأدى ديونه من ذلك المال وقسم الباقى بين أهله وشيعته، وأما الإمام الحسين فبعد أداء الديون قسم ماله إلى ثلاث حصص، قسما لشيعته وخاصته وقسمين لأهله وعياله، وكذلك عبد الله بن جعفر[٧٨]».

وكذلك ذكر الكلينى أن مروان بن الحكم فرض لعليّ بن الحسين مالا كما فرض لشباب المدينة الآخرين:

استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش، ففرض لهم فقال علي بن الحسين عليهما السلام: فأتيته،

(٧٧) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٥٠، ١٥١.
(٧٨) جلاء العيون للمجلسى ص٣٧٦.

فقال: ما إسمك؟ فقلت: علي بن الحسين، ففرض لى(٧٩)».

وكـذلـك عم الحسين والأخ الأكبر لعلي رضى الله عنه، عقيل بن أبى طالب كان يفـد على معـاويـة رضى الله عنهـما ويأخـذ منـه الهـدايا والهبات ومرة ـ«أعطاه مائة ألف درهم(٨٠)».

وقد أقر بذلك ابن أبى الحديد الشيعى حيث كتب:

ومعاوية أول رجل فى الأرض وهب ألف ألف، وابنه يزيد أول من ضاعفـه، كان يجيـز الحسن والحسـين بن علي فى كل عام لكل واحد منه بألف ألف درهم. وكذلك كان يجيز عبد الله بن عباس وعبد الله بـ جعفر(٨١)».

وكذلك أبو مخنف الغالى:

وكـان معـاويـة يبعث إليـه (الحسـين) فى كل سنة ألف ألف د‍ي سوى الهدايا من كل صنف(٨٢)».

كما كانوا يصلون خلف الحكام وأمراء معاوية، وقد ذكر جعفر محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين «أن الحسن والحسين كانا يصلي خلف مروان ولا يعيدانها، ويعتدان بها(٨٣)».

وكـان مروان أمـيرا آنذاك على المدينة، كما ان أبان بن عثمان أ المدينة من قبل عبد الملك بن مروان الأموى قدم إلى الصلاة من قبل بن محمـد بن علي المشهـور بمحمـد بن الحنفية حيث قال له أبو هاشم محمد بن علي:

نحن نعلم أن الإمـام أولى بالصـلاة، ولـولا ذاك ما قدمناك.

---

(٧٩) الكافى فى الفروع، كتاب العقيقة باب الأسماء والكنى ج٦ ص١٩
(٨٠) الأمالى للطوسى ج٢ ص٣٣٤ ط النجف.
(٨١) شرح ابن أبى الحديد ج٢ ص٨٢٣.
(٨٢) مقتل أبى مخنف ص٧.
(٨٣) البداية والنهاية ج٨ ص ٢٥٨.

فتقدم فصلى عليه[٨٤]».

كما صلى على ابن أخى علىّ عبد الله بن جعفر الطيار[٨٥].

وكما صلى أبوه على جدهم عم النبى ﷺ وعم علي رضى الله عنه، على عباس بن عبد المطلب:

توفى العباس فى يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان ودفن بالبقيع[٨٦]».

هذا ومثل هذا لكثير.

وبعد هذا العصر تطور التشيع وتغيرت الشيعة، وتأثر وتأثروا من أفكار يهودية ومجوسية ونصرانية، وبعقائد مدخولة مدسوسة، نقمة على الحكام ومخدوعين بالتزويرات اليهودية والدسائس المجوسية، ومتأثرين من الذين تظاهروا بالإسلام تسترا على مكايدهم الخبيثة وتدابيرهم الهدامة، ومن الاختلاط بالفرس والبابليين، ومن الموالى الكارهين للعرب، الحاكمين عليهم والفاتحين بلادهم، والآخذين زمام أمورهم. والذى تولى كبر هذه العقائد والأفكار كان عبد الله بن سبأ مبعوث اليهود المتستر وراء إسم الإسلام، والمؤجج نار الفتنة، والنافخ فيها ضد أمير المؤمنين وخليفة المسلمين المنتخب بالاتفاق، صاحب رسول الله وزوج إبنتيه وابن عمته، الجواد الكريم، السخى ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه، كما سنتحدث عنه فى الباب الآتى مفصلا وبالأدلة والبراهين إن شاء الله تعالى.

ولاشك أن كثيرا من أتباعه - أى عبد الله بن سبأ - السبئيين

(٨٤) طبقات ابن سعد ج٥ ص٨٦.

(٨٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٢٦٧، الاصابة لابن حجر ج٢ ص٢٨١، أسد الغابة لا[بن] الأثير ج٣ ص١٣٥.

(٨٦) البداية والنهاية ج٧ ص١٦٢، الاستيعاب ج٣ ص١٠٠.

والمجوس واليهود والمنافقين دخلوا في معسكر عليّ رضى الله عنه تحت ستار شيعة علي، كما دخل بعض منهم في معسكر معاوية رضى الله عنه ولكنهم لم يكونوا لا من شيعة علي ولا من شيعة معاوية، بل هم كانوا كتلة مستقلة وفئة باغية، لها أفكارها وعقائدها، ولها أغراضها وأهدافها، وهم الذين كانوا يسعون بالفساد ويضرمون نار الحرب كلما أراد الطرفان الصلح والاتحاد بينهما، ومنهم نشأت فتنة الخوارج الذين كفروا عليا وعثمان ومعاوية معا، لأنه لم يكن همهم إسقاط خلافة عثمان ولا تحريض الناس عليه، بل كان كل ما يقصدون هو القضاء على دولة الإسلام وسد باب فتوحاتهم وغزواتهم. ولذلك عندما نجحوا بايقاع الفتنة بين المسلمين وتأليبهم على خليفة رسول الله الراشد الثالث وتفريق كلمة المؤمنين والتشتيت، بينهم تألبوا على عليّ كما تألبوا عليه، وهذا مما لا ينكره إلا مكابر أو مجادل بلا حق وعلم وبصيرة.

ومما لاشك فيه أنّ الشيعة الأولى المخلصين كانوا من هؤلاء براء، كما كان إمامهم وقائدهم يتبرأ منهم ويطردهم ويقتلهم. نعم ولكن الشيعة - أي شيعة علي كان يغلب عليهم التخاذل والتكاسل والجبن وعدم الاستقامة والعزيمة والنجدة والجلد والمروءة عكس ما كانوا عليه شيعة عثمان أو شيعة معاوية رضي الله عنهما، كما كان يغلب عليهم عدم الوفاء والإخلاص والأمانة والصدق عكس مخالفيهم. وعلى ذلك كان علي رضى الله عنه يشكو منهم ويواجه الصعاب والمتاعب مع شجاعته النادرة وجرأته المشهورة وإقدامه المعروف وتفوقه على الأقران، ولأجل ذلك كان يقول لهم:

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندما،

وأعقبت سدمـا ، قاتلكم الله ، لقـد ملأتم قلبى قيحا ، وشحنتم صدرى غيظـا ، وجـرعتمـونى نغب التهام أنفاسا ، وأفسدتم عليّ رأيى بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبى طالب لا علم له بالحرب .

لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا ، وأقدم فيها مقاما منى ، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وهاأنا ذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع(٨٧) .

ويقول مقارنا بينهم وبين شيعة معاوية :

أما والذى نفسى بيده ، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسـراعهم إلى باطـل صاحبهم ، وابطائكم عن حقى . ولقـد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعـاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيتى . استنفــرتكم للجهــاد فلم تنفـروا ، وأسمعتكم فلم تسمعـوا ، ودعـوتكم سرا وجهـرا فلم تستجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، أشهود كغيـاب ، وعبيـد كأربـاب ، أتلوعليكم الحكم فتنفـرون منها ، وأعظكم بالمـوعظـة البالغة فتتفرقون عنها ، وأحثكم على جهاد أهل البغى فما آتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين أيادى سبا ، ترجعون إلى مجالسكم ، وتتخـادعـون عن مواعظكم ، أقـومكم غدوة وترجعون إليّ عشية ، كظهر الحنين ، عجز المقوم وأعضل المقوم .

أيهـا القـوم الشـاهـدة بأبـدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهـواؤهم ، المبتلى بهم أمـراؤهم . صاحبكم يطيـع الله وأنتم تعصونه ، وصـاحب أهـل الشـام يعصى الله وهم يطيعونه . لوددت والله أن معاوية صارفنى بكم صرف الـدينـار بالـدرهم فأخـذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم .

(٨٧) نهج البلاغة ص٦٧ .

يا أهـل الكـوفـة منيت منكم بثـلاث وإثنتـين، صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمى ذوو أبصـار، لا أحـرار صدق عنـد اللقـاء، ولا إخـوان ثقـة عند البلاء، تربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر، والله لكأنى بكم فيما أخالكم أن لو حمس الـوغى، وحمي الضـراب قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج المرأة عن قبلها[٨٨]».

وأكـبر دليـل على خذلان الشيعـة عليـا أن أخـاه الحقيقى وكبـير شيعتـه وابن أبيـه عقيـل بن أبى طالب تركـه والتحق بمعـاوية رضى الله عنهما وحارب تحت لوائه ضده كما أقر بذلك مؤرخ شيعى كبير:

إن عقيلا فارق أخاه عليا فى أيام خلافته وهرب إلى معاوية وشهد صفين معه[٨٩]».

وأمـا ما فعلوه بالحسن وبعـده بالحسـين فهـذه ودائع فى التاريخ لا يمكن التستر عليها، ولو سردنا كل ذلك لطال بنا الكلام.

وأمـا عدم أمـانتهم وصـدقهم وصفـائهم فقد أقر بذلك جعفر بن الباقر الملقب بالصدوق حيث ذكر أمامه أحد تلامذته عبد الله بن يعفور قال:

قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنى أخالط الناس فيكثر عجبى من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق. قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالسا فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام ليس من الله ولا عتب على من دان بولاية إمام من الله»[٨٩].

(٨٨) عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب ص١٥ ط الهند.
(٨٩) الأصول من الكافى ج١ ص ٢٣٧.

فهـذا كل ما أردنـا ثبتـه فى هذا الباب . وأما النقاط على الحروف فسنضعها فى الباب الثانى إن شاء الله تعالى .

الباب الثانى

التشيع والسبأية

إن الشيعة الأولى مع ما كان فيهم من التخاذل عن الحق والتكاسل عن مناصرة قائدهم على - رضى الله عنه - وجبنهم وغدرهم وخيانتهم وحبهم الدنيا وما فيها وإيثار الحياة على الموت فى سبيل الحق كما وصفهم على - رضى الله عنه - مخاطبا اياهم :

وانى والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفركم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم فى الحق ، وطاعتهم إمامهم فى الباطل ، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم ، وبصلاحهم فى بلادهم وفسادكم ، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته» [1] .

كانوا مع ذلك كله لا يختلفون عن الآخرين فى العقائد والأفكار كإنكار القرآن والاعتقاد بتحريفه وتغييره ، وإنكار السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، كما لم يكونوا مكفرين لأصحاب رسول الله ﷺ ومنكرين فضلهم ، وبخاصة الخلفاء الراشدون الثلاثة ، أبو بكر وعمر وعثمان ، وأزواج النبى صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين ، ولم يكوّنوا لهم مذهبا خاصا غير مذهب المسلمين ، العامة ولا عبادات وشعائر وطقوسا مخصوصة ، فكانوا يصلون بصلواتهم وخلفهم ، ويحجون بحججهم وتحت إمرتهم ، كما كانوا يصاهرونهم ، يزوجونهم ويتزوجون منهم قبل الحروب وبعدها ، وقبل الحوادث الأليمة وبعدها كما بيّناه سابقا وكما سنبينه مفصلا إن شاء الله ، إلا من تأثر بالأفكار المدخولة والدسائس

(١) نهج البلاغة : ص٦٧ . ط . بيروت .

اليهودية ، والأفكار غير الإسلامية من السبئيين والمنافقين المتظاهرين بالإسلام . والمتسترين به ، وخرج بذلك عن الجادة المستقيمة ، وعن جماعة علي وشيعته ، كالسبئيين والخوارج وغيرها من الفرق المنحرفة الضالة الباغية الذين ليس لهم علاقة لا بعلى ولا بأولاده ، وهو والطيبون من أولاده منهم براء ، وقد اخترعوا فى الدين وباسم الدين مالم ينزل به القرآن ولم يتكلم به رسول الله ﷺ .

فكان الأولون على ذلك ولم ينقل عن واحد منهم خلاف هذا ولكنهم بعد ذلك بزمان وخصوصا بعد شهادة الحسين ـ رضى الله عنه ـ تمسكوا بنفس الأفكار التى كانت تحملها السبئية وبث سمومها اليهودية والمجوسية وغيرهما من الفرق الباطلة الهدامة المعاندة للأمة الإسلامية ، فاعتنقوها وعلى قدر الاغراق والتمسك والاعتصام بهذه الأفكار زادوا فى الضلالات والسفاهات ، وافترقوا بفرق ، فمنهم من غالى وجازف وتجاوز جميع الحدود ، فسموا المغالين ، ومنهم من توسط لا فى الحق ولكنه فى الأخذ عن الباطل فسموا المتوسطين ، ومنهم من أخذ أشياء يسيرة واغترف غرفة أو غرفتين ولم ينزل فى قعرها ولم يسبح فى وسطها فسموا المعتدلين والمنصفين ، ولكن كل هؤلاء يجمعهم التلمذة على اليهودية الأثيمة والتشبث بأذيال عبد الله بن سبأ ، ابن سوداء اليهودى الخبيث الماكر ، فكل أخذ بقدره وأكتفى بحظه ، اللهم إلا من تبرأ منهم علنا وجهرا ومن أفكارهم ، فرفضوه على تبرئه الكامل(٢) ، وكانت هذه الأفكار والآراء التى دست بين المسلمين وخصوصا بين الموالين لعلي(٣) وأولاده بعد مؤامرة دبرت وأحكم نسيجها من قبل يهود اليمن باشتراك الآخرين على يد عبد الله بن سبأ ، تتكون من تفريق كلمة المسلمين

(٢) كاتباع زيد بن على بن الحسين المنصفون منهم ، ولو أن بعضا منهم يدعى اتباعه بنهج نفس المنهج ويسلك نفس المسلك كما سيأتى بيانه مفصلا إن شاء الله .

(٣) لانهم استعملوا اسم على وأهل بيته ـ كذبا وزورا ـ للتستر على نواياهم الخفية ومقاصدهم خبيثة ، ولذلك اغتر بهم قوم كانوا يدعون موالاة على وأهل بيته ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

وتشتيت شملهم وإيقاع الفتن وسل السيوف بينهم وإفساد الدين على المسلمين ونشر الإباحية والإلحاد، ولقصد تبديل الشريعة السماوية وتغيرها وتعطيلها، وعلى ذلك قال الاسفرائييني [٤] بعد ذكر جميع فرق الشيعة .

وأعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الأول ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى ﷺ، ويزعمون أنه قد كان فى القرآن النص على إمامة على فأسقطه الصحابة عنه. ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التى فى أيدى المسلمين، وينتظرون إماما يسمونه المهدى يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا فى الحال على شيء من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام فى الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلمة تكليف الشريعة عن أنفسهم، حتى يتوسعوا فى استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة، وتغيير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين [٥] . »

هذا وبما أننا ذكرنا ونريد أن نذكر ونثبت أن تطور التشيع الأول وتغيير الشيعة الأولى لم يكن إلا لإدخال الأفكار اليهودية المجوسية، والمتمثلة فى عبد الله بن سبأ أو السبئية واعتناق الشيعة لها واعتقادها، فلابد لنا أن نذكر عبد الله بن سبأ وجماعته السبئيين ومساعيهم لنشر الفتنة والفساد وبث سموم المعتقدات غير الإسلامية فى نفوس الضعفاء والجهلة

(٤) هو أبو المظفر شاهنور بن طاهر بن محمد الاسفرائيني الشافعي المفسر، إمام بارع، صنف التفسير الكبير وصنف فى الأصول وسافر فى طلب العلم وحصل الكثير، ارتبطه نظام الملك بطوس، فأقام بها سنين ودرس بها العلوم وأفاد الكثير، واستفاد الناس منه، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التبصير. توفى سنة ٤٧١هـ .

(٥) التبصير فى الدين للأسفرائيني : ص٤٣. ط. بغداد .

من النـــاس لأن الكـــلام لا يتفـرع إلا على الكـلام حولهم وحـولهـا أى السبئيين وأفكارهم .

عبد الله بن سـبأ والسبئية

إن عبد الله بن سبأ كان يهوديا من أهل صنعاء . أمه سوداء .

«وقـد كان عبـد الله بن سبأ هذا يهوديـا فى قلبه حفيظة على الدين الجـديـد الذى أزال ما كان اليهود يتمتعون به من الهيمنة والسلطان على عرب المـدينـة والحجـاز عامـة ، فأسلم فى أيـام عثـمان ، ثم تنقل فى بلاد الحجـاز، ثم ذهب إلى البصـرة ، ثـم إلى الكـوفـة ، ثـم إلى الشام ، وهو يحاول فى كل بلد ينـزل بها أن يضـل ضعـاف الأحـلام ، ولكنه لم يستطع السبيـل إلى ذلـك ، فأتى مصـر فأقـام بين أهلهـا ، وما فتىء يلفتهم عن أصـول دينهم ، ويـزين لهم ذلـك بما يزخـرفـه من القول حتى وجد مرتعاً خصيبـاً ، وكـان مما قالـه لهم : إنى لأعجب كيف تصدقون أن عيسى بن مريم يرجع إلى هذه الدنيا وتكذبون أن محمداً يرجع إليها؟ . وما زال بهم حتى انقادوا إلى القول بالرجعة وقبلوا ذلك منه ، فكان هو أول من وضع لأهل هذه الملة القول بالرجعة ، ثـم قال لهم بعد ذلك : إنه قد كان لكل نبـى وصـي ، وإن على بن أبـى طالـب هو وصي محمـــد ﷺ ! وليس فى الناس من هو أظلم ممن احتجر وصية رسول الله ولم يجزها ، بل هو يتعدى ذلـك فيثب على الـوصى ويقتسـره على حقـه ، وإن عثمان قد أخذ حق على وظلمـه ، فانهضـوا فى هذا الأمـر، وليكن سبيلكم إلى إعـادة الحق لأهله الطعن على أمـرائكم وإظهـار الأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكر، فإنكم تستميلون بذلك قلوب الناس ، واتخذ لهذه الدعوة أنصاراً بثهم فى الأمصار، وما زال يكاتبهم ويكاتبونه حتى نفذ قضاء الله ، وكان الضحية الأولى لهذه المؤامرة ذلك الخليفة الذى قتل مظلوما ، وبين يديه كتاب الله واعتدى على منزله وحرمه ، وكان قضاء الله قدراً مقدورا(٦) » .

(٦) مقالات الإسلاميين للأشعرى : ج١ ص٥٠ الهامش . ط . مصر .

ولقد ذكره أقدم المؤرخين الطبرى عنه بقوله: «كان عبد الله بن سَبَاء يهودياً من أهل صنعاء أمُّه سوداءفاسلم زمان عثمان ثم تنقّل فى بُلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشأم فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول لَعَجَب ممن يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل ﴿إنَّ الذِى فَرَضَ علَيكَ الْقُرْآن لَرَادُّكَ إلَى مَعَادٍ﴾ فمحمد أحقُّ بالرجوع من عيسى قال فقُبل ذلك عنه ووضع لهم الرَّجعْة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصى وكان على وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصى رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول الله ﷺ فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعاته وكاتب من كان استفسد فى الامصار وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الامصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصرٍ آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة يريدون غير ما يظهرون ويُسرون غير ما يُبدون فيقول أهل كل مصر انّا لفَى عافية مما ابتلى به هؤلاء الا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا لفى عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس

الـذى يأتينـا قال لا والله ما جاءنى إلا السلامة قالوا فأنا قد أتانا وأخبر وه بالـذى أسقطـوا إليهم قال فانتم شركـائى وشهود المؤمنين فأشير وا على قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الامصار حتى يرجعوا إليـك بأخبـارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيـد إلى البصـرة وأرسـل عمار بن ياسـر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمـر إلى الشـام وفـرق رجـالا سواهم فرجعـوا جميعا قبل عمار فقالوا أيها النـاس ما أنكـرنـا شيأ ولا أنكـره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا الأمــر أمـر المسلمـين الا ان أمـرائهم يقسطـون بينهم ويقـومـون عليهم واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا انه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح يخبرهم ان عمار قد استماله قوم مصر وقد انقطعوا إليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر(٧) ».

وبمثل ذلك قال ابن كثير وابن الأثير(٨) .

وقال ابن خلدون فى تاريخـه عنه :

«إن عبـد الله بن سبأ يعـرف بابن السـوداء كان يهوديـا فهاجر أيام عثـمان فلم يحسن إسـلامه ، فأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو فى السر إلى أهـل البيت. . . وكـان يحرض النـاس على القيام فى ذلك والطعن على الأمراء فاستمال الناس بذلك فى الأمصار وكاتب به بعضهم بعضا ، وكان معـه خالـد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر، فثبطوا عمارا عن المسير إلى المـدينـة ، (وكـان ممن أنكـروه على عثمان) اخراج أبى ذر من

---

(٧) الطبـرى : ج٥ ص٩٨ ـ٩٩ .

(٨) البداية والنهايـة : ج٧ ص١٦٧ .

الشام ومن المدينة إلى الربذة، وكان الذى دعا إلى ذلك شدة الورع من أبى ذر وحمله الناس على شدائد الأمور والزهد فى الدنيا، وأنه لا ينبغى لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه، ويأخذ بالظاهر فى ذم الادخار بكنز الذهب والفضة، وكان بن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله: المال مال الله، ويوهم أن فى ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين حتى عتب أبو ذر معاوية، فاستعتب له وقال: سأقول: مال المسلمين، وأتى ابن سبأ إلى أبى الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك، فدفعوه وجاء به عبادة إلى معاوية وقال: هذا الذى بعث عليك أبا ذر»(٩).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر عن أبى عساكر فى تاريخه:

«كان أصله من اليمن، وكان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، ودخل دمشق لذلك»(١٠).

ومثل ذلك قال الاسفرائينى:

«إن ابن سوداء كان رجلا يهوديا، وكان قد تستر بالإسلام، أراد أن يفسد الدين على المسلمين»(١١).

وأما سعيه للفتنة والفساد فلقد ورد طرف من أخباره فيما ذكرناه وكما ذكره الطبرى مفصلا فى تاريخه أنه كان يوما فى بصرة ويوما فى كوفة ويوما فى مصر كما ذكر عن حكيم بن جبلة.

لما مضى من امارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن فى عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم بن جبلة رجلا لصا إذا قفل الجيوش خنس عنهم، فسعى فى أرض فارس يغير على أهل الذمة

---

(٩) تاريخ ابن خلدون: ج٢ ص١٣٩. تحت عنوان بدأ الانتقاض على عثمان.

(١٠) لسان الميزان: ج٣ ص٢٨٩.

(١١) التبصير فى الدين لأبى المظفر الأسفرائينى: ص١٠٩

ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء، ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن أحبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا، فحبسه، فكان لا يستطيع أن يخرج منها، فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه، وأرسل إليه ابن عامر فسأله ما أنت؟. فأخبر أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك، فقال: ما يبلغنى ذلك، فأخرج عنى فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم[١٢]».

ثم كان فى مصر، ومن مصر جاء مع قتلة عثمان إلى المدينة .

خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الليثى وسودان بن حمران السكونى وقتيرة بن فلان السكونى وعلى القوم جميعا الغافقى بن حرب العكى، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن سوداء[١٣]».

ولقد كتب أحمد أمين المصرى عنه :

«ان ابن سوداء هذا أتى إلى أبى الدرداء وعبادة بن الصامت فلم يسمعا لقوله، وأخذه عبادة إلى معاوية وقال له: هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر، ونحن نعلم أن ابن السوداء هذا لقب به عبد الله ابن سبأ، وكان يهوديا من صنعاء أظهر الإسلام فى عهد عثمان وأنه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبث فى البلاد عقائد كثيرة: فى الحجاز والبصرة

---

(١٢) الطبرى : ج٥ ص٩٠ .

(١٣) الطبرى : ج٥ ص١٠٣، ١٠٤ .

والكـوفـة والشـام ومصـر، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن»(١٤).

وكتب أيضا :

«وهو الذى حرك أبا ذر الغفارى لدعوة الاشتراكية وهو الذى كان من أكبر من ألب على عثمان فى الأمصار. . . والذى يؤخذ من تاريخه أنه وضع تعاليم لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبث تعاليمه واتخذ الإسلام ستارا يستر به نياته، نزل البصرة بعد أن أسلم ونشر فيها دعوته، فطرده واليها، ثم أتى الكوفة فاخرج منها، ثم جاء مصر فالتف حوله أناس من أهلها»(١٥).

وقبـل أن نستطـرد فى الأسبـاب التى جعلوهـا وسيلة لتفريق كلمة المسلمـين وتشتيت شملهم وتمـزيق كلمتهم والتـآمـر على أمـير المؤمنين وخليفـة المسلمـين، صاحب رسـول الله وصهـره ذى النـورين عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ نريد أن نذكر العقائد اليهودية التي نفث سمومها هذا الخبيث، الملعون على لسان على ـ رضى الله عنه ـ واتنقها القوم، وفـرعت عليـه الفروع، وعليها وبها افترقت فرقهم وذهب كل فريق منهم إلى ما يهوونه ويشتهونه .

الأفكار اليهودية المدسوسـة

ولقـد أخـبرنا عن أفكار ابن السوداء هذا، والتى حملها من اليهود المبغضين رسول الله الصادق الأمين وأمته أشد البغض وما جاء به عن الله تبارك وتعالى، الناقمين عليه وعليهم، والمكايدين والماكرين له ولهم، من أول يوم دخلوا يثرب وحوّلوها إلى المدينة، وقضوا على يهود قينقاع وبنى

(١٤) فجر الإسـلام : ص١١٠، ١١١ .

(١٥) أيضـا : ص٢٦٩ .

النضير وبنى المصطلق ويهود خيبر وغيرهم، يخبرنا عن كل ذلك أقدم مؤرخ شيعى، وأول من كتب فى الفرق من القوم ألا وهو النوبختى أبو محمد الحسن بن موسى من أعلام الشيعة فى القرن الثالث للهجرة. فقال:

«السبئية: أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال: إن عليا - عليه السلام - أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟. فصيره إلى المدائن.

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب على - عليه السلام - أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى - عليه السلام - بهذه المقالة، فقال بعد إسلامه فى على - عليه السلام - بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على - عليه السلام - وأظهر البراءاة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض[١٦]».

ويذكر أبو عمرو بن عبد العزيز الكشى من علماء القرن الرابع للشيعة فى أقدم كتاب شيعى فى الرجال عديدا من الروايات عن عبد الله بن سبأ وعقائده وأفكاره نثبت بعضا منها ههنا:

«حدثنى محمد بن قولويه. قال: حدثنى سعد بن عبد الله. قال: حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن على بن مهزيار عن فضالة

(١٦) فرق الشيعة للنوبختى: ص٤١، ٤٢. ط. المطبعة الحيدرية نجف بتعليق آل بحر العلوم. ط. ١٩٥٩م.

بن أيــوب الأزدى عن ابـان بن عثـمان قال : سمعت أبـا عبـد الله عليـه السـلام يقـول : لعن الله عبـد الله بن سبأ إنـه ادعى الـربـوبيـة فى أمـير المؤ منـين عليـه السـلام ، وكـان والله أمـير المؤ منين عليه السلام عبداً لله طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وان قوماً يقولون فينا مالا نقوله فى أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم» .

وبهـذا الاسنـاد عن يعقـوب بن يزيد عن ابن أبى عمير وأحمد بن محمد ابن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم عن أبى حمزة الثـمالى قال : قال على بن الحسـين ـ صلوات الله عليهما : لعن الله من كذب علينا إنى ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة فى جسدى ، لقد ادعى أمراً عظيما ماله لعنه الله ، كان علىّ ـ عليه السلام ـ والله عبداً لله صالحاً آخا رسول الله ، ما نال الكرامة من الله إلا بطـاعتـه لله ولـرسوله ، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلا بطاعته لله .

وبهذا الاسناد : عن محمد بن خالد الطيالسى عن ابن أبى نجران عن عبـد الله [بن سنـان] قال : قال أبـو عبد الله ـ عليه السلام ـ انا أهل بيت صديقـون لا نخلو من كذاب يكـذب علينـا ويسقـط صدقنا بكذبه علينـا عنـد النـاس ، كان رسـول الله صلى الله عليـه وآله أصدق الناس لهجة وأصدق البر ية كلها وكان مسيلمة يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين عليـه السـلام أصـدق من برأ الله بعد رسول الله وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه ويفتر ى على الله الكذب عبد الله بن سبأ .

وذكـر بعض أهـل العلم أن عبـد الله بن سبأ كان يهوديـا فأسلم ووالى عليا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون وصى موسى بالغلو، فقال فى إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآلـه فى على ـ عليـه السـلام ـ مثـل ذلـك ، وكـان أول من أشهر بالقول

بفرض إمامة علي. وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم، فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية(١٧) ».

وقال الحلي الشيعي الحسن بن علي في كتابه الرجالي المشهور:

«عبد الله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، كان يدعي النبوة، وأن عليا ـ عليه السلام ـ هو الله، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام فلم يرجع، فأحرقه في النار في جملة سبعين رجلا ادعو فيه ذلك(١٨) ».

ومثل ذلك القول قال إمام متأخري الشيعة في الرجال المامقاني في كتابه تنقيح المقال(١٩).

وذكر مؤرخ شيعي إيراني في تاريخه بالفارسية:

إن عبد الله بن سبأ توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفيه (أي عثمان بن عفان) كثيرون هناك، فتظاهر بالعلم والتقوى، حتى افتتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه، وإن لكل نبي وصياً وخليفة، فوصي رسول الله وخليفته ليس إلا عليا، المتحلي بالعلم والفتوى، والمتزين بالكرم والشجاعة، والمتصف بالأمانة والتقى، وقال: ان الأمة ظلمت عليا، وغصبت حقه، حق الخلافة والولاية، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاضدته وخلع طاعة عثمان وبيعته، فتأثر كثير من المصرين بأقواله وآرائه، وخرجوا على الخليفة عثمان(٢٠) ».

ومثل ذلك قال الرجالي الشيعي الأسترا آبادي:

ان عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين «ع» هو الله تعالى، فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقر، وقال: نعم أنت هو. فقال له أمير المؤمنين قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا

(١٧) رجال الكشي: ص١٠٠، ١٠١.
(١٨) كتاب الرجال للحلي: ص٤٦٩. ط. طهران. ط. ١٣٨٣هـ.
(١٩) ج٢ ص١٨٤. ط. إيران
(٢٠) تاريخ شيعي: روضة الصفا. في اللغة الفارسية: [ج٢ ص٢٩٢]. ط. طهران.

وتب ثكلتك أمك. فأبى، فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار[٢١] ».

ولكن ابن أبى الحديد الشيعى الغالى المعتزلى شارح النهج يخالف ذلك بأن عليا أحرقه فإنه يرى أن القول بتأليه على لم يظهره عبد الله بن سبأ إلا بعد وفاة على - رضى الله عنه - فأظهره واتبعه قوم فسموا السبئية[٢٢] ».

ويؤيده فى ذلك من السنة عبد القادر البغدادى ولكنه يضيف إلى ذلك أن عليا لم يحرقه خوفا من شماتة أهل الشام حيث يذكر ابن سبأ والسبئية :

السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذى غلا فى على - رضى الله عنه - وزعم أنه كان نبيا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى على - رضى الله عنه - فأمر باحراق قوم منهم فى حفرتين، حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا - رضى الله عنه - خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، فلما قتل على - رضى الله عنه - زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا، وإنما كان شيطانا تصور للناس فى صورة علي، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم - عليه السلام - وقال : كما كذبت اليهودُ والنصارى فى دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصبُ والخوارجُ فى دعواها قتل على، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مَصْلوبا شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علي، وعليٌّ قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه .

(٢١) منهج المقال : ص٢٠٣ .

(٢٢) شرح نهج البلاغة : ج٢ ص٣٠٩ .

وزعم بعض السبئيّة أن علياً فى السحاب وأن الرعد صَوْته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين .

وقد روى عن عامر بن شراحيل الشعبى أن ابن سبأ قيل له: إن علياً قد قتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها .

وهذه الطائفة تزعم أن المهدىَّ المنتظرَ إنما هو علىٌّ دون غيره، وفى هذه الطائفة قال إسحاقُ بن سُوَيْد العَدَوِىُّ قصيدةً برىء فيها من الخوارج، والروافض، والقَدَرية منها، هذه الأبيات :

برئْتُ من الخوارج، لَسْتُ منهم ... من الغَزَّال منهم وابن بَابِ
ولكنى أحِبُّ بكُلِّ قَلْبى ... وأعْلَمُ أنَّ ذاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ الله وَالصِّدِّيقَ حُبّا ... بِهِ أرْجُو غَداً حُسْنَ الثَّوَابِ

وقد ذكر الشعبىُّ أن عبد الله بن السَّوْدَاء وكان يعين السبئية على قولها، وكان ابن السوداء فى الأصل يهودياً من أهل الحِيرَة فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سُوقٌ ورياسة، فذكر لهم أنه وَجَدَ فى التوراة أن لكل نبى وصياً، وأن علياً ـ رضى الله عنه ـ وصىُّ محمدٍ ﷺ وأنه خَيْرُ الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء، فلما سمع ذلك منه شيعة على قالوا لعلى: إنه من مُحِبِّيك، فرفع علىٌّ قدره، وأجلسه تحت درجة منبره. ثم بلغه فيه فهمٌّ بقتله، فنهاه ابنُ عباس عن ذلك وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابكَ، وأنت عازم على العَوْد إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مُدَاراة أصحابك، فلما خشى من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنَةَ التى خافهاَ ابن عباس نفاهما إلى المدائن فافْتَتَنَ بهما الرعاع بعد قتل على ـ رضى الله عنه ـ وقال لهم ابن السوداء: والله

لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عَيْنَان تفيض إحداهما عَسَلاً والأخرى سَمْنا، ويغترف منهما شيعته .

وقال المحققون من أهل السنة : إن ابن السوداء كان على هَوَى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على وأولاده لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى - عليه السلام - فانتسب إلى الرافضة السَّبئيَّة حين وَجَدَهم أعْرَقَ أهل الأهواءِ فى الكفر، ودَلَّسَ ضلاَلَتَهُ فى تأويلاته[٢٣] » .

وذكر هذا وعقائده وجماعته من الشيعة كل من سعد القمى المتوفى ٣٠١هـ[٢٤] والطوسى شيخ الطائفة[٢٥] والتسترى فى قاموس الرجال[٢٦] وعباس القمى فى تحفة الأحباب[٢٧] والخوانسارى فى روضات الجنات[٢٨] والأصبهانى فى ناسخ التواريخ وصاحب روضة الصفا فى تاريخه[٢٩] .

كما ذكر عقائده علماء من السنة كالبغدادى فى الفرق بين الفرق كما مرّ آنفا .

وبمثل هذا قال الاسفرائينى فى كتابه التبصير[٣٠] والرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٣١] وابن حزم فى الفصل وغيرهم .

وقال الشهرستانى تحت عنوان السبئية :

السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى - عليه السلام :

(٢٣) الفرق بين الفرق : ص٢٣٣ - ٢٣٥ . ط. مصر .

(٢٤) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعرى القمى : ص٢١ . ط. طهران ١٩٦٣م .

(٢٥) رجال الطوسى : ص٥١ . ط. نجف. ط. ١٩٦١م .

(٢٦) ج٥ ص٤٦٣ .

(٢٧) ص١٨٤ .

(٢٨) روضـــات الجنات .

(٢٩) ج٣ ص٣٩٣ . ط. إيران .

(٣١) ص١٠٨، ١٠٩ .

(٣١) ص٥٧ . ط. دار الكتب العلمية .

أنت أنت يعنى أنت الإلـه، فنفـاه إلى المـدائن، وزعمـوا أنه كان يهوديا فأسلم، وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى مثل ما قال فى على ـ عليه السلام ـ وهو أول من أظهر القول بالفرض بامامة على، ومنـه انشعبت أصنـاف الغـلاة، وزعمـوا أن عليا حي لم يقتل وفيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولى عليه، وهو الذى يجىء فى السحاب والرعد صوتـه والـبرق سوطـه، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وإنما أظهـر ابن سبأ هذه المقـالة بعد انتقال علي ـ عليه السلام[٣٢].

وقال ابن عساكر فى تاريخه عن جابر قال :

لما بويع على ـ رضى الله عنه ـ خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ، فقـال له : أنت دابـة الأرض، فقـال له : اتق الله، فقـال له : أنت الملك، فقال : اتق الله، فقال له : أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق، فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضة فقالت : دعه وأنفه إلى سابط المدائن[٣٣]

وذكر الآلوسى نقلا عن ابن الحكيم الدهلوى :

السبئية : وهـم عبارة عن الذين يسبون الصحابة، إلا قليلا منهم كسلمان الفـارسى وأبى ذر والمقـداد وعـمار بن ياسـر ـ رضى الله عنهم ـ وينسبونهم ـ وحاشاهم ـ إلى الكفر والنفاق، ويتبرأون منهم، ومنهم من يزعم والعيـاذ بالله تعـالى ارتـداد جميـع من حضر غديرخم يوم قال عليه الصـلاة والسـلام : «من كنت مولاه فعلى مولاه». الحـديث، ولم يف بمقتضـاه من بيعـة الأمير كرم الله وجهه بعد وفاته عيه الصلاة والسلام، بل بايـع غيره، وهـذه الفرقة حدثت فى عهد الأمير رضى الله تعالى عنه

(٣٢) الملل والنحـل : ج٢ ص١١. هامش الفصل.

(٣٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ج٧ ص٤٣٠.

باغراء عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعائى(٣٤) ».

وأخيرا ننقل ما كتبه أحمد أمين عنه وعن جماعته :

انتشرت الجماعة السرية فى آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره، ومن هذه الجمعيات من كانت تدعو إلى علي، ومن أشهر الدعاة له عبد الله بن سبأ ـ وكان من يهود اليمن فأسلم ـ فقد تنقل فى البصرة والكوفة والشام ومصر يقول: إنه كان لكل نبى وصى، وعلى وصي محمد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه، وكان من أكبر الذين آلبوا على عثمان حتى قتل(٣٥) ».

«وانه وضع تعاليم لهدم الإسلام، وألف جمعية سرية لبث تعاليمه، واتخذ الإسلام ستارا يستر به نياته، نزل البصرة بعد أن أسلم ونشر فيها دعوته فطرده واليها، ثم أتى الكوفة فأخرج منها، ثم جاء مصر فالتف حوله ناس من أهلها، وأشهر تعاليمه الوصاية والرجعة. فأما الوصاية فقد ابنّاها قبل، وكان قوله فيها أساس تأليب أهل مصر على عثمان، بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة من على بغير حق، وأيد رأيه بما نسب إلى عثمان من مثالب. وأما الرجعة فقد بدأ قوله بأن محمدًا يرجع، وكان مما قاله: العجب ممن يصدّق أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمدا يرجع، ثم نراه تحول ـ ولا ندرى لأى سبب ـ إلى القول بأن عليا يرجع. وقال ابن حزم: ان ابن سبأ قال ـ لما قتل على ـ لو أتيتمونى بدماغه الف مرة ما صدقنا موته، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية، فعندهم أن النبى الياس صعد إلى السماء، وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة فى

---

(٣٤) مختصر التحفة الاثنا عشرية : ص٥-٦. ط. مصر ١٣٨٣هـ.

(٣٥) فجر الأسلام : ٣٥٤.

النصرانية أيضا فى عصورها الأولى[٣٦] » .

فهذا هو عبد الله بن سبأ وهذه هى دعوته وأفكاره وعقائده، وهذه هى الأفكار التى حملها من اليهودية والمجوسية وغيرها بخطة مدبرة ومؤامرة محكمة من قبل أعداء الله وأعداء رسوله، والإسلام وأعداء الأمة وقادتها وأبطالها لبث سمومها بين المسلمين باسم الإسلام . وسوف نرى ونحقق كيف اعتنق الشيعة بهذه الأفكار وتمسكوا بهذه العقائد، وكيف تطور التشيع الأول وتغيرت الصيغة الأولى وتسربت فيهم نفس الأفكار التى كان يردّ عليها ويعارضها علي - رضى الله عنه - وكيف توغل فى الشيعة من كان يطاردهم ويتبرأ عنهم ويؤدبهم ويقتلهم علىّ، ويلعنهم أبناؤه وأولاده .

وقبل أن نضع النقاط على الحروف نريد أن نذكر أن بعض الرجال من مواليد القرن الرابع عشر من الهجرة - وأخص الشيعة منهم - أنكروا وجود هذا اليهودى الماكر، ولكن إنكارهم لا يستند إلى دليل وبرهان، وإنكارهم هذا ليس إلا كإنكار الشمس وهى طالعة، لأنه لم يذكر ابن السوداء هذا واحد ولا اثنان من المخاصمين والمعاندين، بل ذكر كل من ألف فى الفرق والرجال، فى التاريخ وفى السير كما أثبتناه من أئمة الشيعة فى الفرق والرجال والتاريخ والنقد غير السنة ومن رجال السنة، وقد بحثنا هذه القضية بتحليل منطقى وواقعى وبغربلة الدعاوى التى اطلقت فى هذا المضمار فى كتاب : (الشيعة وأهل البيت) ولكن نقول ههنا كلمة قصيرة ألا وهى : هل يوجد واحد قبل القرن الرابع عشر وحتى من الشيعة من أنكر وجود هذا الرجل؟ .

ثم وماذا عن الكتب التى تتحدث عن هذا الرجل من كتب الفرق

(٣٦) أيضـــا : ص٢٦٩ -٢٧٠ .

والملل والرجال والتاريخ وهى متفقة لفظا ومعنى تقريبا فى ذكره وأوصافه ونعوته وعقائده وأفكاره؟ .

ثم ولماذا الخوف من الفضيحة والعار؟ وإن كان هناك عار فلماذا التستر .

وهل لا يجر هذا الإنكار إلى أن ينكر شخص وجود على ومعاوية ووقوع الحوادث إن كان هناك مجرد إنكار؟ . وما أعدله ما قاله عالم شيعى معاصر قريب ـ مع تعصبه ـ وهو يذكر الغلو وتاريخه، فيقول: انه بعد تولية أمير المؤمنين علي منصب الخلافة ظهر فى أيامه قوم وأرادوا إخراجها من قالب «الموالاة والتمسك» إلى قالب التأليه لعلى (ع) «ولما بلغه عنهم ذلك أنكره أشد الإنكار. وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه» .

والظاهر أن عبد الله بن سبأ لم يكن (وقتئذ) على هذه المقالة الغالية ولا شمله الإحراق، وهذا ما يراه ابن أبى الحديد بقوله: استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ بعد وفاة على أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسُموا السبئية .

ويوافقه الشهرستانى بقوله: وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال على عليه السلام» ولكن الاستر ابادي يخالفهما بما رواه من أن عبد الله ابن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين (ع) هو الله تعالى . فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقر وقال نعم أنت هو. فقال له أمير المؤمنين: قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك. فأبى فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار» ولا يبعد أن يكون الأرجح ما قاله ابن أبى الحديد من أن ابن سبأ لم يشمله الإحراق وأنه أظهر تلك المقالة بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) . ووافقه الشهرستانى على ذلك وان قال قبله: «إن ابن سبأ قال لعلى ـ عليه السلام

أنت أنت، يعنى أنت الإله، فنفاه إلى المدائن» ولا ينافى هذا القول قوله الآخر إذ من المحتمل قريباً أن يكون ابن سبأ قد قال لعلى (أنت أنت) لكنه قد أخفاه فى حياة على (ع) أيام منفاه وبعدها إلى أن توفى على (ع) فأظهره بعد ذلك بسنة أو بأقل .

وعلى كل حال فان الرجل ـ أى ابن سبأ ـ كان فى عالم الوجود وأظهر الغلو. وإن شك بعضهم فى وجوده وجعله شخصا خياليا شخصته الأغراض الشخصية، أما نحن بحسب الاستقراء الآخير فلا نشك بوجوده وغلوه . . . نعم غلا ابن سبأ فى دينه وتسربت بدعته هذه إلى أفكار جماعة غير قليلة، قد سميت باسمه . وأخذت بعد ذلك بالتطور السريع حتى تجاوزت عن القول بإلهية فرد من المخلوقين إلى القول بإلهية اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أكثر من أهل البيت عليهم السلام[٣٧]

وقد أقر وجوده من أعلام الشيعة المتأخرين المظفرى فى كتابه تاريخ الشيعة[٣٨]

وكذلك كبير القوم السيد محسن الأمين فى موسوعته[٣٩] .

وغيرهم الكثيرون الكثيرون .

فهذا هو عبد الله بن سبأ، وهذه العقائد التى حملها إلى المسلمين والى الشيعة بالذات بتعبير صحيح ودقيق، لأنهم هم كانوا الحقل الصالح لبذر هذه البذور، ومنهم كان يتوقع أن يجد آذانا صاغية وقلوبا واعية، وباسم قائدهم كان يتوقع إثارة الضغائن والأحقاد .

---

(٣٧) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين : ص٢١٢ـ٢١٣ . ط. دار الآثار. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

(٣٨) أنظر تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى : ص١٠ . ط. قم .

(٣٩) أنظر أعيان الشيعة وخاصة الجزء الأول من القسم الأول .

وفعلا استطاع جذب الكثير منهم إليه وإلى معتقداته خصوصا بعد ما كان مظفرا منصورا فى إتاحة حكم الإمام المظلوم عثمان بن عفان له اختلاق قصص باطلة وأساطير كاذبة(٤٠) وتكوينه جمعية سرية تعتقد فى علي - رضى الله عنه - وصاية النبى ووراثته، وإيجاد رجال يقدسونه ويؤلهونه ويتصفونه بأوصاف ونعوت هى لله خاصة، فدخل هؤلاء كلهم تحت رأيتهم فى شيعة علي - رضى الله عنه - واندمجوا معهم، وبدأوا ينفثون السموم إلى رفاقهم ومصاحبيهم ومجالسيهم، فتأثر من تأثر وكتم من كتم وظهر من ظهر، فنكل الإمام علي بن أبى طالب - رضى الله عنه - بمن أكتشف وأظهر عقيدته الأصلية الخافية وعذبهم أشد العذاب، وطرد بعضا منهم وقتل البعض الآخرين سيفا وحرقا، وأعلن فى ملأ من الناس أنه ليس إلا عبدا لله طائعا، وأن من يكتشف أنه من السبئيين يعمل به ما عمل بالمحرقين، ومن وجده متأثرا منهم وعلم أنه يفضله على الشيخين أو يتكلم فيهم فيجلده حد المفترى كما روى زيد بن وهب أن سويد بن غفلة

دخل على عليّ فى إمارته فقال: انى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم، عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ أول من أظهر ذلك، فقال على: مالى ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن، وقال: لا يساكننى فى بلدة أبدا، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة فى ثنائه عليهما بطوله وفى آخره: ولا يبلغنى عن أحد يفضلنى عليهما إلا جلدته حد

(٤٠) نخصص لهذه القصص الباطلة والأساطير الموضوعة بابا مستقلا فى هذا الكتاب لما لها من علاقة وثيقة بشيعة اليوم، وانهم لم يأخذوا هذه التهم إلا من عبد الله بن سبأ، كما أخذوا العقائد منه وسنبين هذا كله مفصلا إن شاء الله بالبراهين والأدلة

المفترى[٤١].

وذكر الهمذانى المعتزلى المتوفى ٤١٥ هـ هذه الرواية أيضا ولكن فيها من الفوائد ما ليست فى غيرها، فنريد ان نثبتها ههنا، فانه يقول:

وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه: إن أمير المؤمنين قال لى: إنه يدخل دمشق ويهدم مسجدهم حجرا حجرا، ويظهر على أهل الأرض ويكشف اسرارا ويعرفهم أنه ربهم، وليس لهذا كأبى بكر وعمر وعثمان.

ولقد أتى أمير المؤمنين - رضى الله عنه - سويد بن غفلة، وكان من خاصته وكبار أصحابه، فقال له: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذى هما من الأمة له أهل، ويرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا، فقال: أعوذ بالله أعوذ بالله مرتين، أن أضمر لهما إلا الذى أتمنى المضى عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله ﷺ وصاحباه ووزيراه، - رحمة الله عليهما - ثم نهض دامع العينين يبكى، قابضاً على يد سويد، حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً، قابضاً على لحيته، وهى بيضاء، حتى اجتمع الناس. ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدَىَ قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متنزه، ومما قالوا برىء، وعلى ما قالوا معاقب، أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان، ويقضيان ويعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ، وكان لا يرى مثل رأيهما رأياً، ولا يحب كحبهما أحداً، مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمّر رسول الله ﷺ أبا بكر على صلاة

---

(٤١) لسان الميزان لابن حجر العسقلانى: ج٣ ص٢٩٠. ط. بيروت.

المؤمنين، فصلى بهم تلك الأيام فى حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه عليه السلام واختار له ما عنده، مضى مفقوداً ﷺ، ولاه المؤمنون ذلك، وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، أنا أول من سنَّ له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره، يودّ لو أن بعضنا كفاه، فكان والله خير من بقى رأفة، وأرحمه رحمة، وأيبسه ورعاً، وأقدمه سلماً وإسلاماً، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ، حتى قبضه الله على ذلك، ثم ولىّ الأمر بعده عمر، واستأمر فى ذلك المسلمين، فمنهم من رضى ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، وأقام الأمر على منهاج النبى ﷺ، يتبع أثرهما كاتباع الفصيل أثر أمه، وكان والله رفيقاً رحيماً لضعفاء المسلمين، وبالمؤمنين عوناً وناصراً على الظالمين، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواما، ألقى الله له فى قلوب المؤمنين المحبة وفى قلوب المشركين المنافقين الرهبة، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فطناً غليظاً على الأعداء، وبنوح حنقاً مغتاظاً على الكفار، والضراء على طاعة الله آثر عنده من السراء على معصية الله، فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضيّ على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما، واتباع آثارهما، فمن أحبنى فليحبهما، ، ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، فمن أوتيت به بعد هذا اليوم فإنه عليه ما على المفترى، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولى هذا وأستغفر الله لي

ولكم[٤٢] » .

وأورد هذه الخطبة كثير ون من الشيعة والسنة ، ويؤيد ذلك ما ذكره النوبختى الشيعى من همه البطش بمن يتكلم فى أبى بكر وعمر كما مرّ .

فكتم السبئيون أمرهم وبدأوا يعملون فى السر والخفاء ، وتقنعوا بقناع التقية[٤٣] .

وهكذا حاول واستطاع على - رضى الله عنه - الحفاظ على شيعته ، وحال بينهم وبين العقائد اليهودية المجوسية ولكنه لم يكد يقضى عليه ويستشهد بيد ابن ملجم المرادى الخارجى حتى ظهرت السبئية بكل قوة ، وعبد الله بن سبأ بكل صراحة ، حتى قال لمن نعاه بشهادته :

كذبت يا عدو الله لو جئتنا - والله - بدماغه فى صرة فأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض ، ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب على ، فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع فى الوصول إليه ، فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده : سبحان الله ، ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟ قالوا : انا نعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه ، وانه ليمسع النجوى ويعرف تحت الدثار الثقيل ويلمع فى ظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام[٤٤] » .

(٤٢) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى : ج٢ ص٥٤٦-٥٤٨ . ط . بيروت .

(٤٣) ولعل عقيدة التقية أيضا انتقلت إلى الشيعة من هؤلاء الناس لأنهم أول من استعملوها خوفا من عقوبة على - رضى الله عنه - ومطاردته .

ويؤيد ذلك ما رواه الهمذانى عن السبئية أنهم يقولون ان على بن أبى طالب لم يحرق من حرقه إلا : «لأنهم أظهروا السر، ثم أحياهم بعد ذلك » . تثبيت دلائل النبوة : لعبد الجبار الهمذانى [ج٢ ص٥٤٩-٥٥٠] . ط . بيروت .

(٤٤) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الشيعى القمى ، تثبيت دلائل النبوة : ج٢ ص٥٤٩ .

وادعت هذه الفئة الخبيثة وهذه الفرقة المارقة عن الدين وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ أن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ هو الذى لقنهم هذه التعاليم ، وهم لم يتلقوا هذه الأفكار إلا منه كما أشار إلى ذلك الكثيرون من المؤرخين وأئمة الرجال والفرق . ويؤيد ذلك ما ذكره النوبختى أن عبد الله بن سبأ كان يقول فى حياة على ـ رضى الله عنه ـ أن عليا هو الذى أمره باللعن والطعن على أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ[٤٥] » .

فانخدع به كثير من الشيعة ومالوا إليه وإلى أقواله والعقائد التى اخترعها واختلقها ، وبذلك تطور التشيع الأول وتغيرت الشيعة الأولى ، فصار التشيع مذهبا دينيا بعد أن كان سياسيا محضا ، وصارت الشيعة حزبا دينيا بعد أن كانوا حزبا سياسيا خالصا .

ولقد قال بهذا القول المستشرق الألمانى ولهوزن أيضا حيث يذكر الشيعة الأولى بأنهم تمكنوا أولا فى العراق .

«ولم يكونوا فى الأصل فرقة دينية ، بل تعبيرا عن الرأى السياسى فى هذا الأقليم كله . فكان جميع سكان العراق ، خصوصا أهل الكوفة ، شيعة على تفاوت فيما بينهم ، ولم يقتصر هذا على الأفراد بل شمل خصوصا القبائل ورؤساء القبائل . ولا يلاحظ بينهم إلا درجات فى التشيع . لقد كان علي فى نظرهم رمزا لسيادة بلدهم المفقودة . ومن هنا نشأ تمجيد شخصه وآل بيته ، تمجيدا لم يرتح له أثناء حياته . على أنه ما لبث أن تكونت فى أحضان مذهبٍ سرى عبادة حقيقية لشخصه[٤٦] » .

وهذا هو القول الحق لأن عليا ـ رضى الله عنه ـ لم ينقل فى الصحيح عنه أنه كان يعد نفسه أو أهل بيته مختلفين عن أبى بكر وعمر

---

(٤٥) أنظر فرق الشيعة للنوبختى : ص٤٤ .

(٤٦) الخوارج والشيعة : ص١١٣ .

وعثمان، بل كان يفضلهم عليه وعلى أولاده، وكان ينتهج منهجهم ويسلك سبيلهم، وكان يعد خلافته امتدادا لخلافتهم كما ذكر ذلك فى خطبته المشهورة المنقولة عنه أنه قال مخاطبا معاوية فى كتاب له إليه :

إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار وللغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى .

ولعمرى، يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّى أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنى كنت فى عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجن ما بدالك. والسلام(٤٧) » .

وعلى ذلك قال ولهوزن :

كان القدماء من أنصار على يعدّونه فى مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين. فكان يسلك مع أبى بكر وعمر وكذلك مع عثمان ـ طالما كان عادلا فى خلافته ـ فى سلك واحد، وكان يوضع فى مقابل الأمويين المغتصبين للخلافة بوصفه استمراراً للخلافة الشرعية. وحقه فى الخلافة نأشىء عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه فى القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق ـ أو على الأقل لم ينشأ مباشرة ـ عن كونه من آل بيت الرسول(٤٨) .

وهذه الحقيقة الثابتة الناصعة لا ينكرها إلا الجاهل أو المتجاهل المكابر المعاند .

ثم ولم يجد التشيع هذا والسبئيون طريقا للتقدم أمامهم إلا

(٤٧) نهج البلاغة : ص٣٦٦ ـ٣٦٧ .

(٤٨) الخوارج والشيعة : ص١٧١ .

لضعف الحسن بن عليّ ـ رضى الله عنه ـ فى لمّ الأمور وجمعها أوالسيطرة الكاملة على جماعة أبيه، والمؤمرات المدبرة الكامنه وراء الأستار من قبل اليهودية وانضمام المجوسية، إليها لاندحارها أمام زحف الإسلام والجيوش الإسلامية الظافرة المنصورة، وتكالب الموالى الفرس ضد العرب المسلمين الهازمين قوتهم وشوكتهم، والمدمرين حضارتهم، وأيضا تكاتف المتنفعين الآخرين من أبناء الأمم المدحورة الأخرى الذين كانوا يتحينون الفرص المواتية للانتفاضة ضد الفاتحين والحكام الباعثين البعوث، والمرسلين العساكر، والمجندين الجنود للقضاء على بقيتهم الباقية وعلى الوثنيات والشركيات، وظلم الظلمة وغلبة الطغاة المستبدين .

فلم يجد الحسن ـ رضى الله عنه وعن أبيه ـ قوة كافية لردع هؤلاء والحيلولة بينهم وبين تسرب أفكارهم إلى شيعته وشيعة أبيه المخلصين، خصوصا بعد ما تسرب فى قلوب شيعته الوهم والضعف، وازداد جبنهم وتخاذلهم، فكثر الكذب باسم أهل البيت، وفشت العقائد المدسوسة كما أقر بذلك الشيعى المشهور السيد محسن الأمين فى موسوعته نقلا عن واحد من أئمته أنه قال :

قال السيد على خان فى كتاب الدرجات الرفيعة فى طبقات الإمامية من الشيعة : روى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر ـ عليهما السلام ـ أنه قال لبعض أصحابه : يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس أن رسول الله (ص) قبض وقد اخبر أنا أولى الناس بالناس، فما لأت علينا قريش حتى أخرجت قريش الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش واحدا بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا

ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره وعوجلت خلاخل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودم أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين أهل العراق عشرون ألفا غدروا به وخرجوا عليه وبيعته فى أعناقهم فقتلوه، ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم، نقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكذابون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء فى كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة. ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس(٤٩)».

فكذب الكذابون ووضعوا أقوالا وروايات مختلقة ومخترعة لترويج باطلهم ونشر ضلالاتهم، وعليّ وأولاده الطيبون منها براء، وعلى رأس الوضاعين الدجالين والسعاة السبئيون وقائدهم عبد الله بن سبأ، فنجح ونجحوا أيّ ما نجاح حيث استطاعوا وبعد مدة طويلة وحوادث عديدة أن يفتنوا كثيرا من الناس وأن يخدعوهم ويخرجوهم عن الإسلام الصحيح الصريح، عن دين الله إلى المذهب الأجنبى الغريب، أن يخرجوهم عن العقائد الإسلامية الساذجة البسيطة، الخالية من شوائب الشرك والوثنية، وعن وحدانية الله عز وجل، وعن الحرية والجهاد والديموقراطية والعدل وعن كرامة الإنسان بعدم التفريق بينه وبين الآخر فى الحسب والنسب والجاه والحكومة والرئاسة، نعم أخرجهم عن هذا كله وألزمهم العقائد الفلسفية الكلامية المعقدة المأخوذة من التفلسف اليهودى والوثنية المجوسية والغوامض المسيحية، وإلى الإشراك بالله

(٤٩) أعيان الشيعة: ج١ ص٣٤.

والعبودية والاستغلال والتفرقة بين بنى آدم بالحسب والنسب والجاه والحكم والرئاسة، وأن شخصا أفضل لأنه ولد فى بيئة فلانية، وليس له شرف سواه، وأن فلانا أرذل لأنه لم يولد فى تلك الاسرة الأروستقراطية ولو حاز جميع أوصاف الشرف والمكرمة وغير ذلك من السخافات والترهات، فصار السبئيون أصلا لكل فرقة خرجت عن الشيعة، وصارت أفكار ابن سوداء عقائد لجميع تلك الفرق، فافترقوا حسب اختلافهم بالأخذ عنهم وعنها، فمن أخذها بحذافيرها سمى بذلك ومن أخذ بعضها وترك بعضا منها سمى بأولئك، ومن أخذ الأكثر وترك القليل سمى بهذا الاسم، وهكذا ولكنها ولا واحدة منها سلكت مسلكا غير مسلكهم، ولا انتهجت غير منهجهم، ولا مشت غير ممشاهم، وسوف ترى كل ذلك بعينيك وتشاهدها بنفسك بكتب موثوقة معتمدة، وبالأدلة والبراهين كما سنبينه فى باب الفرق فى الباب المستقل من هذا الكتاب حول فرق الشيعة.

وعلى ذلك قال الحكيم الدهلوى عند بحثه عن فرق الشيعة وبعد ذكر الشيعة الأولى :

الطبقة الثانية : جماعة ممن ضعف إيمانهم من أهل النفاق، وهم قتلة عثمان وأتباع عبد الله بن سبأ الذين كانوا يسبون الصحابة الكرام، وهم الذين انخرطوا فى عسكر الأمير وعدّوا أنفسهم من شيعته خوفا من عاقبة ما صدر منهم من تلك الجناية العظمى، وبعض منهم تشبثوا بأذيال الأمير طمعا فى المناصب العالية ورفعة المراتب فحصل لهم بذلك مزيد الأمنية وكمال الطمأنينة، ومع ذلك فقد أظهروا للأمير - كرم الله تعالى وجهه - ما انطووا عليه من اللؤم والخبائث. فلم يجيبوا دعوته وأضروا على مخالفته، وظهرت منهم الخيانة على ما نصبوا عليه، وأستطالت أيديهم على عباد الله وأكل أموالهم، وأطالوا ألسنتهم فى الطعن على

الصحـابة . وهذه الفرقة هم رؤساء الروافض وأسلافهم ومسلمو الثبوت عنـدهم ، فإنهم وضعـوا بنـاء دينهم وإيـمانهم فى تلك الطبقـة على رواية هؤلاء الفساق المنافقين ومنقولاتهم ، فلذا كثرت روايات هذه الفرقة عن الأمـير ـ كرم الله تعـالى وجهـه ـ بواسطـة هؤلاء الـرجـال . وقـد ذكـر المؤرخـون سبب دخـول أولئـك المنافقين فى هذا الباب ، وقالوا إنهم قبل وقـوع التحكيم كانـوا مغلوبـين لكثـرة الشيعـة الأولى فى عسكـر الأمـير وتغلبهم ولما وقع التحكيم وحصل اليأس من انتظام أمور الخلافة وكادت المـدة المعينـة للخـلافة تتم وتنقرض وتخلفها نوبة العضوض رجع الشيعة الأولى من دومـة الجنـدل التى كانت محل التحكيم إلى أوطانهم لحصول اليأس من نصرة الدين وشرعوا بتأييده بترويج أحكام الشريعة والإرشاد وروايـة الأحـاديث وتفسير القرآن المجيد ، كما أن الأمير ـ كرم الله تعالى وجهه ـ دخل الكوفة واشتغل بمثل هذه الأمور ، ولم يبق فى ركاب الأمير إذ ذاك من الشيعة الأولى إلا القليل ممن كانت له دار فى الكوفة . فلما رأت هاتيـك الفـرقـة الضالة المجال فى إظهار ضلالتهم أظهروا ما كانوا يخفونه من اساءة الأدب فى حق الأمـير وسب أصحـابـه وأتبـاعـه الأحياء منهم والأمـوات ، ومـع هذا كان لهم طمـع فى المنـاصب أيضـاً لأن العـراق وخراسان وفارس والبلاد الأخر الواقعة فى تلك الأطراف كانت باقية بعد فى تصرف الأمير وحكومته ، والأمير ـ كرم الله تعالى وجهه ـ عاملهم كما عاملوه كما وقـع ذلـك لموسى عليـه السـلام مع اليهود ولنبينا عليه الصلاة والسلام مع المنافقين(٥٠) » .

وقد أقر بذلك النوبختى حيث كتب :

فلما قتل على ـ عليه السلام ـ افترقت التى ثبتت على إمامته . .

(٥٠) مختصر التحفة الاثنا عشرية ص٥٦ ـ ٥٨ .

فصاروا فرقا ثلاثا: فرقة منهم قالت إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا. وهى أول فرقة قالت فى الإسلام بالوقف بعد النبى صلى الله عليه وآله من هذه الأمة، وأول من قال بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال: إن عليا ـ عليه السلام ـ أمره بذلك، فأخذه على فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب على ـ عليه السلام ـ أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى على ـ عليه السلام ـ بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على ـ عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض(٥١)

ومثل ذلك ذكره الكشى وغيره ممن تقدم ذكرهم.

وقصدا أعدنا هذه العبارة لما لها من علاقة مباشرة بالموضوع، ولما لها أهمية كبيرة فى فهم التشيع والشيعة، ولنعيد إلى ذهن القارىء ما لعله قد غاب عنه.

---

(٥١) فرق الشيعة للنوبختى . ص٤٣ ـ٤٤ .

فكان هذا أول حدث عقائدى فى التشيع وتغيير جذرى غير منهج الشيعـة فى الفكـر والـرأى عبر القـرون، ومن هنـا بدأت تتزعم اليهودية وتـترأس أفكـار التشيـع والشيعـة كما أقر بذلك النوبختى وبعده الكشى وقبله سعـد القمى وغـيرهم الكثـيرون الكثـيرون، وإليه ذهب كل من حقق ودقق وغـربـل التـاريـخ من المسلمـين وغير المسلمين من المؤرخين والـرجـاليـين وأصحـاب المقـالات فى الفرق والعقائد من السنة والشيعة والمستشرقين من اليهود والنصارى وغيرهم، فيقول ولهوزن وهو يذكر السبئية :

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان على والحسن وتنسب إلى عبد الله بن سبأ. وكما يتضح من اسمه الغريب، فإنه أيضا يمنيا، والواقع أنه من العـاصمـة صنعـاء. ويقـال أيضـا إنه كان يهوديا. وهذا يقود إلى القول بأصل يهودى لفرقة السبئية. والمسلمون يطلقون (اليهودى) على ما ليس فى الواقع كذلك. بيد أنه يلوح أن مذهب الشيعة، الذى ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين[٥٢] ».

وسـوف نتكلم عن السبئيـة وعقـائـدهـا التى سلحهم بها اليهـود وغـيرهم فى باب آخـر حيث نضطـر إلى إعادة القول عن السبئية هناك، وقبـل أن نأتى إلى آخـر القـول نريـد أن نذكر ههنا أن جماعة من الشيعة الأولى لازالـوا على عقـائـدهم الأصليـة والتى ليس بينهـا وبـين عقـائد المسلمـين الأولـين أىّ فرق إلى أن حصلت التغيـيرات الأخـرى وعلى رأس هؤلاء كان أولاد على ـ رضى الله عنه ـ من الحسن والحسين ومحمد وأبى بكـر وعمـر وعثمان والعباس وغيرهم من أبناء علىّ وبقية الهاشميين

(٥٢) الخـوارج والشيعة : ص١٧٠ ـ١٧١

من أبناء العباس وعقيل وجعفر وطالب وغيرهم من أبناء عمومة الحسنين وأبناء أعمام أبيهم .

وهـذا آخـر ما أردنـا ايـراده فى هذاالباب ، ومن ثم ننتقل إلى باب آخـر. وهـو يشتمـل على التهم البـاطلة والايـرادات الـواهيـة والمطاعن المختلفـة التى اخـترعهـا السبئيـون للقضـاء على دولة الإسلام وأميرها خليفة المسلمين عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ لأنه خلف بعد الشيعة الأولى خلف تبنـوا هذه الأفكـار وتـركـواْ سبيـل عليّ وأهل بيته ، فسلطوا ألسنتهم وأقـلامهم تبعـا لسلفهم غير الصـالح على ذلك الإمام المظلوم الذى قتل ظلما وبغيا وجورا ، كما أن له علاقة بالموضوع حيث إن قتلته أو من ساعـد قاتليـه على قتله هم الـذين أيـدوا السبئيـة ، ومنهم تكـونت وبـآرائهـا اعتنقـوا وبأفكـارهـا تضللوا وانحرفوا عن جادة الحق والهدى ، ولازالـت هى الآراء والأفـكـار باقيـة تثـير الفتن وتنفـخ فى الأحقـاد والضغـائن ، وتبث التفـرقـة والانشقـاق ، وتثـير الآلام وتقشر الجراحات وتحيى الأوجـاع ، وبهـذا نمشى أيضا مع مجرى التاريخ وثمراته ونتائجه . وبالله التوفيق ونسأله العدل فى القول ، والاصابة فى الحق ، وهو ولى القبول .



الباب الثالث

الشيعة ومطاعنهم على ذي النورين رضي الله عنه والسبأية وفتنهم أيامه

قبل أن نتكلم فى هذا الموضوع نريد أن نكشف الحجاب عن بعض الحقائق الواقعة التى طالما خفيت على كثير من الناس وحتى على الخاصة منهم. ومنها أن الشيعة عامة جعلوا الكذب شعارا لهم وأصبغوا عليه صبغة دينية باسم التقية حيث قالوا :

لا إيمان لمن لا تقية له[1]» .

ونسبوا هذه الرواية إلى محمد الباقر زورا وبهتانا .

حتى اشتكى منهم ومن أكاذيبهم الكثيرة والجرئية، علىّ وأهل بيته، الذين يعدونهم أئمة لهم، اشتكوا منهم كثيرا لهذا، فقد ذكر الكشى كبيرهم فى الرجال عن ابن سنان :

قال أبو عبد الله (ع) انا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس. كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله وكان الذى يكذب عليه عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن على (ع) قد ابتلى بالمختار. ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامى وبنان، فقال: كانا يكذبان على علىّ بن الحسين (ع)، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيغا والسرى وأبا الخطاب ومعمرا وبشار الأشعرى وحمزة اليزيدى وصائد النهدى فقال:

---

(١) الكافى فى الأصول باب التقية ج٢ ص١٩ ط إيران .

لعنهم الله ، إنـا لا نخلو من كذاب يكـذب علينـا ، كفـانـا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد[٢]» .

ثانيـا : أن أكثــر الـرواة الـذين ذكـروا تلك التهم والمطـاعن التى جرت إلى قتـل عثـمان أمـير المؤمنين ، وفتح باب الفتنة بين المسلمين هم من الشيعة ، وقد كبروا الصغير وفخموا الحقير ونفخوا فى الكير ، وعنهم نقل المؤرخون كل ما هب ودب بدون تنقية وتحقيق وبدون نقد وتدقيق ، ولم يميّـزوا الصـدق من التلفيق والبـاطـل من الحق والغث من السمين ، وأدرج المؤرخون والنقلة منهم كل ما اخترعوها واختلقوها دعاية لباطلهم وتأييدا لمذهبهم وتصديقا لأهدافهم وأغراضهم .

ثالثا : ولم ينقلوا هذه الوقائع عمن شاهدوها ، بل كان سمعا على سمـع ، وكـذبا على كذب ، وباطلا على باطل . وكثيرا ما يروى الراوى الحادثة والواقعة وبينه وبينها بعد عشرات السنين كما سيتبين .

رابعـا : الـرواة مع كذبهم ودجلهم وكـونهم دعاة إلى مذهبهم هم طرف فى تلك الـوقـائع والحوادث حيث يتبعون تلك الشلة والطائفة التى نفخت فى الـرمـاد وسعرت نار الفتنة ، فهم على شاكلتهم يعملون نفس العمل ويسعون بنفس الفساد بالقلم واللسان ، الذى سعى به أسلافهم بالجسـد والـروح . فعلى ذلـك يجب التحـرز على كل منصف يريـد أن يعـرف الحقـائق عن قبول رواياتهم ومروياتهم ، مغمضا العينين ، معرضا عن الشكوك والشبهات . فيحتاط فى كل رواية لا تؤيده رواية أخرى من الثقات المعتمدين غير المنحازين إلى طرف فى الموضوع .

ولـذلـك لا يلفت إلى ما تفـرد به أبـو مخنف والـواقـدى والكلبيان للاستنباط والاستنتاج والحكم .

---

(٢) رجال الكشى ص٢٥٧ ، ٢٥٨ .

ومن سوء الحظ أن هؤلاء هم العمدة للرواية عن هذه الوقائع والوقيعة فى أصحاب النبى ﷺ وسادة هذه الأمة وقادتها، وهم خلف لسلفهم الذين كانوا قادة البغاة والطغاة وعملاء اليهودية العالمية والمجوسية أو المخدوعين بهم وعلى شاكلتهم معتقدين نفس الاعتقادات التى كانوا يعتقدونها، وحاملين نفس الأفكار التى كانوا مسمومين بها، سالكين نفس الأسلوب الذى عرف فى الزمن الأخير باسلوب جوئبلز: أكثر الكذب قدر ما تستطيع حتى تظنه صدقا بدون خجل ولا وجل ولا حياء، فما أكثر ما كذبوا وما أشنعه، وما أجرأهم على ذلك. ونحن تعودنا أن لا نتكلم إلا مستندين إلى الحقائق والمثبتين بالأدلة الناصعة والبراهين القاطعة، ولا نتفوه بالظن والتخمين إلا بالوثائق الموثوقة والمصادر المعتمدة، وها هى الوثائق :

أبو مخنف : فلقد يذكره محسن الأمين فى كتابه (أعيان الشيعة) تحت عنوان مؤلفى الشيعة فى السير والتاريخ والمغازى، فيقول :

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى الغامدى. قال النجاشى : من أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم وصنف كتبا كثيرة منها : فتوح الشام، العراق، خراسان، الجمل، صفين، النهر، الغارات، مقتل الحسين (ع)، وغيرها. وقال ابن النديم فى الفهرست : قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز قالت العلماء : أبو مخنف بامر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائنى بأمر خراسان والهند وفارس، والواقدى بالحجاز والسيرة. وقد اشتركوا فى فتوح الشام واثنان من الثلاثة شيعة : أبو مخنف، والواقدى،[٣] .

ولقد ذكره النجاشى كما عرفت فى مصنفى الشيعة، وزاد على

(٣) أعيان الشيعة الجزء الأول من القسم الثانى ص١٢٧ .

كتبه التى ذكرها المحسن : كتاب السقيفة ، وكتاب الشورى ، وكتاب قتل عثمان ، وكتاب الحكمين ، ومقتل أمير المؤمنين ، وقتل الحسين ، ومقتل حجر بن عدى ، وأخبار المختار ، وأخبار الزيات ، وأخبار محمد بن أبى بكر ، ومقتل محمد ـ وغيره من الكتب . كما ذكر أنه شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم ، وكان يسكن إلى ما يرويه ، روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام(٤)» .

وذكر الطوسى أن أباه كان من أصحاب علىّ كما ذكره فى رجاله .

وقد ذكره الحلى فى الثقات ، أبوه كان من أصحاب الباقر وهو من أصحاب جعفر(٥) .

وقد ذكره القمى فى كتابه فقال :

لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم كما عن جش ، وتوفى سنة ١٥٧ يروى عن الصادق (ع) ويروى عنه هشام الكلبى وجده مخنف بن سليم صحابى شهد الجمل فى أصحاب على (ع) حاملا راية الأزد ، فاستشهد فى تلك الوقعة سنة ٣٦ ، وكان أبو مخنف من أعاظم مؤرخى الشيعة ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة فى النقل عنه كالطبرى وابن الأثير وغيرهما ، وليعلم أن لأبى مخنف كتبا كثيرة فى التاريخ والسير ، منها كتاب مقتل الحسين (ع) الذى نقل منه أعاظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه(٦)» .

هذا ما صرح به علماء الشيعة بتشيعه وتنبىء أسماء كتبه عن مغالاته وإغراقه فى التشيع كما عددناها من النجاشى .

(٤) فهرست أسماء مصنفى الشيعة للنجاشى ص٢٢٤ ـ٢٢٥ ط قم .
(٥) انظر رجال الحلى ص٢٨٢ .
(٦) الكنى والألقاب ج١ ص١٤٨ ، ١٤٩ .

وأما السنة فقد قالوا فيه كما نقل عنهم الامام ابن حجر العسقلانى :

لوط بن يحيى أبو مخنف : إخبارى تالف ، لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره .

وقال الدارقطنى : ضعيف .

وقال يحيى بن معين : ليس بثقة .

وقال مرة : ليس بشىء .

وقال ابن عدى : شيعى محترق صاحب أخبارهم ـ قلت : روى عن الصعقى بن زهير وجابر الجعفى ومجالد . روى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة ـ وقال أبو عبيد الآجرى : سألت أبا حاتم عنه فنفض يده ، وقال : أحد يسأل عن هذا؟ . وذكره العقيلى فى الضعفاء[٧]» .

ومثل ذلك ذكر الذهبى فى ميزانه[٨] .

كما ذكره الذهبى فى (المنتقى) من المنهاج عن شيخ الاسلام ابن تيمية تحت المعروفين بالكذب وعقب ذكره بقول الأشهب بن عبد العزيز القيسى أنه قال :

سئل مالك رضى الله عنه عن الرافضة؟ فقال : لا تكلمهم ولا تروو عنهم ، فإنهم يكذبون ، وعن حرملة بن يحيى أنه قال : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة ، وعن مؤمل بن إهاب الربعى أنه قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : يكتب عن كل مبتدع ـ إذا لم يكن داعية ـ إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون ، وعن محمد

(٧) لسان الميزان ج ٤ ص٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(٨) انظر لذلك ميزان الاعتدال للذهبى ج٢ ص٣٦٠ .

بن سعيد الأصفهانى أنه قال: سمعت شريك بن عبد الله النخعى يقول: أحمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه حديثا. وعن أبى معاوية أنه قال: سمعت الأعمش يقول: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين (يعنى الروافض) ثم قال نقلا عن شيخ الاسلام:

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عن مصنفيها بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف. والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون بالتقية(٩)».

فتلك هى آراء أئمة الجرح والتعديل ومهرة الفن فى نقد الرجال فى أبى مخنف، وهذه هى أقوال الأئمة والحفاظ والمحدثين فى الاعتماد عليهم.

وخلاصة ما ذكرنا أن أبا مخنف متفق على تشيعه عند الطرفين، الشيعة والسنة، غير معتمد وموثوق فيه. وأما قول القمى: ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء النقل من السنة كالطبرى، فليس إلا كذب عادة قومه وذويه، لأنه من المعروف عند كل من قرأ الطبرى ونظر فيه بأنه لم يشترط إدراج كل ما صح عنده فى تاريخه ولم يلتزم صحة ما نقل. وقد صرح فى مقدمة كتابه حيث قال:

فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا، وإنما أُتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى علينا (١٠)».

(٩) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ص٢١، ٢٢، ٢٣، ط المطبعة السلفية القاهرة.
(١٠) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج١ ص٥، مقدمة الكتاب ط بيروت.

وأمـا ابن الأثـير فإنـه صرح أيضـا فى مقـدمـة كتـابه أنه ناقل عن الطبر ى ومعتمد عليه فى نقله كما يقول :

إنى قد جمعت فى كتـــابى هذا ما لم يجتمـع فى كتـاب واحـد ، ومن تأمله علم صحـة ذلـك فابتـدأت بالتـاريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفـر الطـبر ى إذ هو الكتـاب المعـول عنـد الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف إليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها(١١)» .

فهذه هى حقيقة أبى مخنف والاعتماد عليه من الطبر ى وابن الأثير .

وأما الواقدى فلقد قال فيه المحسن الشيعى :

ومحمـد بن عمـر الـواقـدى . قال ابن النديم : كان يتشيع ، حسن المـذهب ، يلزم التقيـة ، وهـو الـذى روى أن عليـا عليه السلام كان من معجـزات النبى (ص) كالعصـالمـوسى (ص) وإحيـاء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام وغير ذلك من الأخبار. عالما بالمغازى والسير والفتوح والأخبـار خلف ٦٠٠ قمطـر كتبا كل قمطر حمل رجلين وقبل ذلك بيع له كتب بألفى دينـار، وكـان له غلامـان مملوكـان يكتبان الليل والنهار. له ، التـاريـخ الكبـير ، المغـازى ، المبعث ، أخبـار مكة ، فتوح الشام ، فتوح العـراق ، الجمـل ، مقتـل الحسين عليه السلام ، السيرة ، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة فى السير والتاريخ(١٢)» .

وذكره القمى :

أبـو عبـد الله محمـد بن عمـر بن واقد المدنى : كان إماما عالما ، له التصانيف والمغازى وفتوح الأمصار، وله كتاب الردة وغير ذلك ، كان من

(١١) الكامل لابن الأثير ج١ ص٥ مقدمه .
(١٢) أعيان الشيعة القسم الأول الجزء الأول ص١٢٨ .

أقـدم مؤرخى الاسـلام . وكتـاب مغـازيـه له مقـدمـة وشـروح باللغـة الانجليـزيـة يروى عنه كتابه محمد بن سعد وجماعة من الأعيان . . وكان الـواقـدى مع ما ذكـرنـاه من سعة علمه وكثرة حفظه لا يحفظ القرآن ، ثم روى عن المأمـون أنـه قال للواقدى : أريد أن تصلى الجمعة غدا بالناس قال : فامتنـع ، قال : لابـد من ذلـك ، فقـال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أحفـظ سورة الجمعـة حتى يبلغ النصف منها ، فاذا حفظه ابتدأ بالنصف الثـانى ، فاذا حفـظ النصف الثـانى نسى الأول فاتعب المأمون وتعس ، فقال لعلى بن صالح : ياعلى احفظه أنت ، فذكر أنه مثل المأمون لم يقدر على أن يحفظه ، فقال المأمون : اذهب فصل بهم واقرأ أى سورة شئت ، وروى عن غسـان قال : صليت خلف الـواقـدى صلاة الجمعة فقرأ : إن هذا لفى الصحف الأولى صحف عيسى ومـوسى(١٣) . . كان يتشيـع ، حسن المـذهب يلزم التقيـة ، وهـو الـذى روى أن عليـا (ع) كان من معجـزات النبى صلى الله عليـه وآله وسلم كالعصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى بن مريم (ع) وغير ذلك من الأخبار(١٤)» .

وقد ذكره الخوانسارى فى كتابه(١٥) ولقبه بالإمام العلام .

هذا ما أقـرّ به الشيعـة بأنـه شيعى سيىء الـذاكرة ، غير ضابط لم يكن القرآن يستقر فى ذاكرته وقلبه .

وأمـا ما ذكـره أئمـة الـرجـال وجهابذة الجرح والتعديل من السنة فإليك بيانه ، قال ابن حبان : كان يروى عن الثقات مقلوبا وعن الاثبات

(١٣) ولا ندرى كيف يعتقد القوم فيه الأمانة فى التاريخ والأخبار ونقل الحوادث والوقائع وهو الذى لايستطيع ضبط سورة قصيرة من القرآن ، فهل مثل هذا يعتمد عليه أنه يضبط الوقائع والحوادث بالتاريخ والتفصيل ؟ .

أو لم يكن يستطيـع حفـظ القـرآن لأنـه لم يكن من القـوم الذين يعتقدون فيه؟ كما أثبتنا عقيدتهم فى القرآن فى كتابنا (الشيعة والسنة) ومن أراد معرفة ذلك فليراجع إليه .

(١٤) الكنى والألقاب ج٣ ص٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(١٥) روضات الجنات ج٧ ص٢٦٨ .

معضـلات . . . وكـان أحمـد بن حنبـل يكذبه . . . وكان يقول المدينى : الواقدى يضع الحديث(١٦)» .

وقال الذهبى : مجمع على تركه، وقال النسائى : كان يضع الحديث(١٧)» .

وأما ابن حجر فجمع أقوال العلماء فيه، فذكر أن البخارى قال : الـواقـدى مدنى سكن بغـداد، متروك الحديث، تركه أحمد وابن المبـارك وابن نمـير وإسماعيل بن زكريا، وقال معاوية بن صالح : قال لى أحمد بن حنبل :

الواقدى كذاب .

وقال لى يحيى بن معين : ضعيف .

وقـــال مرة : ليس بشىء . . . قال ابن المـــدينى : الهيثم بن عدى أوثق عندى من الواقدى، ور أرضاه فى الحديث . . . قال الشافعى :

كتب الواقدى كلها كذب .

وقال النسائى فى (الضعفاء) : الكذابون المعروفون بالكذب على رسول الله ﷺ أربعة : الواقدى فى المدينة، ومقاتل فى الكوفة، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام، وذكر الرابع، وقال ابن عدى : أحاديثه غير موثوقه .

قال ابن المـــدينى : عنـــدى عشـــرون ألف حديث ما لها أصـــل، وإبراهيم بن يحيى كذاب وهو عندى أحسن حالا من الواقدى .

وقال أبو داؤ د : لا أكتب حديثه ولا أحدث عنه، ما أشك أنه كان يفتعل الحديث . . . وقال بندار : ما رأيت أكذب منه .

وقـــال إسحـاق بن راهـويـه : هو عنـدى ممن يضـع . وحكى ابن

---

(١٦) كتاب المجروحين لابن حبان ج٢ ص٢٨٤ ط دكن .

(١٧) المغنى للذهبى ج٢ ص٦١٩ .

العربى عن الشافعى قال: كان بالمدينة سبعة رجال يضعون الأسانيد أحدهم الواقدى، وقال أبو زرعة وأبو بشير الدولابى والعقيلى: متروك الحديث.

وقال أبو حاتم الرازى: وجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين مناكير... وحكى ابن الجوزى عن أبى حاتم أنه قال: كان يضع. ولقد حدث بعد ذلك ابن حجر قصة تنبىء عن جرأته على الكذب والدجل:

حدثنا عمرو الناقد قال: قلت للواقدى: تحفظ عن الثورى عن ابن خيثم عن عبد الرحمن بن نبهان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه فى لعن زوارات القبور، فقال: حدثنا سفيان، فقلت أمله علىّ، فأملاه على بالمسند، فقال نا عبد الرحمن بن ثوبان فقلت: الحمد لله الذى أوقعك، أنت تعرف أنساب الجن ومثل هذا يخفى عليك؟ قال الساجى: والحديث حديث قبيصة ما رواه عن سفيان غيره، وقال النووى: الواقدى ضعيف باتفاقهم، وقال الذهبى فى الميزان: استقر الاجماع على وهن الواقدى، وتعقبه بعض مشائخنا بما لا يلاقى كلامه. وقال الدارقطنى: الضعف يتبين على حديثه، وقال الجوزجانى: لم يكن مقنعا(١٨)».

فهذا هو الواقدى، وهذا هو شأنه عند العلماء الاعلام من السنة، وهذا مع تشيعه باعتراف الشيعة أنفسهم بأنه شيعى وليس شيعيا فحسب، بل من الذين يلزمون التقية أى الكذب بتعبير صحيح.

وأما محمد بن السائب وابنه هشام فلقد ذكرهما محسن الأمين فى

---

(١٨) تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلانى ج٩ ص٣٦٣ إلى ٣٦٨ ملخصا ومختصرا، ومثله ذكر الذهبى فى ميزان الاعتدال ج٣ ص١١٠.

طبقات المؤرخين من الشيعة[١٩] .

كما ذكرهما ابن النديم الشيعى فى فهرسته .

وكما ذكر النجاشى هشام بن محمد بقوله :

هشام بن محمد بن السائب بن بشير بن زيد بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عزى بن امرىء القيس عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف بن زيد اللات رقيده بن ثور بن كلب بن وبرة المنذر: الناسب العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا، وله الحديث المشهور، وقال: اعتللت علة عظيمة نسيت علمى، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسقانى العلم فى كأس فعاد إلىّ علمى، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقربه ويدينه ويبسطه، وله كتب كثيرة منها: كتاب مثالب ثقيف، كتاب مثالب بنى أمية، كتاب مقتل عثمان، كتاب مقتل أمير المؤمنين، كتاب حجر بن عدى، كتاب الحكمين، كتاب مقتل الحسين عليه السلام، كتاب أخبار محمد بن الحنفية وغيرها[٢٠]» .

وكما ذكر أباه ابن داؤد الحلى فى القسم الأول من رجاله، وذكر أنه من أصحاب الباقر[٢١]» .

وذكر ابنه هشام وذكر أنه كان يقربه جعفر ويدينه[٢٢]» .

وعد شيخ الطائفة الطوسى محمد بن السائب فى رجاله من أصحاب الصادق[٢٣] .

وأيضا من أصحاب الباقر[٢٤] .

---

(١٩) أعيان الشيعة ج١ ص١٢٧، ١٢٨

(٢٠) رجال النجاشى ص ٣٠٥، ٣٠٦ .

(٢١) رجال ابن أبى داؤد الحلى ص٣١٢

(٢٢) أيضا ص٣٦٨، ٣٦٩ .

(٢٣) رجال الطوسى ص٢٨٩ .

(٢٤) أيضا ص١٣٦ .

وكـان غاليـا فى التشيع ، أخباره فى الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق(٢٥) .

ولقد ذكرهما عالم الشيعة فى الرجال العباس القمى بقوله :

الكلبى النسـابـة ، ويقـال له ابن الكلبى أيضا أبو المنذر هشام بن أبى النضر محمـد بن السـائب بن بشـر الكلبى الكـوفى ، كان من أعلم النـاس بعلم الانسـاب ، وقـد أخـذ بعض الانساب عن أبيه أبى النضر محمـد بن السـائب الـذى كان من أصحـاب البـاقـر والصـادق عليهم السلام ، وأخذ أبو النضر نسب قريش عن أبى صالح عن عقيل بن أبى طالب ، قال ابن قتيبـة : وكـان جده بشـر وبنـوه السـائب وعبيـد الرحمن شهـدوا الجمـل وصفـين مع على بن أبى طالب عليـه السـلام ، وقتـل السائب مع مصعب بن الزبير ، وشهد محمد بن السائب الكلبى الجماجم مع ابن الأشعث ، وكـان نسـابـا عالمـا بالتفسـير ، وتـوفى بالكـوفـة وعن السمعانى أنه قال فى ترجمة محمد بن السائب أنه صاحب التفسير ، كان من أهـل الكـوفـة قائـل بالـرجعة ، وابنه هشام ذا نسب عال وفى التشيع غال ، وفى (الـرجـال الكبـير) : هشـام بن محمـد بن السـائب أبـو المنذر النـاسب العـالم ، المشهـور بالفضل والعلم ، العارف بالأيام ، كان مختصا بمـذهبنـا ، قال : اعتللت علة عظيمـة نسيت علمى ، فجئت إلى جعفر بن محمـد (ع) فسقـانى العلم فى كأس ، فعـاد إلىّ علمى ، وكان أبو عبد الله (ع) يقـرّبـه ويـدنيـه وينشطه . قلت : حكى المعانى وغيره ، عن قوة حفظـه أنـه حفـظ القرآن فى ثلاثة أيام ، وأنا أقول : لا بدع فى ذلك ، فإن من سقاه الصادق (ع) العلم فى كأس يحفظ القرآن بأقل من ثلاثة أيام ، توفى سنة ٢٠٦ أو ٢٠٤(٢٦)» .

(٢٥) أعيان الشيعة ج١ ص٥٩ .

(٢٦) الكنى والألقاب ج٣ ص٩٤، ٩٥، ٩٦ .

وأنـا أظن بأنـه يكفى هذا لبيـان حقيقـة أحـوال هشام وأبيه محمد حيث أنهما من أسرة شيعية بحتة من قديم الزمان .

وأمـا ما قالـه السنة فلقد نقل أقوالهم الإمام ابن حجر العسقلانى حيث ذكر محمد بن السائب فنقل عن معمر بن سليمان عن أبيه أنه قال :

كان بالكـوفـة كذابان أحدهما الكلبى ، وقال ليث بن أبى سليم : كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبى ، والآخر السدى . وقال الدورى عن يحيى بن معين : ليس بشىء ، وقال معاوية بن صالح عن يحيى : ضعيف وقال أبو موسى : ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن سفيان عنه بشىء ، وقال البخارى تركه يحيى وابن مهدى وقال الدورى عن يحيى بن يعلى المحـاربى قال : قيـل لزائـدة : ثلاثة لا تروى عنهم ابن أبى ليلى ، وجابر الجعفى ، والكلبى ، قال أما ابن أبى ليلى فلست أذكره ، وأما جابر فكان والله كذابا يؤمن بالرجعة ، وأما الكلبى وكنت أختلف إليه فسمعته يقـول مرضت مرضـة فنسيت ما كنت أحفظ فأتيت آل محمد فتفلوا فى فىّ فحـفظت ما كنت نسيت فتركتــه ، وقــال الأصمعى عن أبى عوانــة : سمعت الكلبى يتكلم بشىء من تكلم به كفر فسألته عنه فجحده ، وقال عبد الواحد بن غياث عن ابن مهدى : جلس إلينا أبو جزء على باب أبى عمـرو بن العـلاء ، فقال أشهد أن الكلبى كافر قال فحدثت بذلك يزيد بن زريع فقال سمعته يقول : أشهد أنه كافر قال فماذا زعم؟ قال : سمعته يقـول : كان جبر يـل يوحى إلى النبى صلى الله عليـه وآلـه وسلم فقـام النبى لحاجتـه وجلس على فأوحى إلى على ، فقـال يزيـد : أنا لم أسمعه يقـول هذا ولكنى رأيتـه يضـرب صدره ويقـول أنا سبئى أنا سبئى . قال العقيلى هم صنف من الـرافضـة أصحـاب عبـد الله بن سبأ ، وقال ابن فضيل عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال لمحمد بن السائب : ما دمت على

هذا الرأى لا تقربنا وكان مرجئا وقال زيد بن الحباب سمعت الثورى يقول: عجبا لما يروى عن الكلبى، قال ابن أبى حاتم: فقلت لأبى: إن الثورى روى عنه، فقال: كان لايقصد الرواية عنه ويحكى حكايته تعجبا فيعلقه من حضره ويجعلونه رواية، وقال على بن مسهر عن أبى جناب الكلبى حلف أبو صالح: أنى لم أقرأ على الكلبى من التفسير شيئا، وقال أبو عاصم: زعم لى سفيان الثورى قال: قال الكلبى: ماحدثت عن أبى صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه، وقال الأصمعى عن قرة بن خالد: كانوا يرون أن الكلبى يزخرف يعنى يكذب، وقال يزيد بن هارون، كبر الكلبى وغلب عليه النسيان، وقال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه هو ذاهب الحديث لا يشتغل به، وقال النسائى: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال ابن عدى: له غير ماذكرت أحاديث صالحة وخالصة عن أبى صالح وهو معروف بالتفسير وليس لأحد أطول من تفسيره وحدث عنه ثقات من الناس ورضوه فى التفسير وأما فى الحديث ففيه مناكير ولشهرته فيما بين الضعفاء يكتب حديثه، وقال ابن أبى حاتم: كتب البخارى فى موضع آخر محمد بن بشر سمع وعمرو بن عبد الله الحضرمى وعنه محمد بن إسحاق قال ابن أبى حاتم: هو الكلبى، قال محمد بن عبد الله الحضرمى مات: بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. قلت: ساق ابن سعد نسبه إلى كلب بن وبرة قال: وكان جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن شهدوا الجمل مع على وشهد محمد بن السائب الجماجم مع ابن الأشعث وكان عالما بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم توفى بالكوفة سنة ست وأربعين أخبرنى بذلك ابنه هشام، قالوا: وليس ذاك، فى روايته ضعيف جدا، وقال على بن الجنيد والحاكم أبو أحمد والدارقطنى: متروك، وقال الجوزجانى: كذاب

ساقـط، وقـال ابن حبـان، وضـوح الكـذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغـراق فى وصفـه روى عن أبى صالح التفسير وأبو صالح لم يسمع من ابن عبـاس لا يحل الاحتجـاج به، وقال الساجى: متر وك الحديث وكان ضعيفا جدا لفرطه فى التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه فى الأحكام والفروع، قال الحاكم أبو عبد الله: روى عن أبى صالح أحاديث موضوعة(٢٧)» .

فهـذا هو الـرجـل وهـذا هو مقامه وشأنه، وهذه هى أقوال العلماء فيه، وهذا هو وضعه من التشيع والكذب إلى حد الكفر .

وأما ابنه هشام فهو، يروى عنه وهو مثله، رافضى متر وك كما ذكره الذهبى وغيره(٢٨) .

وأمـا الكلبى هذا فلقـد صنف كتـابـا فى مثالب الصحابة كما ذكره ابن المطهر الحلى فى كتابه منهاج الكرامة(٢٩) .

وقال الامام ابن تيمية فيه وأيضا نقل كلام الأئمة الأعلام فى كتابه:

هشـام الكلبى: وهـو من أكذب الناس وهو شيعى يروى عن أبيه وعن أبى مخنف لوط بن يحيى، وكـلاهما متر وك كذاب، وقـال الإمـام أحمد: ما ظننت أن أحدا يحدث عنه، إنما هو صاحب سمر ونسب، وقال الـدارقطنى: هو متر وك، وقـال ابن عدى: هشـام الكلبى الغالب عليه الأسـمار، ولا أعـرف له فى المسنـد شيئا، وأبوه أيضا كذاب ساقط، وقال زائـدة والليث وسليـمان التميمى: هو كذاب، وقـال يحيى: ليس بشىء كذاب ساقـط، وقـال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج

(٢٧) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١

(٢٨) انظر لذلك ميزان الاعتدال ص٣٠٤، ٣٠٥ .

(٢٩) انظر منهاج الكرامة فى إثبات الامامة ص٥٨ الملحق بكتاب منهاج السنة لابن تيمية .

إلى الإغراق فى وصفه[٣٠]» .

فهؤلاء الأربعة هم العمدة للمؤرخين فى سرد الروايات والحكايات والخزعبلات عن الحوادث والكوارث التى وقعت أيام عثمان رضى الله عنه والحروب التى حلت بين على وبين المطالبين بثأر عثمان وقصاصه إلى شهادة حسين وما ترتب عليها من الأمور والنتائج، فصبغوها بصبغة خاصة واستغلوها لنشر السبئية وعقائدهم من مدخل التاريخ بعدما خدعوا كثيرا من الناس باسم العقائد وحب أهل البيت، ففتحوا مدخلا جديدا للطعن والتشنيع فى أصحاب محمد ﷺ، فى الأخيار البررة، ولإدخال السذج الغفلة من الناس فى دينهم الذى لم يأت به إلا عبد الله بن سبأ وأنصاره وأشياعه، ولم يؤسس قواعده وأصوله ولم يكوّن أسسه وضوابطه إلا هم ومن والاهم. ولذلك قدمنا الكلام فى هؤلاء الناس قبل ذكر الوقائع والمطاعن لكى يعرف قيمة الروايات بقدر الرواة، ويعلم أن كل واقعة وحادثة يتفرد بروايتها هؤلاء السبئيون والشيعة لا يعتمد عليها ولا يكون لها اعتبار .

وبعد بيان هذه الأمور الهامة نقول: أن السبئيين خططوا خطة ودبروا مؤامرة للتفريق بين المسلمين وتمزيق كلمتهم وتشتيت شملهم وهدم كيان الاسلام والقضاء على الخلافة الإسلامية .

فأولا: بنشر العقائد اليهودية والمدخولة الأجنبية بين المسلمين، ثم بنشر الأكاذيب والأراجيف عن الحكام وولاة الأمور. فنعيد عبارة ابن جرير الطبرى، التى ذكرناها فى مبحث السبئية لتبيين الحقائق عن المطاعن التى اخترعوها على خليفة رسول الله الراشد الثالث عثمان بن

(٣٠) منهاج السنة ج٣ ص١٩ .

عفان رضى الله عنه، وأن عثمان هو عثمان المعروف بالكريم الحليم، الجواد السخى، الشريف الحييى، ابن بنت عمة رسول الله ﷺ وزوج ابنتيه، والممدوح من قبل النبى وأهل بيته، وعلى وأولاده[٣١]» .

وليعرف كيف حيكت ضده المؤمرات وكيف أحكم نسيجها، وكيف أثيرت ضده الفتن ومن كان وراءها. فيقول الطبرى:

كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمة سوداء فاسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لَعَجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل: ﴿إنَّ الذى فرَض عَلَيكَ القُرآن لرادُّك إلى مَعادٍ﴾: فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقُبل ذلك عنه ووضع لهم الرَّجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصىٌّ وكان علىّ وصىَّ محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلىٌّ خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلمُ ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ ووثب علىّ وصىّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك: أن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصىّ رسول الله ﷺ فانهضوا فى هذا الأمر فحَرّكوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبثّ دُعاته وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السرّ إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكُتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى

(٣١) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

مصرٍ آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعةً وهم يريدون غير ما يُظهرون ويُسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل كل مصر: انا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا انا لفى عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحه من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا: ياأمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذى يأتينا؟ قال: لا والله ما جاءنى إلا السلامة، قالوا: فإنّا قد أتانا وأخبروه بالذى أسقطوا، إليهم، قال: فأنتم شُركائى وشهود المؤمنين فأشيروا علىَّ، قالوا: نُشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عَمَّار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرّق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعا: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمرائهم يُقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح يُخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه منهم عبد الله بن السَّوْداء وخالد بن مُلْجم وسُودان بن حمران وكنانة بن بِشْر[٣٢]» .

واتماما للفائدة نذكر ما ذكره الطبرى من ردّ فعل عثمان رضى الله عنه على ذلك :

ثمّ كتب عثمان إلى أهل الأمصار أما بعد فانى آخذ العمال بموافاتى فى كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف

(٣٢) الطبرى ج٥ ص ٩٨، ٩٩

والنهى عن المنكر فلا يُرفع عليَّ شيء،ولا على أحد من عمّالى إلا أعطيته وليس لى ولعيالى حقٌّ قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلىَّ أهل المدينة أن أقواما يُشتمون وآخرون يُضربون فيامن ضرب سراً وشتم سراً من ادَّعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان منى أومن عمالى أو تصدَّقوا فإنَّ الله يجزى المُتصدقين، فلما قُرىء فى الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا: ان الأمة لتمخّض بشرّ وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه، عبد الله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم فى المشورة سعيدا وعمرا فقال: ويحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة؟ إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يُعْصب هذا الابى فقالوا: ألم تبعث ألم نرجع إليك الخبر عن القوم ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشىء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلا وما كنت لتأخذ به أحدا فيقيمك على شىء وما هى إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ولا الانتهاء إليها، قال: فأشيروا علىَّ؟ فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يُصنع فى السر فيلقى به غير ذى المعرفة فيخبر به فيتحدث به فى مجالسهم قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم ثم قَتْلُ هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم، وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذى عليهم إذا أعطيتهم الذى لهم فإنه خير من أن تدعهم، قال معاوية: قد وليتنى فوليتُ قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتيهما قال: فالرأى؟ قال: حسن الأدب قال: فما ترى ياعمر وقال أرى انك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين إن الشدة تنبغى لمن لا يألو الناس شرا واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتهما جميعا اللين، وقام عثمان فحمد الله

وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به علىَّ قد سمعت ولكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن وأن بابه الذى يُغلق عليه فيُكفْكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة إلا فى حدود الله تعالى ذكره التى لا يستطيع أحد أن يبادى بعيب أحدها فان سده شىء فرفق فذاك والله ليفتحنَّ وليست لأحد علىَّ حُجة حق وقد علم الله أنى لم آلُ الناس خيرا ولا نفسى ووالله إن رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم وأغتفروا بهم وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تَدْهنوا فيها(٣٢)

وأما الايرادات التى أوردوها عليه والمطاعن التى اخترعوها لتمزيق دولة الاسلام، فهى التى ذكرها واحدا بعد واحد وردّها عثمان ذو النورين فى خطبته التى ذكرها جميع المؤرخين أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن هؤلاء ذكروا أمورا قد علموا منها مثل الذى علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها علىّ عند من لا يعلم وقالوا: أتم الصلاة فى السفر وكانت لا تتم، ألا وإنى قدمت بلدا فيه أهلى فأتممتُ لهذين الأمرين، أوكذلك قالوا: اللهم نعم، وقالوا: وحميت حمى؟ وإنى والله ما حميتُ حمى قبلى والله ما حموا شيئا لأحد ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعية أحد أو اقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ما منعوا ولا نحّوا منها أحد إلا من ساق درهما ومالى من بعير غير راحلتين ومالى ناغية ولا راغية وأنى قد وُليت وإنى أكثر العرب بعيرا وشاءِ فما اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجى، أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، وقالوا: كان القرآن كتباً

(٣٢ ب) الطبرى ج٥ ص٩٩، ١٠٠ .

فتركها إلا واحدا، ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقتلهم، وقالوا: أني رددت الحكم وقد سيره رسول الله ﷺ والحكم مكي سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى، الطائف ثم رده رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سيره ورسول الله ﷺ رده أكذلك؟ قالوا: اللهم نعم، وقالوا: استعملت الأحداث ولم أستعمل إلا مجتمعا محتملا مرضيا وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده ولقد ولى من قبلى أحدث منهم وقيل فى ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لى فى استعماله أسامة، أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم، يعيبون للناس مالا يفسرون، وقالوا: أنى أعطيت ابن أبى سرح ما أفاء الله عليه وأنى إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذاك؟ قالوا: نعم، وقالوا: أنى أحب أهل بيتى وأعطهم فأما حبى فإنه لم يمل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم وأما إعطاؤ هم فإنى ما أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صُلب مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا، وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم وما قدم علىَّ إلا الأخماس ولا يحل لى منها شىء فولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى ولا يتلف من مال الله بفلس فما فوقه وما أتبلغ منه ما آكل إلا من مالى، وقالوا: أعطيت الأرض رجالا وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت فمن

أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن رجع إلى أهله لم يُذهب ذلك ما حوى الله فنظرت فى الذى يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلتُ إليهم نصيبهم فهو فى أيديهم دونى . وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية وجعل ولده كبعض من يعطى فبدأ ببنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف وأعطى بنى عثمان مثل ذلك وقسم فى بنى العاص وفى بنى العيص وفى بنى حرب ، ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون الا قتلهم وأبى ألا تركهم ، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم مع الحُجّاج كالحجاج ، فتكاتبوا وقالوا موعدكم ضواحى المدينة فى شوال(٣٣)» .

ولما كان شوال سنة ٣٥ هـ خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف ، على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر والليثى وسودان بن حمران السكونى وقتيرة بن فلان السكونى وعلى القوم جميعا الغافقى بن حرب العكى ، ولم يجترؤ ا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء ، وخرج أهل الكوفة فى أربع رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدى والأشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى وعبد الله بن الأصم أحد بنى عامر بن صعصعة وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعا عمرو بن الأصم ، وخرج أهل البصرة فى أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدى وزريح بن عباد العبدى وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسى وابن المحرش بن عبد عمر والحنفى وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص بن زهير السعدى سوى من تلاحق بهم من الناس ، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون

(٣٣) أيضا ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

عليـا ، وأمـا أهـل البصـرة فإنهم كانـوا يشتهون طلحة ، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير ، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفى الناس شتـى لايشـك كل فرقـة إلا أن الفلج ، معهـا وإن أمـر هاسيتم دون الآخـرين ، فخـرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهـل البصـرة فنـزلوا ذا خشب ، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص ، وجـاءهم ناس من أهـل مصـر وتـركوا عامتهم بذى المروة ومشى فيما بين أهـل مصـر وأهـل البصـرة زيـاد بن النضـر وعبـد الله بن الأصم وقالا : لاتعجلوا ولا تعّجلونـا حتى ندخـل لكم المـدينة ونرتاد فإنه بلغنا إنهم قد عسكـروا لنـا فوالله إن كان أهـل المـدينـة قد خافـونا واستحلوا قتالنا ولم يعلمـوا علمنـا فهم إذا علمـوا علمنـا أشدُّ وإن أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذى بلغنا باطلا لنرجعن إليكم بالخبر قالوا اذهبا فدخـل الـرجـلان فلقيا أزواج النبى ﷺ وعليا وطلحة والزبير وقالا : إنما نأتم هذا البيت ونستعفى هذا الـوالى من بعض عمالنـا ما جئنا إلا لذلك بالـدخـول ، وإستأذناهم للناس بالدخول ، فكلهم أبى ونهى وقال بَيْضٌ مايفـرخَن ، فرجعـا إليهم فاجتمـع من أهل مصر نفر فأتوا عليًا ومن أهل البصـرة نفـر فأتـوا طلحة ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم إن بايعـوا صاحبنـا وإلا كِدْنـاهم وفـرّقنـا جماعتهم ، ثم كررنا حتى نبغتهم فأتى المصـريـون عليا وهوفى عسكر عند أحجار الزيت عليه حُلّةُ أفـواف مُعتم بشقيقـة حمراء يمانيـة متقّلدِ السيف ليس عليـه قميص وقـد سرّح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمـع إليـه ، فالحسن جالس عند عثمان وعلىٌّ عند أحجار الزيت ، فسلّم عليه المصريون وعرّضوا له ، فصاح بهم واطـردهم وقـال : لقـد علم الصـالحـون أن جيش ذى المروة وذى خُشب ملعـونـون على لسـان محمـد ﷺ فارجعـوا لا صَحِبَكم الله قالـوا : نعم

فانصرفوا من عنده على ذلك وأتى البصريون طلحة وهو فى جماعة أخرى إلى جنب علىّ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان فسلم البصريون عليه وعرّضوا له فصاح بهم واطّردهم وقال لقد علم المؤمنون أن جيش ذى المروة وذى خشُب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، وأتى الكوفيون الزبير وهو فى جماعة أخرى وقد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان فسلموا عليه وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم المسلمون أن جيش ذى المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ، فخرج القوم وأروْهم إنهم يرجعون فانفَشوا عن ذى خشب والأعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم وهى ثلاث مراحل كى يفترق أهل المدينة ثم يكروا راجعين، فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كّروابهم فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير فى نواحى المدينة فنزلوا فى مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان، وقالوا من كفّ يده فهو آمنٌ، وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحدا من كلام فأتاهم الناس فكلموهم وفيهم علىٌّ فقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم، قالوا أخذنا مع بريد كتابا بقتلنا، وأتاهم طلحة فقال البصريون، مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعا كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علىٌّ : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله أمرٌ أبرم بالمدينة، قالوا فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا»(٣٤).

فحاصروا بيته محاصرة شديدة وجاء على(٣٥) وأهل بيته وطلحة

(٣٤) الطبرى ج٥ : ص١٠٣ -١٠٥ .

(٣٥) ولقد أثبتنا كل هذا من كتب القوم أنفسهم فى كتابنا (الشيعة وأهل البيت) من أراد فلينظر إلى ذلك .

والزبير مع أبنائهم للدفاع عنه فقال مخاطبا إياهم :

يا أهل المدينة إنى أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى. إنى والله لا أدخل على أحد بعد يومى هذا حتى يقضى الله فىّ قضاه ولأدعن هؤلاء وراء بابى غير معطيهم شيئا يتخذونه عليكم دخلا فى دين الله أودنيا حتى يكون الله عزوجل الصانع فى ذلك ما أحب. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمد بن طلحة وابن الزبير وأشباها لهم، فجعلوا بالباب عن أمر آبائهم وثاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار»(٣٦).

حُصر عثمان إثنين وعشرين يوما ثم أحرقوا الباب وفى الدار أناس كثير فيهم عبد الله بن الزبير ومروان فقالوا ائذن لنا، فقال إن رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهدا فأنا صابرٌ عليه وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأحرّج على رجل يستقتل ويقاتل وخرج الناس كلهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده فقال أن أباك الآن لفى أمر عظيم فاقسمت عليك لما خرجت وأمر عثمان أبا كَرب رجلا من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلا غرارتان من ورق فلما أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعدّ محمد بن أبى بكر ابن الزبير ومروان فلما دخل على عثمان هربا ودخلوا عليه فنهم من يجؤه بنعل سيفه وآخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه فى ترقوته فسال الدم على المصحف وهم فى ذلك يهابون فى قتله وكان كبيرا وغُشى عليه ودخل آخرون فلما رأوه مغشيا عليه جرّوا برجله فصاحت نائلة وبناته وجاء التُّجيبى مُخترطا سيفه ليضعه فى بطنه فوقَته نائلة فقطع يدها واتّكأ بالسيف عليه فى صدره وقتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب

(٣٦) الطبرى : ج٥ ص١٢٦ .

الشمس ونادى منادٍ ما يحّل دمه ويحرج ماله فانتهبوا كل شىء ثم تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا الهرب هذا ما طلب القوم» وذكر محمد بن عمر ان عبد الرحمن بن عبد العزيز حدّثه عن عبد الرحمن بن محمد أن محمد بن أبى بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسُودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ المصحف فى سورة البقرة فتقدّمهم محمد بن أبى بكر فأخذ بلحية عثمان فقال قد أخزاك الله يانَعثَلُ فقال عثمان لست بنعثل ولكنى عبد الله وأمير المؤمنين قال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخى دع عنك لحيتى فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمد لو رآك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك وما أريد بك أشد من قبضى على لحيتك قال عثمان أستنصر الله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص فى يده ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت فى يده فوجأ بها فى أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت فى حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله فقال عبد الرحمن سمعت أبا عون يقول ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدَّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادى بعدما خرّ لجبينه فقتله * قال محمد بن عمر حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال الذى قتله كنانة بن بشر بن عتاب التُّجيبى وكانت امرأة منظور بن سيَّار الفزارى تقول خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجلا يتغنّى تحت الليل :

ألا إن خيرْ الناس بعد ثلاثة * قتيلُ التَّجيبى الذى جاء من مِصْر

قال وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمَقَ فطعنه تسع طعنات قال عمرو فأما ثلاث منهن فإنى طعنتهن إياه

لله وأما ستّ فإنى طعنتهن إياه لما كان فى صدرى عليه(٣٧) .

فهذه هى القصة ، اختصرناها من تاريخ الطبرى ومروج الذهب للمسعودى الشيعى بدون تغيير لفظ وتحريفه . وهكذا فاز السبئيون فى تفريق كلمة المسلمين وايقاع الخلاف والشقاق بينهم الذى لا ينتهى إلى يوم القيامة كما تنبأ عن ذلك عثمان رضى الله عنه مخاطبا الأشتر وغيره :

فوالله إن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون جميعا بعدى أبدا ولا تقاتلون بعدى جميعا أبدا»(٣٨) .

فهذا هو الذى حصل . ولقد أطلنا النقل فى هذا الخصوص لما أن له علاقة مباشرة بهذا الموضوع وهى المطاعن التى استغلها السبئيون لقلب نظام الحكم . فهى كما تلى ، بلسان أحد أخلافهم . فيقول ابن المطهّر الحلى :

وأما عثمان فإنه ولّى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ، حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه ، وعوتب على ذلك مراراً فلم يرجع . واستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وصلّى بالناس وهو سكران ، واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة ، فظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها . وولّى عبد الله بن أبى سرح مصر حتى تظلّم منه أهلها ، وكاتبه أن يستمر على ولايته سراً ، خلاف ما كتب إليه جهراً ، وأمره بقتل محمد بن أبى بكر . وولّى معاوية الشام ، فأحدث من الفتن ما أحدث . وولى عبد الله بن عامر العراق ، ففعل من المناكير ما فعل . وولى مروان أمره ، وألقى إليه مقاليد أموره ، ودفع إليه خاتمه ، فحدث من ذلك قتل عثمان ، وحدث الفتنة بين الأمة ما حدث . وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من

(٣٧) أيضا : ص١٣١ - ١٣٢ .
(٣٨) تاريخ الطبرى : ج٥ ص١١٨ .

بيت مال المسلمين، حتى إنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوَّجهم بناته أربعمائة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار. وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفّره، ولما حكم ضربه حتى مات. وضرب عمّاراً حتى صاره فتق، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: عمار جلدة بين عينى، تقتله الفئة الباغية، لا أنالهم الله شفاعتى يوم القيامة؛ وكان عمار يطعن عليه.

وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبى العاص عم عثمان عن المدينة، ومعه مروان، فلم يزل طريدا هووابنه فى زمن النبى صلى الله عليه وآله. وأبى بكر وعمر، فلما ولى عثمان آواه ورده إلى المدينة، وجعل مروان كاتبه، وصاحب تدبيره؛ مع أن الله تعالى قال: ﴿لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] الآيـة.

ونفى أبا ذرّ إلى ربذة، وضربه ضربا وجيعاً، مع أن النبى صلى الله عليه وآله قال فى حقه: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذرّ، وقال صلى الله عليه وآله: إن الله أوحى إلىّ أنه يحب أربعة من أصحابى، وأمرنى بهم، قيل له: من هم يارسول الله؟ قال: على عليه السلام سيدهم، وسلمان، ومقداد، وأبو ذر.

وضيّع حدود الله فلم يحد عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين عليه السلام بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبيد الله لاقامة القصاص عليه، فلحق بمعاوية. وأراد أن يعطل حد الضرب فى الوليد بن عقبة، حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لايبطل حد الله وأنا حاضر. وزاد الأذان يوم الجمعة وهو بدعة، وصار سنة الآن. وخالفه المسلمون كلهم حتى قتل»(٣٩)

(٣٩) منهاج الكرامة الملحق بمنهاج السنة: ص٦٦ -٦٧.

فهـذه هى تركـة السبئيـين تلقفها الشيعة منهم وتوارثها آباء آبائهم قبـل ، وهـذه أحـد الأدلـة بأن شيعـة اليوم لم يكّونوا مذهبهم ولم يؤ سسوا قواعـده وأركـانه إلا على الأسس التى وضعها السبئية ، وليس لهم علاقة بالشيعــة الأولى ، شيعـة علىّ وأولاده ، لا من قريب ولا من بعيـد وكـما سنبينه قريبا إن شاء الله فى موضعه .

فالإيرادات هذه التى اخترعها واختلق بعضها السبئيون ردّ عليها ذو النـورين فى حينهـا كما ذكـرناه آنفا من الطبر ى وغيره ، ولم يكن لبعض منهـا وجـود آنذاك ، وقد تصدى للرد على جميع هذه الأكاذيب والأباطيل أعيـان هذه الأمـة وأسـلافها ، وأئمة السنة وأعلامها ، مثل شيخ الإسلام ابن تيميـة حيث ذكـر واحـدا واحـدا منهـا ثم ردّ عليهـا بالأصـول الثابتة والـبراهـين السـاطعـة . وكـذلـك تلميـذه الـذهبى حيث لخص كتابه ، والقـاضى أبـو بكـر بن العربى وغيرهم من العلماء والمتكلمين والفقهاء . وفى شبـه القـارة الهنـديـة البـاكستانية انبر ى لها الكثير ون وعلى رأسهم الحكيم الـدهلوى ولىّ الله صاحب (حجـة الله البالغة) و (قرة العينين فى تفضيـل الشيخـين) و (إزالـة الخفاء عن خلافة الخلفاء) وابنه عبد العزيز الــدهلوى الــذى لخص كتــابـه الآلـوسى الصغـير وغـيره الكثـير ون الكثـير ون ، ولكن القـوم تعوّدوا على الكذب والإصرار عليه ، ويكثرون كيما ينطلى على السذج والمغفلين من الناس .

ولكن لأننـا بدأنـا فى البحث عن السبئيـة وأفكـارهم والفرق التى تفـرعت من الشيعـة وتـاريخهـا وتبنيها أفكارهم دون أفكار الشيعة الأولى أردنا ذكر هذه المطاعن ، وعلاوة على ذلك نبتغى من الرد عليها بأسلوبنا الخـاص وذكـرنـا الاستشهادات من كتب القوم ابتغاء مرضاة الله للدفاع عن حمى الإسـلام والـذود عن أصحـاب محمد ﷺ ، الذين نحبهم لحب

نبينا إياهم وحبهم إياه، ونرجو الله القبول والتوفيق .

فأول إيراد أوردوه على سيدنا عثمان رضى الله عنه أنهم قالوا : إنه آثر القربى ، وذكر أيضا المؤرخ الشيعى المشهور اليعقوبى حيث قال :

ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين وتكلم فيه من تكلم وقالوا : آثر القربى»[٤٠] .

فلننظر ما حقيقة هذا الإيراد وهذا الطعن؟ هل حقيقة قسم الولاية بين أقاربه أم هذه من أكاذيب السبئية التى اخترعوها لتأليب الناس على عثمان ، وتبنتها الشيعة وحتى اليوم لتأييد السبئيين فى خروجهم وبغيهم وإظهارا للولاء لهم والوفاء بهم . فها هوذا المؤرخ الشيعى المشهور اليعقوبى بذكر عمال عثمان على الولايات ، فيقول :

وكان لعثمان على اليمن يعلى بن أمية التميمى ، وعلى مكة عبد الله بن عمرو الحضرمى ، وعلى همذان جرير بن عبد الله البجلى ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى ، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعرى ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر الكريز، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبى السرح، وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان بن حرب»[٤١] .

وقد ذكر الطبرى وابن الأثير أسماء بقية العمال الذين كانوا على الولايات وعلى المناصب العليا فذكر الطبرى وابن الأثير :

وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب ابن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور السلمى ، وعلى فلسطين علقمة بن حكم الكنعانى ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزارى، وعلى القضاء (الشام) أبو الدرداء، وعلى الخراج جابر بن فلان المزنى ، وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله

(٤٠) تاريخ اليعقوبى : ج٢ ص١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٤١) تاريخ اليعقوبى : ج٢ ص١٧٦ .

البجلى ، وعلى آذربيجـــان الأشعث بن قيس الكنــدى ، وعلى حلوان عتيبــة بن النهـاس ، وعلى ماه مالــك بن حبيب ، وعلى الـرى سعيد بن قيس ، وعلى أصبهـان السـائب بن الأقـرع ، وعلى ما سبـذان جبيش ، وعلى بيت المال عقبة بن عامر ، وعلى القضاء زيد بن ثابت(٤٢) .

ونائبه فى الحج سنة كان عبد الرحمن بن عوف ، وفى السنة الأخيرة كان عبد الله بن عباس كما ذكر اليعقوبى فى تاريخه(٤٣) .

ومثل هذا ذكر كل من ابن سعد فى طبقاته وابن كثير وابن الأثير فى تاريخهما وابن عبد البر فى الاستيعاب وغيرهم فى غيرها .

ويظهــر من هذا الفهــرست بداهــة ولأول وهلة كذب السبئيـين المعلنـين لسبئيتهم والمفتخرين بها وكذب المتخلفين والوارثين فى أفكارهم ومطاعنهم والمتسترين المختفين تحت اسم التشيع خوفا من افتضاح ما هو مفضوح .

فهـذه هى الـولايـات وهؤلاء هم العـمال ، وهـذه هى المنـاصب وهؤلاء هم الحائزون عليها بثبت التاريخ وبشهادة القوم أنفسهم .

فالمناصب العليا فى الدولة كانت هى :

أولا : القضاء ، ولم يكن يتولاها أحد من أقاربه ، بل كان يتولاها زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه .

ثانيا : وبيت المال كان عليه عقبة بن عامر .

ثالثا : وعلى إمارة الحج عبد الله بن عباس .

رابعا : وعلى الخراج جابر بن فلان المزنى وسماك الأنصارى .

خامسا : وعلى الحرب القعقاع بن عمرو .

---

(٤٢) تاريخ الطبرى : ج٥ ص١٤٨ -١٤٩ ، ابن الأثير ج٣ ص٩٥ ، وورد بعض هذه الأسماء فى البداية والنهاية ص٣٢٢ .

(٤٣) ج٢ ص١٧٦ .

سادسا : وقد ذكر بعض المؤرخين أن رئيس الشرطة فى أيامه عبد الله بن قنفذ من بنى تيم[٤٤] .

فهـذه هى المنـاصب الستـة العليـا فى الدولة لم يكن واحد منها من بنى أمية أو أقارب عثمان رضى الله عنه وعن باقى الصحابة أجمعين .

سابعـا : وأمـا عمال الـولايـات وولاتهـا فلم يكن مع كثـرتهم إلا الثلاثة من بنى أمية ، وواحد من هؤلاء الثلاثة لم يولّه عثمان على ولايته ، بل كان قد ولّى من قبل أبى بكر ثم أثبته على تلك الولاية عمر مع كثرة عزله العمال والولاة ألا وهو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما كما ذكر مؤرخ شيعى معاوية من عمال عمر[٤٥] .

ولم يكن أبوبكر ولاّه على تلك الولاية إلا نائبا لأخيه يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما رسول الله ﷺ على تيماء[٤٦] .

كما استعمل أباهم ، أبا سفيان رضى الله عنه على نجران[٤٧] .

ولم يبق إلا الاثنان : عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وعبد الله بن عامر بن كريز .

والجـديـر بالذكر أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح أيضا ليس من بنى أمية ، بل هو من بنى عامر ولكن المرضعة التى أرضعت عثمان رضى الله عنه كانت أم عبد الله هذا ، فهذه حقيقة القرابة كلها .

ثم فهـل كان توليـة عبد الله بن عامر بن كريز وأضف إليه عبد الله بن سعد من بين العمال الكثيرين فيها مأخذاً ومطعناً فى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه؟ .

(٤٤) تاريخ خليفة ابن خياط : ج١ ص١٥٧ .
(٤٥) انظر تاريخ اليعقوبى : ج٢ ص١٦١ .
(٤٦) تاريخ الطبرى : ج٤ ص١٣٠ ، البداية ج٧ ص٢٤ .
(٤٧) تاريـخ خليفـة ابن خيـاط تحت عنوان عمال رسول الله : ج١ ص٦٢ ، نسب قريش لمصعب الزبيرى ، كتاب المحبر لأبى جعفر البغدادى : ص١٢٦ تحت عنوان امراء رسول الله .

فهـل من المحـرّم شرعـا أن يولى الخليفـة والأمير أحدا من أقاربه يستأهله فقط لأنه من أقاربه أو قبيلته وعشيرته. فهل ورد بذلك الكتاب أم السنة، وهل صرح بذلك أحد من الصحابة وأهل البيت وحتى علىّ وأولاده؟ .

وهل هذا من المطاعـــن؟ .

فإن كان هذا طعنا فوقوعه فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه - أحق وأولى حيث ولّى أيام خلافته قثم بن عباس على مكة وعبد الله بن عباس على اليمن(٤٨) .

وولّى عبـد الله بن عبـاس على البصـرة وولّى ربيبه محمد بن أبى بكر على مصر(٤٩) .

وولّى صهـره وابن أختـه جعـد بن الهبيرة على خراسان، كما كان على عساكره محمد بن الحنفية(٥٠) .

وقد ناب عنه فى الحج سنة ٣٦هـ عبد الله بن عباس، وسنة ٣٧هـ قثم بن العباس، وسنة ٣٨هـ عبيد الله بن العباس(٥١) .

ثم من أين لقوم أن يعترضوا على عثمان لتوليته أقاربه وهو لم يولّ كما أثبتناه - وهم لم يجعلوا عليا رضى الله عنه وصى رسول الله إلا لقرابته منه، ولم يجعلوا الإمامة فى أولاده إلا لأنهم من أولاده .

وعار عليك إذا فعلت عظيم

ثم ولولا أن يطول بنا الحديث لأثبتنا أن عمل عثمان رضى الله عنه كان أقـرب لسنـة رسـول الله ﷺ ممن جاء بعـده، ولم يعترض على عمله

(٤٨) تاريخ اليعقوبى الشيعى : ج٢ ص١٧٩ .
(٤٩) مروج الـذهب
(٥٠) انظر لذلك مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج٢ ص٣٥١، ومنهاج السنة لابن تيمية والعواصم من القواصم .
(٥١) تاريخ اليعقوبى : ص٢١٣ .

وعمـالـه أحـد من أصحـاب رسـول الله ولا عليّ والهـاشميون الآخرون غيره، ولا أهل الأمصار والولايات الذين أمّر عليهم هؤلاء العمال كما هو ثابت فى التاريخ .

فهـذا كل ما يدنـدن حولـه القـوم من السبئيـين إلى شيعة عصرنا الحاضر. وهذه هى الحقيقة وهذه هى الحقائق، وهذه هى التهمة الكبيرة والمطعن الأكبر الذى استعمله السبئيون قديما، ويستعمله الشيعة حديثا .

وأخيرا ننقل ههنا ما ذكره الذهبى فى (المنتقى) جوابا على هؤلاء :

إن نّواب عليٍ قد خانوه وعصوه أكثر مما خان عمال عثمان له وعصوه وذهب بعضهم إلى معـاويـة . وقـد ولّى على رضى الله عنه زياد بن أبى سفيـان أبـا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين وولّى الأشتر، وولى محمد بن أبى بكـر، ومعـاويـةُ خيرٌ من هؤلاء كلهم . ومن العجب أن الشيعـة ينكرون على عثمان ما يدعون أن علياً كان أبلغ فيه من عثمان، فيقولون إن عثمان ولى أقاربه من بنى أمية وعليّ ولّى أقاربه من قَبَل أبيه وأمه كعبد الله وعبيـد الله ابنى عمـه العبـاس وقُثَم بن العباس وثُمامة ابن العباس . وولى على مصر ربيبه محمد بن أبى بكر الذى رباه فى حجره وولد أخته أم هانىء ثم إن الإمـاميـة تدَّعى أن عليـا نص على أولاده فى الخلافة . . . ومن المعلوم أنــه إن كان توليـة الأولاد أقـرب إلى الإنكـار من توليـة بنى العم . . . وإذا أدُّعى لعلى العصمـة ونحـوهـا مما يقطـع عنـه ألسنـة الطاعنين كان ما يُدَّعى لعثمان من الاجتهاد الذى يقطع ألسنة الطاعنين أقـرب إلى المعقـول والمنقـول . وأمـا عثمان فله أسوة فى استعمال بنى أمية بالنبى ﷺ فقـد استعمـل عتّابَ بن أسيد الأموى على مكة، وأبا سفيان

على نجران ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، حتى إنه استعمل الوليد بن عقبة . . .

فيقول عثمان : أنا لم استعمل إلا من استعمله النبى ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبوبكر وعمر بعده ، فقد ولى أبوبكر يزيد بن أبى سفيان بن حرب فى فتوح الشام ، وأقرَّه عمر ، ثم ولى عمر بعده ، أخاه معاوية . وهذا النقل عن النبى ﷺ فى استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه ، بل متواتر عند أهل العلم ، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبى ﷺ أظهرَ عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة فى واحد معين من بنى هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل ، وذاك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل . وأما بنو هاشم فلم يستعمل النبى ﷺ منهم إلا عليا على اليمن وجعفر على غزوة مؤتة مع مولاه زيد وابن رواحة»(٥٢) .

وأما توليته الوليد بن عقبة على الكوفة فليس فيه شىء ، لأن الوليد كان من أعيان قريش :

وكان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وأدبا ، وكان شاعرا شريفا»(٥٣) .

ثم رسول ﷺ نفسه أمّره على صدقات بنى المصطلق :

أسلم يوم الفتح وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بنى المصطلق»(٥٤) .

وأما سعيد بن العاص فنثبت ههنا ما ذكره الخطيب محب الدين على هامش (المنتقى من منهاج السنة) :

---

(٥٢) المنتقى للذهبى : ص٣٨٢ ـ٣٨٣ .

(٥٣) تهذيب التهذيب : ج١١ ص١٤٣ .

(٥٤) تهذيب التهذيب : ج١١ ص١٤٢ ، وكتاب المحبر : ص١٢٦ .

كان سعيد بن العاص فى الذروة العاليا من فصحاء قريش ، وندبه عثمان عند كتابة القرآن فأقيمت عربية القرآن على لسانه ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ وبلغ من صدق إيمانه أن قال له عمر يوماً أنا لم أقتل أباك ، وإنما قتلت خالى العاص بن هشام فقال له سعيد : ولو قتلته لكنتَ على الحق وكان على الباطل . وسعيد بن العاص هو فاتح طبرستان وغزا جرجان وكان فى عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة . وحسبه شرفا ما رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ ببردة فقالت : إنى نذرت أن أعطى هذه البردة لأكرم العرب ، فقال لها ﷺ : أعطيها لهذا الغلام . وهو واقف . (وكان هذا الغلام هو سعيد بن العاص المجاهد الفاتح الذى يعير الرافضى أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة) فإن لم تكن إقامة القرآن على لسان سعيد بن العاص مفخرة عند الرافضة فشهادة النبى ﷺ له بأنه أكرم العرب من أعظم مفاخر الدنيا والدين ، إلا أن له عيبا وهو أنه أحد الذين أخرجوا إيران من المجوسية إلى الإسلام بتسجيل التاريخ له أنه فاتح طبرستان وقائد كبار الصحابة فى غزو جرجان . وأحاديثه فى صحيح مسلم وسنن النسائى وجامع الترمذى . ولكن الرافضة لا تعبأ بصحيح مسلم ولا بجميع دواوين السنة المحمدية مادامت مكتفية بأكاذيب كتابهم الذى يسمونه الكافى . ومن مفاخر سعيد بن العاص التى يموت الرافضة بسببها كمدا وحنقا ما أخرجه الطبرانى من طريق محمد بن قانع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : رأيت رسول الله ﷺ عاد سعيد بن العاص ، فرأيته يكمده بخرقة . وأراد بعضهم أن يصرف هذه المنقبة إلى جد سعيد بن العاص ـ وهو أيضا يسمى سعيد بن العاص ـ لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا فى مكة قبل الهجرة وجد سعيد بن العاص مشرك ، فان صح أن

النبى ﷺ فعل ذلك بجد سعيد بن العاص الأموى وهو مشرك فيكون ذلك من باب المودة فى القربى لأنهما من بنى عبد المناف، وسبُّ الرافضة للأمويين من بنى عبد المناف فى جاهليتهم وإسلامهم ينافى ما كان يحتج إليه النبى ﷺ من أسباب المودة فى القربى التى تقدم الكلام عليها لمناسبة ما كان النبى ﷺ يبادل به أبا سفيان فى الجاهلية من أسباب هذه المودة العائلية. وعلى ذكر حديث البردة التى نذرت إحدى الصحابيات أن تعطيها لأكرم العرب فأمرها النبى ﷺ أن تعطيها لسعيد بن العاص وكان غلاماً بعد، فإن هذا الحديث من أعلام النبوة، وقد اكتشف النبى ﷺ بنور الوحى الإلهى أن سعيدا سيكون أكرم العرب، روى ابن أبى خيثمة من طريق يحيى بن سعيد قال: قدم محمد بن عقيل بن أبى طالب على أبيه فقال له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أمى، وحسبك بسعيد بن العاص وقال معاوية: كريم قريش سعيد بن العاص. وكان مشهوراً بالكرم والبر، حتى كان إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطورا، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاها عنه ولده عمرو الأشدق.... وهذا هو الأموى الذى يعير الرافضىُّ أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة، مات سعيد بن العاص فى قصره بالعقيق سنة ٥٣»(٥٥).

ونضيف إلى ذلك أنه كان يهدى عليا رضى الله عنه وكان يقبل منه كما ذكره ابن سعد فى طبقاته :

إن سعيد بن العاص قدم المدينة وافدا إلى عثمان، فبعث إلى وجوه المهاجرين والأنصار بصلات، وإلى على بن أبى طالب فقبل منه»(٥٦).

(٥٥) المنتقى من منهاج السنة للذهبى : ص٣٧٥-٣٧٦ الهامش.

(٥٦) طبقات ابن سعد : ج٥ ص٢١.

فإن كان كما يذكره السبئيون والشيعة فكيف يقبل منه صلات وهدايا؟. وأكثر من ذلك أن سعيد بن أبى العاص هذا :

خطب أم كلثوم بنت على من فاطمة التى كانت زوجة عمر بن الخطاب فأجابت إلى ذلك»(٥٧).

فارجع البصر هل ترى من فتور، ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير.

فأنظر إلى شهامة عمال عثمان وكرم البيت الأموى كما يذكره الذهبى وغيره :

خطب سعيد بن العاص أم كلثوم بنت على بعد عمر، وبعث لها بمائة ألف، فدخل عليها أخوها الحسين وقال : لا تزوجيه، فقال الحسن : أنا ازوّجه واتعدوا لذلك، فحضروا فقال سعيد : وأين أبو عبد الله؟ فقال الحسن : سأكفيك، قال : فلعل أبا عبد الله كره هذا، قال : نعم، قال : لا أدخل فى شىء يكرهه ورجع ولم يأخذ من المال شيئا»(٥٨)

وأما عبد الله بن عامر عامل عثمان على العراق فيكفيه شرفا أنه :

أتى به النبى ﷺ وهو صغير، فقال : يشبهنا وجعل يتفل عليه ويعوذه، وجعل عبد الله يبتلع ريق رسول الله ﷺ إنه المستقى، فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء. . . فكان كما قال رسول الله ﷺ.(٥٩)

وزاد ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال :

هذا ابننا وهو أشبهكم بنا»(٦٠).

لأن جدته كانت عمة رسول الله ﷺ وهى أم حكيم بنت عبد

---

(٥٧) البداية والنهاية : ج٨ ص٨٦.

(٥٨) سير أعلام النبلاء : ج٣ ص١٩٥.

(٥٩) الاستيعاب ج٣ ص١٥١، الاصابة ج٣ ص١٦٠، أسد الغابة : ج٣ ص١٩١.

(٦٠) طبقات ابن سعد : ج٥ ص٣١.

المطلب بن هاشم(٦١) .

وكان سخيا شجاعا، وصولا لقرابته ولقومه، محببا فيهم، رحيما(٦٢) .

وولاه بلاد فارس وكان عمره خمسا وعشرين سنة، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان وزابلستان(٦٣) .

كما أرسل العساكر إلى كل من قومس ونسّا وابرشهر وجام وطوس واسفرائين وسرخس ومرو وبوشنج وزرنج(٦٤) .

وهو الذى قتل كسرى فى ولايته(٦٥) .

وأرسل العساكر إلى الكاريان والفيشجان وناشب وبهرات وبيهق وطخارستان وجوزجان والفاريان والطالقان وبلخ وخوارزم وبادغيس واصبهان وحلوان(٦٦) .

وافتتحت هذه البلدان كلها تحت اشرافه وبأيدى عساكره(٦٧) .

وهو أول من أتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها العين وسقى الناس الماء، فذاك جار إلى اليوم(٦٨) .

وعلى ذلك قال شيخ الإسلام :

ان عبد الله بن عامر له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس ما لا ينكر»(٦٩) .

---

(٦١) انظر كتاب مصعب ابن الزبير : ص١٤٨ -١٤٩ .

(٦٢) طبقات ابن سعد ج٥ ص٣٢، الاستيعاب لابن عبد البر : ج٢ ص٣٥٢، كتاب نسب قريش ص١٤٩ .

(٦٣) أسد الغابة : ج٣ ص١١٩، طبقات ابن سعد : ج٥ ص٣٣ .

(٦٤) كتاب البلدان لليعقوبى الشيعى : ص٤٠ وما بعد .

(٦٥) الاستيعاب لابن عبد البر : ج٢ ص٥٢ .

(٦٦) تاريخ خليفة ابن خياط : ج١ ص١٤٠، ١٥٨ .

(٦٧) أيضــــا .

(٦٨) طبقات ابن سعد : ج٥ ص٣٤، أسد الغابة : ج٣ ص١٩١، البداية : ج٨ ص٨٨ .

(٦٩) منهاج السنة لابن تيمية : ج٣ ص١٨٩ -١٩٠ .

وأنى للشيعة من أولهم إلى آخرهم أن يكون لهم وال مثله فى الجهاد والغزوات وفى الفتوحات وتقديم الهبات والصلات والبر بالناس وعمل الخيرات .

وأما مروان الذى طالما كثر الكلام حوله فنفصل فيه القول بعض التفصيل لأنه هو كان محور المطاعن ومركز التجريح ، ولا زال من قبل السبئية ومن فرق الشيعة كلها .

فان أكثر ما روى عنه من المطاعن والتهم من قبيل شتمه وسبابه لعلىّ ، وأخذه خمس أفريقيا ، ونفى والده وطرده هو معه ، وكتابته الكتاب المزعوم لقتل محمد بن أبى بكر وغيرها من الروايات لم ترو إلا من طريق الواقدى ومحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام أو أبى مخنف لوط بن يحيى ، وقد ذكرنا أحوال جميع هؤلاء الرواة بأنهم من بقايا السبئين ومن الشيعة مع الانقطاع فى رواياتهم ومروياتهم لأنهم يروون ممن لم يسمعوا عنه ولم يلتقوا به ، وعلى ذلك لا يلتفت إلى ما ورد بطرقهم وتفردوا بنقلها مثل الطبرى وابن سعد فانهم لم يروا إلا من الواقدى . وأما البلاذرى فى (انساب الاشراف) فلم يرو إلا من هشام الكلبى وابن مخنف . وأما البقية من المؤرخين فلم يأخذوا إلا من هؤلاء . ولأجل ذلك قال القاضى أبو بكر بن العربى وابن حجر الهيثمى وابن تيمية والذهبى وغيرهم :

ان أكثر الأخبار فى ذلك مختلقة ولم يصح منه شىء[٧٠] .

وبذلك صرح علماء الحديث تحت ذكر الروايات الموضوعة أن أكثر ما ورد فى هذه الروايات من ذم معاوية وعمرو بن العاص وبنى أمية وكذلك من ذم الوليد ومروان بن الحكم فهى موضوعة مكذوبة اختلقها الكذابون الدجالون من الشيعة الذين جعلوا دينهم الكذب ، وجعلوا

(٧٠) انظر العواصم من القواصم ص١٠٠ ، الصواعق المحرقة ص٦٨ ، منهاج السنة : ج٣ ص١٩٦ ، المنتقى : ص٣٩٥ ، التحفة الأثنا عشرية : ص٣١١ . ط . الهند .

الكـذب من أقـدس المقـدسـات عنـدهم(٧١) كما صرح بذلك الملا على القارى فى كتابه (الموضوعات)(٧٢) وانظر أيضا الاسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة(٧٣) والمنار المنيف فى الصحيح والسقيم لابن القيم وغيرهم .

هذا قسم من المطـاعن . وأمـا القسم الآخـر فردّ عليـه المؤرخـون أنفسهم ، كما ردّوا على الكتب المـزوّرة التى نسبت إلى مروان بأنـه هو الـذى كتبهـا وختم عليها عثمان لأن الختم كان عنده فقالوا ان هذا كذب على الصحابة :

إنما كتبت مزورة عليهم كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير كتبا مزوّرة عليهم»(٧٤) .

وذكر ابن خلدون :

فانصـرفـوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون أنهم لقوه فى يد حامله إلى عامل مصر بأن يقتلهم ، وحلف عثمان على ذلك ، فقـالـوا مكنّـا من مروان فإنه كاتبك فحلف مروان فقال : ليس فى الحكم أكثر من هذا(٧٥) .

وقبـل ذلـك قد أعلن باختـلاق هذه الكتب على بن أبى طالب رضى الله عنه دراية وفراسة منه كما نقلنا كلامه فى بداية الأمر بأنه قال :

كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا هذا ، والله أمر ابرم بالمدينة ، قالوا : فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ، ليعتزلنا»(٧٦) .

---

(٧١) انظر لذلك كتابنا (الشيعة والسنة) .

(٧٢) ص١٠٦ .

(٧٣) ص٣٧٧ . ط . بيروت .

(٧٤) البداية والنهاية : ج٧ ص١٧٥ .

(٧٥) مقدمة ابن خلدون الفصل الثلاثون فى ولاية العهد : ص٢١٥ .

(٧٦) الطبـرى : ج٥ ص١٠٥ .

هذا من ناحية الرواية . وأما دراية فهل يعقل أن شخصا كهذا يكون كاتبا لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ولا يعترض عليه أحد من كبار الصحابة بما فيهم على بن أبى طالب حامل راية رسول الله يوم خيبر ، وسعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرة وفاتح إيران ، والزبير ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه ، وطلحة الذى وقى رسول الله ﷺ من سهام مشركى مكة وصار له كالترس ، وغيرهم من أعيان الصحابة وأكابرهم؟ ولا يصدر هذا الكلام الذى يخترعونه ويختلقونه من أعيان الصحابة وأكابرهم .

ثم وهل يمكن أن يشفع له الحسن والحسين رضى الله عنهما إلى أبيهما أن يطلق سراحه يوم كان أسيرا عنده؟ كما ذكره الشيعة أنفسهم ، قالوا :

«أخذ مروان بن الحكم أسيرا فاستشفع له الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلم فيه فخلّى سبيله»(٧٧) .

وهؤلاء الثلاثة أى على وابناه الحسن والحسين معصومون عند الشيعة حسب زعمهم ، وعند السبئيين كان علىّ هو هو - أى الله - فالإله يقبل الشفاعة ويطلق السراح لشخص يكون متصفا بتلك الأوصاف التى وصفه بها القوم كذبا ومنا؟ .

وأكثر من ذلك . نعم أكثر من ذلك قد ذكر كبير القوم المجلسى حديثا فى كتابه عن موسى بن جعفر عن جعفر أنه قال :

كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان بن الحكم فقالوا : لأحدهما (أى لموسى أو لجعفر) : ما كان أبوك يصلى إذا رجع إلى

(٧٧) نهج البلاغة : ص١٢٣ فى خطبة له عليه السلام علم فيها الصلاة على النبى .

البيت؟ فقال: والله لا، ما كان يزيد على صلاة»(٧٨).

ومثل ذلك ذكره ابن كثير فى تاريخه»(٧٩).

كما ذكر الإمام البخارى فى تاريخه عن شرحبيل بن سعد قال: رأيت الحسن والحسين يصليان خلف مروان»(٨٠).

هل بعد هذا شك لشاك بأن هذه التهم كانت كلها باطلة ومختلقة، لا صحة لها على الاطلاق، ولو كان فيها شىء من الصحة لما كانت معاملة على وأهل بيته له مثل ما ذكر فى كتب الشيعة أنفسهم.

هذا ولقد ذكر المؤرخون كثيرا من الوقائع التى تنبىء وتثبت صراحة عكس ما ذكره السبئيون وما يعيده الشيعة فى مختلف الادوار. ومنها ما ذكروه أن على بن الحسين الملقب بزين العابدين - وهو الإمام المعصوم الرابع عند القوم - استقرض من مروان ستة آلاف دينار ومائة ألف درهم، فلما حضرته الوفاة أوصى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من على بن الحسين شيئا مما كان أقرضه»(٨١).

ثم إن ابنة على رضى الله عنه ألا وهى رملة زوّجت من ابن مروان هذا، كما ذكر هذا الزواج عديد من النسابين:

كانت رملة بنت على عند أبى الهياج - الهاشمى - واسمه عبد الله بن سفيان بن أبى الحارث بن عبد المطلب ولدت له وقد انقرض ولد سفيان بن الحارث، ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم»(٨٢).

وكذلك زينب بنت الحسن المثنى كانت متزوجة من حفيد مروان وليد بن عبد الملك، وكانت زينب هذه نجيبة الطرفين حيث أنها حسنية

(٧٨) بحار الأنوار لمجلسى: ج١٠ ص١٣٩.

(٧٩) ج٨ ص٢٥٨.

(٨٠) التاريخ الصغير للبخارى.

(٨١) البداية والنهاية: ج٨ ص٢٤٩ وج٩ ص١٠٥.

(٨٢) نسب قريش لمصعب الزبيرى تحت ذكر أولاد على بن أبى طالب: ص٤٥، جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحت ذكر ولد مروان: ص٨٧.

من قبل إب وحسينية من قبل الأم، فإن أمها كانت فاطمة بنت الحسين بن علي .

ولقد ذكر هذا الزواج أيضا عديد من أصحاب الأنساب :

وكانت زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي عند الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة»[٨٣] .

وكذلك تزوج الوليد بن عبد الملك هاشمية علوية أخرى نجيبة الطرفين. ألا وهي نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب سبط الرسول، وأم نفيسة كانت لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. وقد ذكر هذا الزواج نسابة شيعي مشهور كما ذكرنا من قبل :

وكان لزيد ابنة أمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان، فولدت منه»[٨٤] .

وهناك مصاهرات أخرى ذكرها أصحاب الأنساب .

فهذه هي شهادات التاريخ وشهادات الشيعة أنفسهم بأن الفاطميات والعلويات تزوجن من أبناء مروان وأحفاده، فإن كان مروان كما يصفه الواصفون، وكما يكذب عليه الكذابون فكيف كان هذا؟ وما الجواب عنه؟ .

والجواب يعلمه المنصفون لأول وهلة أنه لم يكن هناك شيء إلا ما اختلقه السبئيون أبناء اليهود ومن سلك مسلكهم، وإلا فهل يعقل من أولاد عليّ رضي الله عنه بأنهم يزوّجون بناتهم من أبناء مروان وأحفاده إن كان مروان كما قيل عنه وكما يقال ؟ .

وأما اتهام السبئيين ومن خلفهم بأن عثمان كان يؤثر أهله بالأموال

---

(٨٣) نسب قريش تحت أولاد الحسن المثنى : ص٥٢، جمهرة أنساب العرب : ص١٠٨ .

(٨٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين بن عنبة الشيعي : ص ٧٠ تحت أولاد زيد بن الحسن، طبقات ابن سعد : ج٥ ص٣٤ .

الكثيرة من بيت المال فلا يثبت فى ذلك شىء لأن عثمان ردّ على السبئيين يوم ذاك كما نقلنا مقدما أنه قال :

واما إعطاءهم فانى أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطى العطية الثمينة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى»(٨٥).

وقد أقر المخالفون لعثمان حينما قال لهم :

وإنى قد وليّت وإنى أكثر العرب شاة وبعيرا ومالا ، فمالى اليوم شاة ولا بعير غير البعيرين لحجى ، أكذلك؟ قالوا : اللهم نعم»(٨٦) .

ثم كل ما ورد بعد هذا ليس إلا من إختلاق السبئية الذين تعودوا على تكرار الكذب والإصرار عليه ليورثوا الضغائن والأحقاد ضد رحماء رسول الله وأصهاره وضد رفاق رسول الله وتلامذته وأحبائه .

والجدير بالذكر أن رواة هذه الأشياء هم نفس الرواة الذين ينقلون الأكاذيب فى أصحاب رسول الله ﷺ يفخمونها ويكبرونها ، بل ويختلقونها ويخترعونها من الواقدى الرافضى ، ولوط بن يحيى ابى مخنف الشيعى ، لا عن واحد من الثقات ومن رواة السنة ، ولقد قدمنا الكلام فى هؤلاء فى بداية البحث، فلا التفات إلى رواياتهم الكاذبة الموضوعة ولا اعتبار بها .

فلم يأت عثمان بمنكر. لا فى أول الأمر ولا فى آخره، ولا جاء الصحابة بمنكر، وكل ما سمعت من خبر باطل اياك أن تلتفت إليه .

ومثل ذلك قال أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى عن الحسن بن على أنه قال :

(٨٥) الطبرى : ج٥ ص١٠٣

(٨٦) أيضا ، ومثل ذلك فى البداية والنهاية لابن كثير : ص١٦٩ .

عمـل أمـير المؤمنـين عثمان ثنتى عشرة سنة لا ينكرون من إمارته شيئا حتى جاء فسبقة فداهن والله فى أمره أهل المدينة»(٨٧) .

وبذلك شهد محمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر أنه لم يكن هنـاك شىء، بل كل ما كان هو مؤامـرة دبّـرهـا عبـد الله بن سبأ بمؤامرة خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر وغيرهم(٨٨) .

وجمعـوا حولهم قومـا لأحقـاد اعتقـدوهـا ممن طلب أمرا فلم يصل إليـه، وحسـد حسـاد أظهـر داؤ هـا، وحمله على ذلـك قلة دين وضعف يقين، وايثار العاجلة على الآجلة(٨٩) .

والجـديـر بالـذكـر أن سودان بن حمران وخـالـد بن ملجم كانا من لـذين نظـر إليهم عمر بن الخطاب فى إمرته فأعرض عنهم ثم أعرض ثم عـرض حتى قيـل: مالـك ولهؤ لاء؟ فقال: إنى عنهم لمتردد، وما مرّ بى وم من العرب أكره إلىّ منهم»(٩٠) .

وأمـا ضربـه ابن مسعـود وعـمارا ونفيـه أباذر إلى الربذة فلم يثبت ىء منه، كلها أباطيل وأكاذيب، اللهم إلا أنه اختلـف مع ابن مسعود ىلى حمله الناس على مصحف واحد حيث إن ابن مسعود كان يعارضه الأمة قاطبة وعلى رأسهم أصحاب رسول الله كانوا مع عثمان، ولا زال مصحفـه هو متـداولا بين النـاس. فلم ينقـل عن الثقات أنه ضرب ابن مسعود حتى مات، ولم يذكره السبئيون فيما ذكروا من تهمهم على عثمان .

وأما قضية عمار فقد كان كل ما فيه كما ذكره المؤرخون أنه كان بينه

(٨٧) التاريخ الصغير للإمام البخارى : ص٣٢ تحت ذكر من مات فى خلافة عثمان .

(٨٨) تاريخ طبـرى : ج٥ ص٩٩، تاريخ ابن خلدون تحت ذكر بدء الانتفاض على عثمان. ص١٣٨ .

(٨٩) العواصم من القواصم لابن العربى : ص١١١ .

(٩٠) انظر لذلك الطبـرى : ج٤ ص٨٦ .

وبين عباس بن عتبة بن أبى لهب خلاف فأدبهما عثمان بالضرب ولم يكن بينهم شىء، ولأجل ذلك أرسل أمير المؤمنين عثمان عمارا فيمن أرسل لاستخبار أحوال المسلمين واستكشاف أمورهم كما مرّ ذلك مقدما(٩١).

نعم استغل السبئيون وجوده فى مصر والتفوا حوله وأثاروا حفيظته ليستميلوه إليهم، فلما وصل المدينة عاتبه عثمان على ممالأته السبئيين وقال له:

يا أبا اليقظان قذفت ابن أبى لهب قذفك... وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه، اللهم قد وهبت ما بينى وبين أمتى من مظلمة، اللهم انى متقرب إليك بإقامة حدودك فى كل أحد ولا أبالى»(٩٢).

وأما أمر أبى ذر فنذكر لبيان الحقيقة عبارة من تاريخ ابن خلدون حيث يذكر مطعن السبئيين على سيدنا عثمان لقلب حكم المسلمين ويذكر حقيقة هذا الطعن بقوله:

وكان مما أنكروه على عثمان اخراج أبى ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة وكان الذى دعا إلى ذلك شدّة الورع من أبى ذر وجعل الناس على شدائد الأمور والزهد فى الدنيا وأنه لا ينبغى لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ويأخذ بالظاهر فى ذم الادّخار بكنز الذهب والفضة وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله المال مال الله ويوهم انّ فى ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين حتى عتب أبوذر معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين، وأتى ابن سبأ إلى أبى الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك. فدفعوه وجاء به عبادة إلى معاوية وقال هذا الذى بعث عليك أباذر ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان

---

(٩١) انظر تاريخ الطبرى: ج٥ ص.

(٩٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٧ ص٤٢٩.

فاستقدمه وقال له ما لأهل الشام يشكون منك؟ فأخبره، فقال يا أباذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما عليّ أن أقضى بينهم بحكم الله وأرغبهم فى الاقتصاد، فقال أبوذر لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والإخوان ويصلوا القرابة، فقال له كعب الأحبار من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه أبوذر فشجه، وقال ياابن اليهودية ما أنت وهذا! فاستوهب عثمان من كعب شجته فوهبه، ثم أستأذن أبو ذر عثمان فى الخروج من المدينة وقال انّ رسول الله ﷺ أمرنى باخروج منها إذا بلغ البناء سلعا، فأذن له ونزل بالربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الأبل واعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة فعدّ أولئك الرهط خروج أبى ذر فيما ينقمونه على عثمان»(٩٣) .

وقد ثبت بذلك أشياء منها :

أولا : أن أباذر رضى الله عنه لشدة ورعه وزهده وسذاجته انطلى عليه أكاذيب عبد الله بن سبأ، وهو الذى كان يحرضه .

ثانيا : كان رضى الله عنه يقول بأقوال ويدعوا الناس إلى آراء لم يأخذ بها أحد من الصحابة ولم يعمل بها أحد من حكام المسلمين وحتى علىّ لم يعمل بها فى إمرته .

ثالثا : كان معاملة عثمان معه معاملة الرفق والرفيق .

رابعا : شدة أبى ذر بآرائه وأفكاره، وضربه كعب الاحبار وجرحه إياه .

خامسا : شفاعة عثمان إلى كعب الاحبار لعدم الاقتصاص منه وطلبه العفو والسمح .

(٩٣) ابن خلدون : ج٢ ص١٣٩ .

سادسا : استيذان أبى ذر عثمان فى الخروج من المدينة امتثالا بقول رسول الله .

سابعا : نزوله الربذة برضاه، لا نفيا ولا طردا من عثمان .

ثامنا : لم يكن الربذة خلاء ولا صحراء كما يصورها الأعداء، بل كان فيها عمران حتى بنى بها مسجدا .

تاسعا : إقطاع عثمان إياه صرمة من الإبل واعطاؤه إياه مملوكين للخدمة، واجراء الارزاق عليه .

عاشرا : لم يكن منفيا ومطرودا حيث كان يتعاهد المدينة .

فتلك عشـــرة كاملة

والجدير بالذكر أن الربذة لم تكن بعيدة من المدينة لأن بينهما ثلاثة أميال فقط، وقال ياقوت : وكانت فى أحسن منزل فى طريق المدينة»(٩٤) .

وعلى ذلك قال أبوبكر ابن العربى :

وأما نفيه أباذر إلى الربذة فلم يفعل»(٩٥) .

ونقل الذهبى عن الحسن البصرى أنه قال :

معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان»(٩٦) .

ومثل هذا روى عن زوجة أبى ذر أنها قالت :

والله ما سير عثمان أباذر إلى ربذة»(٩٧) .

وأما عدم أخذه القصاص من عبيد الله بن عمر على قتله هرمزان فالغريب أن الشيعة يقولون بهذا القول، الذين يدعون موالاة على رضى

(٩٤) هوامش المنتقى : ص٣٨٠ .

(٩٥) انظر العواصم من القواصم : ص٧٣ .

(٩٦) المنتقى : ص٣٩٦ . ط. مصر .

(٩٧) أيضـــا .

الله عنـه ومشـايعتـه ، وأنىّ لهم تلك وهم أنفسهم يذمـون كل من طالب عليهاقصاص عثمان ممن قتله؟ .

ثانيا : ولقد ثبت أن الهرمزان كان واحدا ممن دبروا اغتيال الفاروق الأعظم رضى الله عنـه وقتله ، وهـاهـوعبـد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما يذكر غداة طعن عمر :

مررت بأبى لؤلؤة عشى أمس ، ومعـه جفينـة والهـرمـزان وهم نجىّ ، فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه فى وسطه ، فانظـروا بأى شىء قتـل وقـد تخلل أهل المسجد وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجـع إليهم التميمى وقـد كان الـظّ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء بالخنجر الذى وصفه عبد الرحمن(٩٨) .

ثالثـا : ان القمـازبـان بن الهـرمـزان عفى عنـه وغفر له قتل أبيه . وهاهو النص كما رواه أبو المنصور أنه قال :

سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه قال : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضهـا إلى بعض ، فمـرّ فيروز بأبى ومعـه خنجـر له رأسـان فتنـاولـه منـه وقال : ما تصنع بهذا فى هذه البلاد؟ . فقال : ابس به ، فرآه رجـل . فلما اصيب عمـر قال : رأيت هذا مع الهـرمزان دفعه إلى فيروز ، فأقبـل عبيـد الله فقتله ، فلما ولىّ عثـمان دعـانى فأمكننى منـه ، ثم قال : يابني هذا قاتل أبيك وأنت أولى به وما فى الأرض أحد إلا معى إلا أنهم يطلبـون إلى فيـه ، فقلت لهم : إلى قتله؟ قالوا : نعم ، وسبوا عبيد الله ، فقـلت : أفـلكـم أن تمنعـوه؟ قالـوا : لا وسبّـوه ، فتركتـه لله ولهم ، فاحتملونى . فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤس الرجال وأكفهم(٩٩) .

(٩٨) الطبـــرى : ج٥ ص٤٢ .

(٩٩) الطبـــرى : ج٥ ص٤٣ ـ٤٤ .

رابعا : أن عثمان دفع ديته من ماله :

قال عثمان : أنا وليّه وقد جعلتها دية واحتملتها فى مالى(١٠٠) .

أو بعد هذا مجال لقائل أن يقول، وطاعن أن يطعن؟ .

وأما قضية الأذان الثانى فى الجمعة فلم يكن مما اعترضه عليه السبئيون، وهذا من زيادات أسلافهم، وعلى ذلك نقول لهم :

هل علىّ أزال هذا الأذان حينما تولىّ الخلافة؟ .

والثابت أنه لم يزل طيلة خلافته، فلماذا سكت على هذا المنكر إن كان كان منكرا؟ . ولم الطعن على عثمان دون علىّ إن كان هذا من المطاعن؟ .

وبذلك قال الذهبى :

وأما زيادات الأذان الثانى يوم الجمعة فعلىّ ممن وافق على ذلك فى خلافته ولم يزله وإبطال هذا كان أهون عليه من عزل معاوية وغيره من قتالهم . فإن قيل ان الناس لا يوافقونه على إزالة الأذان قلنا : فهذا دليل على أن الناس وافقوا عثمان على الاستحباب حتى مثل عمار وسهل بن حنيف والسابقين . وان اختلفوا فهى من مسائل الاجتهاد(١٠١) .

هذا ما قاله السبئية وطعنوا لع على عثمان المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى نورين رضى الله عنه حتى ألبّوا الناس عليه وقتلوه خدعة ومكرا، غدرا وطغيانا، بعد ما اراد على وسبطا رسول الله الحسن والحسين وطلحة والزبير وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وعبد الله بن الزبير الدفاع عنه والمقاتلة دونه، وغيرهم الكثيرون حتى جاءه زيد بن ثابت الأنصارى فقال له : ان هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : ان شئت كنا أنصار الله مرتين، فقال له عثمان : لا حاجة لى فى ذلك،

(١٠٠) أيضا ص٤١ .

(١٠١) المنتقى : ص٣٩٩ .

كفّوا»(١٠٢).

وقد ذكر ذلك ابن أبى الحديد الشيعى المعتزلى :

ومانعهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص وجماعة معهم من أبناء الأنصار، فزجرهم عثمان وقال: أنتم فى حل من نصرتى فأبوا(١٠٣).

وأيضا نهى علىّ أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا، نابذهم بيده وبلسانه وبأولاده(١٠٤).

وقد ذكر ذلك المؤرخ الشيعى المسعودى ببعض التفصيل وقد ذكرناه من قبل، ونعيد عبارته فى آخر الكلام لأن فيه تذكرة لمن يتذكر، وإن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

فلما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا، فصدُّوهم عن الدار، فرمى من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم، وجرح الحسن، وشج قنبر، وجرح محمد بن طلحة، فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية، فتركوا القوم فى القتال على الباب، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبى بكر ورجلان آخران، وعند عثمان زوجته، وأهلهُ ومواليه مشاغيل بالقتال، فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته، فقال: يامحمد، والله لورآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده،

(١٠٢) أنساب الأشراف للبلاذرى : ج٥ ص٧٣ .

(١٠٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج١ ص١٩٧ تحت محاصرة عثمان ومنعه الماء .

(١٠٤) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج٣ ص٤٤٩ تحت انه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر .

وخرج عنه الدار، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية، فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه، فبكوا، فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل علىّ الدار، وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟. ولَطَمَ الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير(١٠٥).

فهل لهم أن ينتهوا؟.

لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

ونختم هذا الباب على حديث رواه البخارى:

عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد احدا وأبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان(١٠٦).

وعلى حديث آخر رواه البخارى ومسلم أيضا:

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح. فقال النبى ﷺ: افتح له وبشّره بالجنة، ففتحت له فإذا أبوبكر فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى ﷺ: افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا عمر فأخبرته بما قال النبى ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لى: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه. فإذا

---

(١٠٥) مروج الذهب للمسعودى الشيعى: ج٢ ص٣٤٤ -٣٤٥.

(١٠٦) الصحيح البخارى.

عثمان فأخبرته بما قال النبى ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان(١٠٧).

وأخيرا ما رواه الترمذى وابن ماجة عن مرة بن كعب قال:

سمعت رسول الله ﷺ ذكر الفتن فقربها، فمر رجل مقنع فى ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فأقبلت عليه بوجهه - أى النبى ﷺ - فقلت: هذا؟. فقال: نعم(١٠٨).

فهذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه على لسان رسول الله ﷺ، وهذا هو شأنه، وهذا هو ما فعله السبئيون والمخدوعون بهم، وهذه هى المطاعن المزوّرة التى اخترعوها لقلب نظام الحكم الإسلامى الراشد(١٠٩) ولبثّ سموم الفتنة بين المسلمين وتزحزحهم عن العقائد الإسلامية الصحيحة وردّهم عن الفتوحات وغزو البلاد الكافرة لتنويرها بنور الإسلام، ففازوا بالمرحلة الأولى بقتل أمير المؤمنين وخليفة المسلمين والتفريق بين الجماعة الواحدة والأمة المرحومة، ثم تخطوا بعد ذلك بخطوة أخرى ألا وهى الإيقاع بين المسلمين وإشعال نيران الحرب بينهم وإثارة الفتن والبغضاء، ثم إبعادهم عن العقائد الإسلامية الصحيحة وإدخالهم فى العقائد اليهودية المدسوسة والفكر اللا إسلامى، وفعلا نجحوا فى المرحلة الثانية أيضا ألا وهى إيقاع الفتن بين المسلمين والهرج والمرج حتى ينفلتوا عن الجهاد فى سبيل الله ويرجعوا لضرب بعضهم بعضا، وينحصر القتال فى ما بينهم ويدور بين فئاتهم وأحزابهم

(١٠٧) منفق عليـــه.

(١٠٨) رواه الترمذى وابن ماجة وقال الترمذى: هذا حديث صحيح.

(١٠٩) ومن المؤسف جدا بأن كثيرا ممن يدعون الانتساب إلى السنة تأثروا من دعايات السبائية الكثيرة المكررة فلم يفرقوا بين الحق والباطل وأطلقوا عنان أقلامهم لنقل هذه الخرافات والخزعبلات دون النظر إلى الأكاذيب السبائية وأباطيلها، ودون التمييز بين الغث والسمين فقالوا ما قالوا وكتبوا ما كتبوا - وما أكثرهم - وما أبعدهم عن الحق والصواب مع انتسابهم إلى العلم والزعامة الدينية.

بعـد ما كانت تدور رحـاهـا على ثغـور الكفـر وبـلاد الشرك والوثنيات . وسنلخص القـول فى البـاب القـادم ما حصل فعلا بأن الرقاع الإسلامية التى اتسعت فى عهد عثمان امتدادا لاتساع الفاروق والصديق انحصرت على ما كانت عليـه فى عهـد على رضى الله عنـه ، وبـدأ على رضى الله عنه يشكو ويقول متأسفا :

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنها خير ما تواصى به العباد وخير عواقب الأمـور عنـد الله ، وقـد فتـح باب الحـرب بينكم وبـين أهـل القبلة»(١١٠).

فبـدل أن يتـوجـه المسلمـون إلى أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء هذه الأمة بدأت سيوفهم تتفلل فيما بينهم . وهذا ما كانت تريده اليهودية البغيضة وهذا ما حصل كما نحن بسدد بيانه وذكره .

(١١٠) نهج البلاغة ص٣٦٧ . ط . بيروت .

الباب الرابع

تطور التشيع الأول والشيعة الأولى ودور السبأية بعد مقتل عثمان وأيام علي

لم يكن قصدنا من كتابة هذا الكتاب أن نسرد وقائع تاريخية حدثت ، بل ما قصدنا هو سرد تاريخ السبئية وما قاموا بها من شنائع واقترفوا من الجرائم والمآثم وارتكبوا من الفضائح والوقاحات ولكنه لما كنا نحتاج لسرد تاريخ هذه الفئة الباغية التى أسست فى الإسلام عقائد خاصة ، وكوّنت فرقا مخصوصة ، اضطررنا لسرد بعض الحوادث التاريخية التى حدثت وللسبئية فيها دخل كبير بل لم تكن لتقع لولا دسائسها ومؤامراتها ، وليكون لنا بتوفيق الله وتقديره وتيسيره فى هذه الحوادث والوقائع كتاب مستقل ومنزه عن الخرافات والسخافات ، وخال من القصص والأساطير ، ومجرد عن الأكاذيب والأباطيل التى طالما استعملها أعداء الإسلام وأعداء أمة محمد ﷺ للنيل من أسلافها وأكابرها . وما ذلك على الله بعزيز .

ويكون بحثنا مقتصرا على الحوادث التى تتعلق بموضوعنا فقط ، ونتجنب وقائع أخرى لعدم علاقتها بموضوعنا علاقة مباشرة قاصدين الاختصار دون الاطناب والتطويل ، فنقول :

لما قتل الإمام المظلوم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بقيت المدينة خمسة أيام لا أمير لها . أو أميرها واحد من قتلة عثمان هو الغافقى

بن حرب وحـولـه السبئيون وقتلة عثمان، وأهواؤهم مختلفة فيمن يجعلونه خليفة بعد عثمان أمير المؤمنين، اللهم إلا السبئية منهم فإنهم لم ينادوا إلا باسم علىّ ـ رضى الله عنه ـ ولم يتستروا إلا وراءه وهو منهم برىء، ولقد مرّ مقـدّمـا أن عبـد الله بن سبأ اليهودى الماكر الخبيث الذى كان وراء كل هذه المـؤامـرات كان مع المصـريـين، فاختلفت آراء البغـاة والطغـاة والأوبـاش السفلة(١)، فقـوم يريدون طلحة، وقوم يريدون الزبير، وقوم يريـدون عليـا، وكـل واحـد منهم يأبى وينكـر لما يعـرف منهم الخبث والطغيـان والاشـتراك فى مؤامرة مدبرة لهدم كيان الإسلام والقضاء على الـدولـة الإسلامية، المترامية الأطراف، التى لم تتسع رقعتها إلا فى عصر عثمان الـذهبى، والعصـر الـذى ينـدر مثيله فى تاريـخ الإسـلام فى كثرة الغزوات والفتوحات، ثم ييئسون من هؤلاء الثلاثة ويذهبون إلى سعد بن أبى وقـاص فاتـح إيـران. ومن ثم إلى ابن الخليفـة الفاروق الأعظم عبـد الله بن عمـر، فلم يكن جوابهما إلا ما أجاب بهم الثلاثة من العشرة المبشّرة. وإليك ما ذكره أقدم المؤرخين الطبرى ووافقه عليه كل من ابن الكثير وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم:

حدثنـا محمـد بن عبد الله وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة وأبو عثمان قالـوا: بقيت المـدينـة بعد قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ خمسة أيام وأميرها الغـافقى بن حرب يلتمسـون من يجيبهم إلى القيام بالأمر، فلا يجدونه. يأتى المصـريـون عليـا فيختبىء منهم ويلوذ بحيطـان المـدينـة، فإذا لقوه باعـدهم وتـبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونــه فأرسلوا إليــه حيث هو رسـلا فتـبرأ من مقـالتهم، ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم مرة بعد مرة وكانوا

(١) ولقد سماهم بهذه الاسماء كل من ابن العربى وابن تيمية وغيرهم.

مجتمعين على قتل عثمان، مختلفين فيمن يهوون، فلما لم يجدوا ممالئا ولا مجيبا جمعهم الشر على أول من أجابهم وقالوا: لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع فأقدم نبايعك، فبعث إليهم أنى وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لى فيها على حال، وتمثل:

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عريانا

ثم أنهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: ان لهذا الأمر انتقاما والله لا اتعرض له فالتمسوا غيرى، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم»[٢].

ولم تكن حيرتهم إلا لمعرفتهم أنه لو قام قائم دون مشورتهم وبغير رأى منهم لحكّم فيهم السيف وأخذ منهم القصاص للإمام المظلوم وخليفة رسول الله وزوج أبنتيه وابن بنت عمته، القائم بالحق، ذى الجود والحياء عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ولقد صرح بذلك ابن كثير فى روايته التى ساقها أن القوم لما يئسوا من الجميع وحاروا فى أمرهم قالوا:

إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بعد قتل عثمان بغير إمرة اختلف الناس فى إمرتهم ولم نسلم»[٣].

ثم جاءوا إلى أهل المدينة وجمعوهم:

فوجدوا سعدا والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائطه، ووجدوا بنى أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة فى أول من خرج وتبعهم مروان وتتابع على ذلك من تتابع، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم: أهل مصر أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون

(٢) الطبرى: ج٥ ص١٥٥، ابن كثير: ج٧ ص٢٢٦، ابن الأثير: ج٣ ص٩٩، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.

(٣) البداية والنهاية: ج٧ ص٢٢٦.

الإمامة وأمركم عابر على الأمة فأنظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . . . فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وأناسا كثيرا ، فغشى الناس عليا فقالوا : نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من ذى القربى »(٤) .

فردّ عليهم على ـ رضى الله عنه ـ بقوله :ـ وقد نقل هذا القول فى أقدس كتاب شيعى حسب زعم القوم ألا وهى نهج البلاغة ـ :

دعونى والتمسوا غيرى ، فانا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول ، وإن الآفاق قد أغامت ، والمحجة قد تنكرت ، واعلموا أنى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتمونى فأنا كأحدكم ، ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيرا خير لكم منى(٥) أميرا » (٦) . وذكر ذلك من المورخين السنة الطبرى فى تاريخه(٧) . وابن

---

(٤) الطبرى : ج٥ ص١٥٦ ، الكامل : ج٣ ص٩٩، ابن خلدون : ج٢ ص١٥١ .

(٥) وفى هذا أكبر دليل رغم أنوف من يرى خلاف ذلك أن عليا رضى الله عنه لم يكن يعدّ نفسه إماما منصوبا من قبل الله عز وجل ولا منصوصا عليه لأنه لو كان كذلك لما كان له الخيار فى ردّ الإمامة والخلافة عندما جاءت إليه تسعى بقول الله عز وجل : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (الأحزاب) .

فهذا الكلام الصادر عن على رضى الله عنه المنقول فى أقدس كتبهم لكلام فصل وقضاء مبرم واضح صريح بيننا وبين الذين يرون خلاف هذا ، وعلى ذلك قال ابن أبى الحديد الشيعى المعتزلى مع تشيعه أن هذا الكلام يدل على : =

= أنه عليه السلام لم يكن منصوصا عليه بالإمامة من جهة الرسول صلى الله عليه وآله ، وان كان أولى الناس بها وأحقهم بمنزلتها ، لأنه لو كان منصوصا عليه بالإمامة من جهة الرسول صلى الله عليه وآله لما جاز له أن يقول : دعونى والتمسوا غيرى ، ولا أن يقول : وأنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا ، ولا أن يقول : ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم» شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج٧ ص٣٣ ـ٣٤ .

كما أن مجرد امتناعه عن قبول الخلافة لكان من الحجة القاضية عليهم ، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة وبعضها آتية مذكورة قريبا .

فهل منصف ينصف وعادل يعدل؟ . وان فى ذلك لذكرى لأولى الأبصار .

(٦) نهج البلاغة : ص١٣٦ . ط . بيروت .

(٧) ج٥ ص١٥٦ .

الأثير فى الكامل[٨] . ولكنهم أكرهوه على ذلك واجبروه :

وأخذ الاشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ـ من بايعه ـ[٩] .

كما ذكر على ـ رضى الله عنه ـ ذلك أيضا فيما ينقله الشيعة عنه فى رسالته التى ارسلها إلى أهل مصر أو خطبة ألقاها :

حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتمونى لتبايعونى ، فأبيت عليكم ، وأمسكت يدى فنازعتمونى ودافعتمونى ، وبسطتم يدى فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمتم عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتليّ . فقلتم : بايعنا لا نجد غيرك ، ولا نرضى إلا بك، بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا . فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتى ، فمن بايع طوعا قبلته ، ومن أبى لم أكرهه وتركته»[١٠]

ومثل ذلك نقل الشريف الرضى فى (نهج البلاغة) تحت عنوان أمر البيعة[١١] .

فبايعه من بايعه ولم يبايعه من لم ير الجوّ والوقت مناسبا . وممن امتنع عن بيعته من كبار الصحابة كما ذكر المؤرخين :

ثم بايعه الناس وجاءوا بسعد فقال لعلىّ حتى يبايعك الناس ، فقال : اخلوه . وجاءوا بابن عمر فقال كذلك ، فقال : ائتنى بكفيل قال : لا أجده ، فقال : الأشتر دعنى أقتله ، فقال : دعنى أنا كفيله ، وبايعت الأنصار وتأخر منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن خالد ، وأبو سعيد الخدرى ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد

(٨) ج٣ ص٩٩ .
(٩) ابن كثير : ج٥ ص٢٢٦ .
(١٠) الغارات للثقفى الكوفى الشيعى : ج١ ص٣١٠-٣١١ . ط . طهران، شرح النهج لابن أبى الحديدالشيعى : ج٦ ص٩٦-٩٧، بحار الأنوار للمجلسى : ص٥١-٥٢ .
(١١) نهج البلاغة : ص١٩٥ . ط . بيروت .

بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وسلمة بن سلامة بن وقش. وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة. وأما النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة إمرأة عثمان وقميصه الذى قتل فيه ولحق بالشام صريخا»(١٢).

وأما طلحة فقال :

بايعت والسيف فوق رأسى(١٣).

وقال الزبير :

جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللجة فى عنقى»(١٤).

وفى رواية : جاء القوم بطلحة فقالوا: بايع فقال: انى ابايع كرها. . . ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك»(١٥).

وقال قوم : إنما بايعا على شرط إقامة الحدود فى قتلة عثمان(١٦).

وقيل : إنه قد بايع طلحة ولم يبايع الزبير ولا سلمة بن سلامة ولا أسامة بن زيد(١٧).

والمدائنى نقل عن الزهرى :

هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا(١٨).

فهكذا انعقدت البيعة للإمام على - رضى الله عنه - واستتر السبئيون والمخدوعون بهم من قتلة عثمان وراء المبايعين لعلىّ - رضى الله

(١٢) ابن خلدون : ج٢ ص١٥١، ابن الأثير: ج٣ ص٩٨، ابن الكثير: ج٧ ص٢٢٦.

(١٣) الطبرى : ج٥ ص١٥٤.

(١٤) أيضا، الكامل : ص٩٩.

(١٥) أيضا : ص١٥٧، ابن خلدون : ج٢ ص١٥١.

(١٦) أيضا : ص١٥٨.

(١٧) الكامل لابن الأثير : ج٣ ص٩٨.

(١٨) البداية والنهاية : ص٢٢٦.

عنـــه ـ واختلفـوا خلف المشـايعـين له وأحـاطـوه من كل جانب كما ذكـر الطبر ى أن عليا ـ رضى الله عنه ـ لما خطب بخطبته الأولى بعد بيعته ثم أراد الذهاب إلى بيته قالت السبئية :

خذهـا إليـك واحـذراً أبـا حسن إنـا نمـرُّ الأمـر إمـرار الـرسن
صَوْلَـةَ أقـوْامٍ كأسـداد السُّفُنْ بِمَشْـرَفيّـاتٍ كغُـدْرانِ اللّبَنْ
ونَطْـعُـنُ الْمـلكَ بِلَيْنٍ كالشَّطَنْ حتـى يُمَـرَّنَ على غَيْرِ عَنَـنْ

فقـال على وذكـر تركهم العسكـر والكينونة على عدة ما مُنُّوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم فلم يستطيعوا ان يمتنعوا حتى

إنـى عجـزتُ عجـزةً لا أعتـذر سوف أكيسُ بعـدهـا وأستمـر
أرْفَـعُ منْ ذَيـلىَ ما كنْـتُ أجـرُ وأجْمَـعُ الأمْـرَ الشّتيتَ الْمنْتَشْـر
إن لم يُشـاغِبْنى العَجـولُ الْمنْتَصِـرْ أو يَتْركـونى والسـلاحُ يُبْتَدَرْ

واجتمع إلى على بعد ما دخل طلحة والزبير فى عدة من الصحابة فقالوا يا على انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم اشتركوا فى دم هذا الـرجـل وأحلوا بأنفسهم ، فقـال لهم : ياخـوتاه إنى لست أجهل ما تعلمون ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبـدانكم وثابت، إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا ، فهل ترون موضعا لقدرة على شىء مما تريدون؟ قالوا : لا ، قال : فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن لهؤلاء القـوم مادة وذلـك إن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا ان الياس من هذا الأمر ان حرك على أمور فرقة ترى ما ترون وفـرقـة ترى مالا ترون وفـرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقـع القلوب مواقعهـا وتـؤخذ الحقوق فأهدؤا عنى وأنظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا ، واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها وإنما

هيجه على ذلك هرب بنى أمية، وتفرق القوم وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الاشرار لتركوا هذا إلى ما قال عليّ أمثل، وبعضهم يقول: نقضى الذى علينا ولا نؤخره، ووالله أن عليا لمستغن برأيه وأمره عنا»(١٩).

ولأجل ذلك منعه ابن عمه عبد الله بن عباس عن أخذ البيعة، كما منعه ابنه الحسن من قبل عن بقائه فى المدينة والسبئيون يفعلون ما يفعلون ويعملون ما يعملون:

فقال ابن عباس: أطعنى وأدخل دارك، والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لإن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا، فأبى عليّ»(٢٠).

وأما منع الحسن اياه عن بقائه فى المدينة يوم استولت السبئية فذكرها المؤرخون(٢١) أيضا.

وبدأ السبئيون يتقوون ويجمعون حولهم الموالى والأعراب إلى أن فحل أمرهم، فأراد على - رضى الله عنه - أن يضعف قوتهم ويكسر شوكتهم بالحيلولة بين السبئية والعبيد والأعراب والتفريق بينهم، فنادى فى الناس:

برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبائية والأعراب وقالوا: لنا غدا مثلها»(٢٢).

وفى اليوم الثالث من بيعته خرج عليّ على الناس فقال:

(١٩) الطبرى: ج٥ ص١٥٨.
(٢٠) الطبرى: ج٥ ص١٦٠، ابن الأثير: ج٣ ص١٠١، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.
(٢١) الطبرى: ج٥ ص
(٢٢) الطبرى: ج٥ ص١٥٨. ابن الأثير: ج٣ ص١٠٠

يا أيها النـاس أخـرجوا عنكم الأعراب، وقال: يامعشر الأعراب الحقوا بمياهكم، فأبت السبئية وأتاهم الأعراب»(٢٣).

ولما رأى الناس وفى مقدمتهم رؤس الصحابة وأكابرهم أن السبئية يزدادون يوما فيوما فى غلوائهم وطغيانهم، وأيديهم متلطخة بدم الإمام المظلوم، وهم زيادة على ذلك يريدون أن يلفّوا حولهم أوباشا من الناس والفسقة والفجرة، كما أنهم بدءوا يبثـون العقائد الأجنبية بينهم، طالبوا عليا ـ رضى الله عنه ـ أن يقتص منهم لعثمان بأن يحكّم فيهم بالسيف، ولكن أمير المؤمنين عليا هاب من نفوذهم، وخاف من سلطتهم، فماطل الصحابة وطلب منهم المهلة لازدياد نفوذ السبئية وقوتهم، فلقد ذكر المؤرخون ألفاظا عديدة منه ـ رضى الله عنه ـ تبريرا لقصوره عن أخذ الثأر واقامة الحد، فقد ذكر الحافظ ابن كثير فى تاريخه:

ولما استقر أمر بيعة على دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وطلبوا منه اقامة الحد والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير أن يواليه على أمرة الكوفة ليأتى له بالجنود، وطلب منه طلحة أن يواليه أمرة البصرة ليأتى له منه بالجنود ليقضى على شوكة هؤلاء الخوارج وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم فى قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ فقال لهما: مهلا علىّ حتى أنظر فى هذا الأمر»(٢٤).

وعبارة الطبـــرى:

يا علىّ إنا قد شرطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا اخوتاه انى لست أجهل ما

---

(٢٣) الطبـــرى: [ج٥ ص١٥٩]. ابن الأثير: ص١٠١، ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.

(٢٤) البداية والنهاية لابن كثير: ج٧ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

تعلمون ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم . هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعا لقدرة على شىء مما تريدون»(٢٥) .

وأما ابن الأثير فنقل عنه أنه قال :

كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم(٢٦) .

وأما ابن خلدون فذكر أنه قال فى جوابهم :

لا قدرة لى على شىء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق(٢٧) فافترقوا عنه وأكثر بعضهم المقالة فى قتلة عثمان(٢٨)

(٢٥) الطبرى : ج٥ ص١٥٨ .
(٢٦) ابن الأثير : ج٣ ص١٠٠ .

(٢٧) ولا أدرى أى شىء جعل أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه أن يستعجل فى اقامة الحد على ابن أمير المؤمنين الفاروق ، على عبيد الله الذى قتل الهرمزان مع أنه مضى على تلك الحادثة أكثر من عشر سنوات ، وأن القضية كانت قضية مختلف فيها من عدة وجوه كما مر ، مع تأجيله وتأخيره فى أخذ القصاص عن عثمان أمير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رسول الله وصهره وخال السبطين وعديله هو نفسه ؟

وأين هرمزان من عثمان وأين عبيد الله بن عمر من عبد الله بن سبأ والسبئية ؟

ثانيا : ولا ندرى ما الذى جعل الإمام عليا رضى الله عنه وهو فى ذلك الضيق من الأمر أن يستعجل عزل عمال عثمان وأن يستبدل بهم عماله وأبناء عمه وأقاربه ؟

ثالثا : كما أننا لا نعلم لأى شىء استعجل عزل معاوية أمير الشام وقد عيّنه على ذلك المنصب خليفة رسول الله الصديق ، ثم أقرّه على ذلك شديد فى أمر الله الفاروق ، ثم الخليفة الراشد الثالث عثمان . وفوق كل ذلك لم يرفع عنه شكوى واحدة مع كثرة الشكاوى على العمال والحكام والولاة ، وهذا مع نصيحة ابن عمه وأقرب المقربين إليه عبد الله بن عباس وداهية العرب المغيرة بن شعبة إياه بالإعراض عن عزله وإثباته على عمله كما يرويه ابن عباس رضى الله عنه نفسه : =

= يا أمير المؤمنين أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلابك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال لى أخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وانى لك ناصح وانى أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوالك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببتَ وأقررتَ من أحببت ، فقلت : والله لا أدهن فى دينى ولا أعطى الدنيّ فى أمرى قال : فإن كنتَ قد أبيتَ علىّ فانزع من شئت واترك معاوية ، فإن لمعاوية جُراة وهو فى أهل الشام يسمع منه ولك حجة فى إثباته ، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها ، فقلت لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً فخرج من عندى على ما أشار به ثم عاد فقال : لى انى أشرت عليك بما أشرت به فأبيت على ثم نظرت فى الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغى لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فى أمرك دُلسة ، قال فقال ابن عباس : فقلت لعلى : أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية فإن بايع لك فعلىّ أن أقلعه من منزله . قال على : لا والله لا أعطيه إلا السيف قال ثم تمثل بهذا البيت :

وهـذا الـذى جعـل الـزبـير وطلحـة يقنطان من اقتصاص الإمام المظلوم عثمان ـ رضى الله عنـه ـ ويخـرجـان من المـدينة، وهناك التقيا أم المـؤمنـين عائشة ـ رضى الله عنها ـ ومن طرف آخر بدأت الرسائل تتبادل بين على ومعـاويـة ـ رضى الله عنهـما ـ لأن عليا عزل معاوية ـ رضى الله عنهما ـ عن الشام وأمّر عبد الله بن عباس ـ رضى الله عليهما ـ فقال ابن عباس:

ما هذا برأى، معـاويـة رجـل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان وهو عامل الشام ولست آمن أن يضرب عنقى لعثمان»[٢٩].

فاعتذر إليه وأعفاه منها. وبيناهم فى ذلك بدأت السبئية يشتغلون ويثير ون الفتن والقلاقل ويسعون فسادا، ويثير ون الأحقاد والضغائن، وينفخـون فى الـرمـاد، ويحاولون إسعار الحرب بين المسلمين، ويحرضون شيعـة علىّ ضد كل من يطـالب بثأر عثـمان وقصاصه، وخاصة معاوية ـ رضى الله عنه ـ الذى بدأ يمتنع من الخضوع لخلافة علىّ ـ رضى الله عنه ـ الــذى بدأ يمتنـع من الخضـوع لخلافـة على رضى الله عنـه والتسليم بإمـارتـه بدعوى أن بيعة على لم تنعقد، لأنه لم يحصل الشورى ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ولم ينتخبه إلا رجال معدودون من المهاجرين والأنصار ومن أهل المدينة. وفوق ذلك كله قتلة عثمان والسبئية التجؤا فى معسكره واكتنفوا بكنفه.

ولقد أشرنا إلى تلك الأمور كلها فى الباب الأول بثبت من عبارات التـاريـخ والمؤ رخين. فبيناهم كذلك فى الجواب وجواب الجواب إذ جاءه

ما ميتـةٌ إن مُتّـهـا غيرَ عاجـز   بعـارٍ إذا ما غالـت الـنـفس غولُهـا

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست بأرَبٍ بالحرب» (الطبرى).

لا ندرى هذا كله، ولا نستطيـع أن نقـول شيئـا اللهمَّ إلا أنـه لم يكن معصـومـا، فلكـل اجتهاد، وقد يخطىء وقد يصيب.

---

(٢٨) ابن خلدون: ج٢ ص١٥١.

(٢٩) الطبـــــرى: ج٥ ص١٦٠.

رسول معاوية ـ رضى الله عنه ـ فقال: آمن أنا؟ قال على ـ رضى الله عنه :

نعم ان الرسول لايقتل، فقال: إنى تركت قوما لا يرضون إلا بالقود، ثم بلّغ الرسالة، فأستأذن بالخروج، فقال له على: اخرج، قال: وانى آمن؟. قال: وأنت آمن»(٣٠).

فاشتغل السبئية لزيادة التوتر والحدة وإخراج الحرب من الكلام إلى السيوف، وإليك النص ما ذكره المؤرخون :

وصاحت السبئية : هذا الكلب رسول الكلاب، اقتلوه، فنادى: يالمضر، يالقيس الخيل والنبل، إنى أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصىّ فأنظروا كم الفحولة والركاب وتعاووا عليه ومنعته مضر وجعلوا يقولون له: اسكت، فيقول: لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا فلقد أتاهم ما يوعدون، فيقولون له: اسكت، فيقول: لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم»(٣١).

وهذه العبارة وهذه الألفاظ الصادرة عن السبئية تدل وتنبىء صريحا عما كانوا يسعون لأجله، فبدءوا ينشرون الأراجيف ويشيعون الأكاذيب حتى يستل سيوف المسلمين ما بينهم ويقع الاصطدام ويحصل الحرب ويشتغلون بها ويضرب بعضهم رقاب بعض، وينسى هؤلاء ويعرض عنهم وعن فعلتهم، ويكثر الشقاق والاختلاف، ويزداد الابتعاد ويمتد بينهم الجدال والقتال. هذا كل ما كانوا يقصدونه، وهذا كل ما يرجونه.

ولما سمعوا باجتماع طلحة والزبير ـ رضى الله عنهما ـ مع أم

(٣٠) انظر الكامل لابن الأثير : ج٣ ص١٠٤
(٣١) ابن الأثير : ج٣ ص١٠٤، الطبرى : ج٥ ص١٦٣.

المـؤمنـين عائشـة ـ رضى الله عنهـا ـ فى مكة بدءوا يحرضون شيعة علىّ ـ رضى الله عنـه ـ وعليـا نفسـه على محاربة أهل الشام،قبل أن يعظم الأمر ويفحـل الخطـر، فأمـر على ـ رضى الله عنـه ـ النـاس بالمسـير إلى أهل الشام، فتثاقل أهل المدينة، كما أن ابنه الحسن سبط رسول الله ﷺ منعه عن ذلك قائلا :

يا أبتى دع هذا فإن فيـه سفـك دمـاء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم فلم يقبـل منـه ذلـك بل صمم على القتـال ورتّب الجيش، ودفـع اللواء إلى محمد بن الحنفية»[٣٢] .

كما منعه عن ذلك زياد بن حنظلة التميمى :

وكـان منقطعـا إلى على، فجلس إليـه ساعـة ثم قال له على : يازيـاد تيسـرّ، فقال لأى شىء؟ . فقال : لغزو الشام، فقال زياد : الأناة والرفق أمثل، وقال :

ومـن لم يصـانـع فى أمـور كثـيرة يضـرس بأنيـاب ويوطأ بمنسم

فخرج زياد والناس ينتظرونه فقالوا : ما وراءك؟ . فقال : السيف ياقوم، فعرفوا ما هو فاعل»[٣٣] .

ولم يخرج إلى الشـام حتى جاءه خبر خروج أم المـؤمنـين وطلحـة والـزبـير إلى البصـرة يطـالبون بدم عثمان، فبادر إليهم بناس من المدينة ليمنع أولئك من دخولها :

فتثـاقـل عنـه أكثـر أهـل المـدينـة، واستجـاب له بعضهم، قال الشعبى : ما نهض معه فى هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين، ليس لهم سابع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال : كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان، وأبو قتادة الأنصارى، وزياد

(٣٢) البداية والنهايـة : ج٥ ص١٦٣، ابن الأثير : ج٣ ص١٠٤
(٣٣) الطبـرى : ج٥ ص١٦٣، ابن الأثير : ج٣ ص١٠٤ .

بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: ليس بذى الشهادتين، ذاك مات فى زمن عثمان - رضى الله عنه - وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدم ذكرها، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج على من المدينة فى نحو من تسعمائة مقاتل، وقد لقى عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - عليا وهو بالزبدة، فأخذ بعنان فرسه وقال: ياأمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً، فسبَّه بعض الناس، فقال على: دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبى ﷺ وجاء الحسن بن على إلى أبيه فى الطريق فقال: لقد نهيتك فعصيتنى تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال له على: إنك لا تزال تحن على حنين الجارية، وما الذى نهيتنى عنه فعصيتك؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها، فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فعصيتنى فى ذلك كله؟ فقال له على: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتى قبل مجىء بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه؛ فتريد منى أن أكون كالضبع التى يحاط بها، ويقال ليست هاهنا، حتى يشق عرقوبها فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمنى فى هذا الأمر ويعنينى، فمن ينظر فيه؟. فكف عنى يابنى، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذى قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر، إنى قد اخترتكم على أهل الأمصار، فرغبت إليكم وفرغت لما

حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب»(٣٤).

فاجتمع الناس حول الفريقين من المدينة ومكة والكوفة والبصرة، كما اعتزل أكثر أصحاب النبى الموجودون، الأحياء منهم آنذاك عن الطرفين، فنزلت أم المؤمنين مع من كان معها بالبصرة ونزل على - رضى الله عنهما - بذى قار، ثم دعا على - رضى الله عنه - القعقاع بن عمرو وبعثه رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين. فقال:

أى أماه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أى بنىّ! الاصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقالا القعقاع: إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح؟ وعلى أى شىء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن، فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذى حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان

(٣٤) ابن كثير ج٧ ص٣٣٣-٣٣٤، ابن الأثير ج٢ ص١١٣-١١٤، الطبرى ج٥ ص١٦٩، ابن خلدون ج٢ ص١٥٧.

مصلحـة ، ولكنـه يترتب عليه مفسدة هى أربى منها ـ وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير ، لقيام ستة آلاف فى منعه ممن يريد قتله ، فعلى أعذر فى تركه الآن قتل قتلة عثمان ، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم ، فان الكلمة فى جميع الأمصار مختلفة ، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذى وقع . فقالت له عائشة أم المؤمنين : فماذا تقول أنت؟ . قال : أقول إن هذا الأمر الذى وقع دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ، وإدراك الثأر ، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا ، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وايم الله إنى لأقول قولى هذا وأدعوكم إليه ، وإنى لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فان هذا الأمر الذى قد حدث أمر عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة القبيلة . فقالوا : قد أصبت وأحسنت فارجع ، فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر ، قال : فرجع إلى على فأخبره فاعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه ، وأرسلت عائشة إلى على تعلمه أنها إنما جاءت للصلح ، ففرح هؤلاء وهؤلاء ، وقام على فى الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة ، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبى بكر الصديق ، ثم بعده على عمر بن الخطاب ، ثم على عثمان ثم حدث هذا حدث الذى جرى على الأمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التى منّ الله بها ، وأرادوا ردّ الإسلام على

أدبارها، والله بالغ أمره»[٣٥] .

وكان مع أم المؤمنين ثلاثون ألف، كما كان مع عليّ - رضى الله عنهما - عشرون الف[٣٦] .

هذا والسبئية وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ وقتلة عثمان مترقبون كل صغيرة وكبيرة بكل دقة وما يجرى بين الفريقين من السعى إلى الصلح والإصلاح والوفاق والاتحاد، وينظرون كيف تفشل خطتهم ومؤامرتهم للفتنة والفساد وإقامة الحروب بين المسلمين إلى أن وصل الأمر حدا لم يكن فى تصورهم أن يصل إليه، وخاصة عند ما قام أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - خطيبا فى معسكره وقال :

ألا انى مرتحل غدا فارتحلوا، ولا يرتحلن أحد معى أعان على قتل عثمان بشىء من أمر الناس»[٣٧] .

فما أن سمعت السبئية بهذا القول إلا وعرفوا مصيرهم. وهنا نرجع إلى ما سطر فى التاريخ، والألفاظ لابن كثير : فلما قال هذا اجتمع من رؤسهم - أى قتلة عثمان - جماعة كالأشتر النخعى، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن الهيثم، وغيرهم فى ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابى ولله الحمد، فقالوا : ما هذا، الرأى وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل فى كثرتهم؟ فقال الأشتر : قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا، وأما رأى على فلم نعرفه إلى اليوم، فان كان قد إصطلح معهم فإنما اصطلحوا على

(٣٥) ابن كثير : ج٧ ص٢٣٧ ـ٢٣٨ . الطبرى : ج٥ ص١٩١ -١٩٢، ابن خلدون : ج٢ ص١٦٢ .

(٣٦) الطبرى : ج٥ ص٢٠٢ .

(٣٧) البداية والنهاية : ج٧ ص٢٣٨، الطبرى : ج٥ ص١٩٤، ابن الأثير : ج٣ ص١٢٠ .

دمـائنـا ، فإن كان الأمـر هكـذا ألحقنـا عليـا بعثـمان ، فرضى القـوم منـا بالسكـوت ، فقـال ابن السـوداء : بئس ما رأيت ، لو قتلنـاه قتلنـا ، فانـا يامعشر قتلة عثمان فى ألفين وخمسمائة ، وطلحة والزبير وأصحابهما فى خمسة آلاف ، لا طاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال غلاب بن الهيثم : دعـوهـم وارجعـوا بنـا حتى نتعلق ببعض البـلاد فنمتنـع بها ، فقـال ابن السوداء : بئس ما قلت ، إذاً والله يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء قبحـه الله : ياقـوم إن عيركم فى خلطـة لنـاس فإذا التقى النـاس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ، ويأتيهم ما يكرهون ، فأبصروا الرأى وتفرقوا عليه ، وأصبح على مرتحلا ومر بعبد القيس فسار ومن معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونـزل النـاس كل فى ناحيـة . وقـد سبق على جيشه وهـم يتلاحقون به ، فمكثـوا ثلاثـة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنـة ست وثـلاثـين ، فأشـار بعض النـاس على طلحـة والـزبير بانتهاز الفـرصـة ، من قتلة عثمان ، فقالا : إن عليا أشار بتسكين هذا الأمر ، وقد بعثنـا إليـه بالمصـالحـة على ذلك ، وقام على فى الناس خطيباً ، فقام إليه الأعـور بن نيـار المنقـرى ، فسألـه عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الاصـلاح وإطفـاء الثائرة ليجتمع الناس على الخير ، ويلتئم شمل هذه الأمـة ، قال : فان لم يجيبـونـا؟ قال : تركنـاهم ما تركـونـا ، قال فان لم يتركـونـا؟ . قال : دفعنـاهم عن أنفسنـا ، قال فهل لهم فى هذا الأمر مثل الـذى لنـا ، قال : نعم! وقـام إليـه أبو سلام الدالانى فقال : هل لهؤلاء القـوم حجـة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله فى ذلك؟ قال :

نعم! قال: فهل لك من حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله فى ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حجة فى تأخيرك ذلك؟ قال: نعم! قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إنى لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه لله أدخله الجنة»(٣٨).

فهكذا جرت الأمور، وهكذا تقدم كل من الطرفين إلى الإصلاح وتخطى إلى الصلح بخطوات سريعة، وكذلك بدأ عبد الله بن سبأ وأعوانه يخططون خطوط المؤامرة ويحكمون نسيجها وان المؤمنين المخلصين من شيعة عثمان ومن شيعة على كانوا فى الخفاء عما يجرى وراء الاستار، وكان المتآمرون فى يقظة تامة عما يجرى أمامهم مكشوفا ظاهرا، فنزل الفريقان وتراسلوا ما بينهم، فبعث علىّ إلى طلحة والزبير يقول:

ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر، فأرسلا إليه فى جواب رسالته: انا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فأطمأنت النفوس وسكنت. واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيش»(٣٩).

فلم يجدوا أمرا هو أمثل من الصلح، ووضع الحرب حين رأوا الأمر أخذ فى الانقشاع(٤٠). وبات الناس على الصلح كما قال الطبرى:

فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذى أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرليلة باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها»(٤١).

---

(٣٨) ابن كثير: ج٧ ص٢٣٨، الطبرى: ج٥ ص١٩٥، ابن الأثير: ج٣ ص١٣٠، ابن خلدون: ج٣ ص١٦٠ - ١٦١.
(٣٩) ابن كثير: ج٧ ص٢٤١.
(٤٠) الطبرى: ج٥ ص٢٠٣.
(٤١) الطبرى: ج٥ ص٢٠٢، الكامل: ج٣ ص١٢٣.

وقال ابن كثير :

وبات الناس بخير ليلة وبات قتلة عثمان بشر ليلة[٤٢] .

فكانت الليلة هذه حاسمة لم ينم فيها عيون اليهودية البغضاء وعيون أبنائها الحاقدين على الإسلام وعلى الملة الإسلامية، والمخدوعين بهم، لم تنم ولا للحظة، وإليك ألفاظ التاريخ :

وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفى رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب على فبلغ الأمر عليا فقال: ما للناس؟ فقالوا، بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا للأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه فى نفس الأمر، وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع على عشرون ألفاً، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً، فانا لله وإنا إليه راجعون، والسبئية أصحاب ابن السوداء قبحهالله لا يفترون عن القتل، ومنادى على ينادى: ألا كفوا ألا كفوا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سوار قاضى البصرة فقال: ياأم المؤمنين أدركى الناس لعل الله يصلح بك بين الناس، فجلست فى هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركتهم، فتصاولوا وتجاولوا. وقد كان من سنتهم فى هذا اليوم أنه لا

(٤٢) البداية والنهاية : ج٧ ص٢٣٩ ، ابن خلدون : ج٢ ص١٦٢ .

يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا»(٤٣)
وقد زاد الطبرى وابن الأثير فى روايتهما :

وقد وضع السبئية رجلا قريبا من علىّ يخبرهم بما يريد، فقال على : ما هذا؟ . قال : ذلك الرجل ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا، فرددناهم فركبونا وثار الناس»(٤٤) .

فهكذا وقعت تلك الكارثة التى ذهب ضحيها آلاف من الناس حتى جعل على ـ رضى الله عنه ـ يقول لابنه الحسن :

يابنىّ ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما، فقال له : يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا. قال سعيد بن أبى عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة قال : قال على يوم الجمل : يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له : يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال : يا بنىّ إنى لم أر أن الأمر يبلغ هذا»(٤٥) .

وانتهى الحرب بسقوط الجمل الذى كان عليه هودج أم المؤمنين بعد ما قتل ممن أخذ خطامه سبعون رجلا. ونسرد آخر ما فى هذا من (الكامل لابن الأثير) :

لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبى بكر إليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت : من هذا؟ . فقال : أخوك البر. قالت : عقق؛ قال : يا أخية هل أصابك شىء؟ قالت : ما أنت وذاك. قال : فمن إذا الضلال. قالت : بل الهداة، وقال لها عمار : كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يأمه؟ . قالت : لست لك بأم . قال : بلى وإن كرهت. قالت : فخرتم أن ظفرتم وإتيتم مثل الذى نقمتم هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه فابرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها أحد،

(٤٣) البداية والنهاية : ج٧ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠، الطبرى : ج٥ ص٢٠٢ ـ٢٠٣، الكامل : ج٣ ص١٢٣ ـ١٢٤ .
(٤٤) ابن الأثير : ج٣ ص١٢٤، الطبرى : ج٥ ص٢٠٣ .
(٤٥) البداية والنهاية : ج٣ ص٢٤٠ .

وأتاها على فقال: كيف أنت ياأمه؟. قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك، وجاء أعين بن ضبيعة بن اعين المجاشعى حتى اطلع فى الهودج فقالت: إليك لعنك الله. فقال: والله ما أرى إلا حميراء. فقالت له: هتك الله سترك وقطع يدك وابدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى [به] عريانا فى خربة من خرابات الأزد، ثم اتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها فقالت: إنى رأيت بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك؟ قال: نعم ذاك الذى قال: أعق أم نعلم، وكذب، إنك لأبر أم نعلما ولكن لم تطاعى. قالت: والله لوددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة... فأقام على بظاهر البصرة ثلاثا وأذن للناس فى دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم وطاف على فى القتلى فلما أتى على كعب بن سور قال: أزعمتم أنه خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون، وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال: هذا يعسوب القوم - يعنى انهم كانوا يطيفون به - واجتمعوا على الرصافة لصلاتهم، ومر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال: لهفى عليك يا أبا محمد! إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشا صرعى، انت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم، وصلى على علىّ القتلى من أهل البصرة والكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، وأمر فدفنت الأطراف فى قبر عظيم، وجمع ما كان فى العسكر شىء وبعث به إلى مسجد البصرة»(٤٦).

(٤٦) ابن الأثير: ج٣ ص١٣٠ - ١٣١.

ثم جهز على عائشة بكل شيء ينبغى لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذى ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس وودّعوها وودّعتهم، وقالت: يابنى تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بينى وبين علىّ فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندى على معتبتى من الأخيار. وقال علىّ: يا أيها الناس صدقت والله وبرّت، ما كان بينى وبينها إلا ذلك، وانها لزوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ وشيعها علىّ أميالا وسرح بنيه معها يوما»(٤٧) .

هذا آخر ما أردنا ذكره من مؤامرات السبئية ومن مخططاتها، ولأجل ذلك دخل اليهودى الملعون فى الإسلام وتستر بالكفر وتظاهر بالحب لعلىّ وآل بيته، وفعل هو وجماعته السبئيون هذه الشناعات المنكرة التى جرّت إلى أن تتمنى أم المؤمنين حبيبة رسول الله عائشة وأمير المؤمنين ربيب رسول الله علىّ أن كانا أمواتا قبل وقوع هذه الحوادث .

وقبل أن نأتى إلى خاتمة هذا الكلام فى الحرب نريد أن نذكر أن عليا ـ رضى الله عنه ـ لم يكن يعد محاربيه كفارا كما نقلنا الكلام عن جميع المؤرخين آنفا، ولقد أقرّ بذلك الشيعة أنفسهم حيث أوردوا نفس الرواية التى أوردها أهل السنة فى كتبهم :

عن جعفر عن أبيه أن عليا عليه السلام كان يقول لأهل حربه: انا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم يقاتلونا على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنّا على حق ورأوا أنهم على حق»(٤٨) .

(٤٧) الطبرى : ج٥ ص٢٢٥، تحت تجهيز على عائشة من البصرة .
(٤٨) قرب الاسناد للحميرى الشيعى : ص٤٥ . ط. إيران .

وروى الحميرى الشيعى رواية أخرى عن جعفر عن أبيه محمد الباقر :

إن عليا عليه السلام لم يكن ينسب أحدا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكن يقول: هم إخواننا بغوا علينا»(٤٩) .

وهذه نفس الرواية التى رواها شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبى وابن عساكر وغيرهم عن جعفر بن محمد عن أبيه الباقر قال :

سمع علىّ يوم الجمل ويوم صفين رجلا يغلو فى القول فقال: لا تقولوا إلا خيرا ، إنما هم قوم زعموا أنا بغينا عليهم وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم»(٥٠) .

وأخيرا : فلما انتهى علىّ - رضى الله عنه - من حرب الجمل لم تمتنع السبئية عن إظهار خبثهم وسريرتهم وما يكنّونه فى صدورهم ، فلقد نقل الإمام ابن كثير بعد ذكر مجموع من قتل يوم الجمل :

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضى عن الصحابة منهم ، وقد سأ ل بعض أصحاب علىّ عليا أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم ، فطعن فيه السبئية وقالوا : كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟ . فبلغ ذلك عليا فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين فى سهمه؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض فى أصحابه أموال بيت المال ، فنال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من الشام ، فتكلم فيه السبئية أيضا ونالوا منه وراء وراء»(٥١) .

وأما حرب صفين فلم يكن سعى السبئية فيها أقل من حرب

---

(٤٩) أيضا .

(٥٠) أنظر منهاج السنة لابن تيمية : ج٣ ص٦١، المنتقى : ص١٣٥ ، تهذيب لابن عساكر: ج١ ص٧٣ ، ومثله فى السنن الكبرى: ج٨ ص١٧٣ .

(٥١) البداية والنهاية لابن كثير : ج٧ ص٢٤٤ ، الطبرى : ج٥ ص٢٢٣ .

الجمـل لإثـارة الفتن والقـلاقل والاضطرابات، ولازالوا على دأبهم هذا طيلة أيام عليّ - رضى الله عنه - يؤذونه بآرائهم الشاذة وأفكارهم الغريبة وعقـائـدهم الأجنبيـة، وبتجميعهم المجرمين وتحزبهم وتكتلهم وتجمعهم وإيقـاع الفـرقـة بين المسلمـين حتى لم يمتنعـوا من إيقـاعهـا بين على وأصحـابـه، وابعـاد المخلصـين عنـه، لأنهم لم يكن قصـدهم من إظهار الـولاء لعليّ والـبراءة من أصحـاب رسـول الله حب عليّ وأولاده، بل جعلوا هذا التظـاهـر بالحب والـولاء سترا على مقـاصـدهم الخبيثـة ومطـامعهم الحقيقيـة للنيـل فى الإسلام والمسلمين حتى حالوا بين على - رضى الله عنـه - وبـين أخلص المخلصـين له كرئيس عسـاكـره وكبـير مستشـاريـه وابن عمـه عبـد الله بن عباس لاتهامهم إياه بغصب الأموال وأخذها بغير حق(٥٢). وكذلك زياد أمير فارس وغيرهم الكثيرين الكثيرين.

فهـذه كانت أحـوال السبئيـة فى أيـام على - رضى الله عنه - وهذه مسـاعيهم غير المحمـودة. وقبـل ذلك ذكرنا سعيهم بالفتنة والفساد أيام عثـمان - رضى الله عنـه - مزحـزحـة أركـان الإسـلام والـدولة الإسلامية ببعض الايجـاز والاختصـار من كتب التاريخ اعتمادا على أصح الروايات وموقفنا من الشيعة أنفسهم أيضا.

ونـريـد أن نلفت الأنظـار أن شيعـة عليّ - رضى الله عنه - العامة منهم كانـوا على جانب عن هؤلاء كما يلاحـظ من خلال الـروايات التى سردنـاهـا لذكـر هذه الوقائع، وعلى ذلك كانوا دائما يسعون إلى الصلح واجتناب القتال والجدال، قدر الاستطاعة وحسب المقدور، ولو أن قليلا منهم تأثـروا بأفكـار هؤلاء المخبثـين، وانخـدعـوا بأبـاطيلهم وأكاذيبهم

(٥٢) أنظر لذلك كتب التاريخ ابن خلدون : ج٢ ص١٨٣ -١٨٤، وغيره.

ووقعوا فى شراكهم وحبائلهم. ولذلك لم يكن شيعة علىّ الأولى يطعنون فى أصحاب محمد ﷺ ولا يسبونهم ولا يشتمونهم سواء نازعوا عليا فى خلافته أو حاربوه فى مطالبة القصاص للإمام المظلوم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بل أكثر من ذلك كانوا يقدمون أبا بكر وعمر على علىّ - رضى الله عنه - كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية :

كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا أو كانوا فى ذلك الزمان لم يتنازعوا فى تفضيل أبى بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم فى تفضيل على وعثمان، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر»(٥٣) .

ثم نقل عن واحد من الشيعة الأولى شريك بن عبد الله أنه سأله سائل :

أيهما أفضل؟ . أبوبكر أم على؟ فقال له : أبوبكر، فقال له السائل : تقول هذا وأنت شيعى؟ فقال له : نعم، من لم يقل هذا فليس شيعيا، والله لقد رقى هذه الأعواد علىّ، فقال : ألا خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، فكيف نردّ قوله وكيف نكذبه؟ . والله ما كان كذابا»(٥٤) .

ثم يقول :

وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا»(٥٥) .

وكذلك كان أولاد على وأهل بيته وكانوا على نفس هذا

(٥٣) منهاج السنة لابن تيمية : ج١ ص٣-٤ .
(٥٤) أيضا .
(٥٥) أيضا .

الاعتقـاد، وهـذه وجهـة كانوا يحملونها تجاه أصحاب النبى ﷺ والخلفاء الـراشـدين الثـلاثـة، وأكثـر من ذلـك لم يكـونوا يعتقدون محاربة معاوية وأصحابه خروجا عن الإسلام وطغيانا وظلما وعدوانا، ولأجل ذلك بايع معـاويـة أكـبر أبنـاء علىّ سبـط رسول الله ـ الإمام المعصوم حسب زعم الشيعة ـ ووافقه على ذلك أبناؤه الآخرون مع ما فيهم الحسنين ومحمد بن الحنفيـة وعبـد الله بن عبـاس وغيرهم كما سيأتى بيانه، وصاهروه وأسرته وعـاونـوه على أمـور الخـير والـبر، وقبلوا منه الهدايا والصلات كما ذكرنا قريبا، إلا من تأثر من السبئية أودخل فى ذلك الحزب الملعون على لسان علىّ ـ رضى الله عنه ـ وأبنائه.

ثم ولم يكن الشيعـة عامـة آنـذاك يشتمون أصحاب النبى ﷺ ولا الخلفاء الراشدين الثلاثة ولا يطعنون فيهم ولا ينقصونهم، فلقد ذكر ابن خلكـان فى ترجمـة يحيى بن معمـر: كان شيعيا من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم»(٥٦).

ولقد أقر بذلك شيعى معاصر حيث قال:

إنى خلال مراجعتى كتب التاريخ لم أرفى الفترة التى تمتد من بعد وفـاة النبى حتى نهايـة خلافـة الخلفـاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمـام، وإنـما هنـاك من قيّم الخلفاء وقيّم الإمام وحتى فى أشد جمحات عاطفـة الـولاء لم نجـد من يشتم أحـدا ممن تقـدم الإمـام بالخـلافة. . . يضاف لذلك أنه حتى فى الفترة الثانية أى فى عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتوزعون عن شتم أحد من الصحابة أو التابعين»(٥٧).

---

(٥٦) وفيات الاعيـان: ج٢ ص٢٦٩.
(٥٧) هوية التشيع لأحمد الوائلى: ص٤١.

الباب الخامس

فرق الشيعة، تاريخها وعقائدها

اجتمع شيعة علي رضى الله عنه بعد استشهاده حول ابنه الحسن رضى الله عنه، وجعلوه إماما لهم فى اليوم الثالث بعد انتقال أبيه من دار الدنيا إلى دار الآخرة[١].

وأول من بايعه كان قيس بن سعد بن عبادة[٢].

وعند ذاك ظهرت السبئية من جديد بكل قوة وأظهروا العقائد التى طالما أخفوها خوفا من بطش علىّ رضى الله عنه، وحذرا من يقظته ومراقبته الأفكار الهدامة ومن يريد بثها فى صفوف شيعته، ومعاقبتهم معاقبة شديدة، ولقد ذكر مؤرخ شيعى حيث قال:

إن بدعة السبئية فى الغلو ظهرت على عهد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (ع) عندما مرّ بقوم يأكلون فى شهر رمضان نهارا، فقال لهم: أسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا لا ولا واحدة منهما، قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل نهارا فى رمضان؟ فقالوا له: أنت أنت، يومئون إلى ربوبيته. فاستتابهم واستأنى ووعّدهم فأقاموا على قولهم. فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا فى رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال: ألا ترونى قد حفرت لهم حفرا:

---

(١) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج٢ ص٤٢٦.

(٢) الطبرى ج٦ ص٩١.

إنــى إذا رأيــت شيئــا منــكــرا أوقــدت نارى ودعـوت قنـبرا

فلم يبرح عليـه السـلام من مكانه حتى صاروا حمما. ثم استترت هذه المقـالـة سنـة أو نحـوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: ان عليا لم يمت»[٣].

وبمثــل ذلك القــول قال أقـدم من كتب عن الفـرق من الشيعـة النوبختي حيث قال:

فلما قتـل علي عليـه السـلام افـترقت التى ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله عز وجل ورسوله عليه السلام فصاروا فرقاً ثلاثة، فرقة منهم قالت:

إن علياً لم يقتـل ولم يمت ولا يقتـل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملاء الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهى أول فرقة قالت فى الإسـلام بالـوقف بعـد النبى صلى الله عليه وآله من هذه الأمة وأول من قال منها بالغلووهذه الفرقة تسمى (السبأية) أصحاب «عبد الله بن سبأ» وكـان ممن أظهـر الطعن على أبى بكـر وعمـر وعثمان والصحابة وتـبرأ منهم وقـال إن عليـاً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قولـه هذا فأقـر به فأمـر بقتله فصـاح الناس إليه: ياأمير المؤمنين! أتقتل رجـلا يدعـو إلى حبكم أهـل البيت والى ولايتـك والـبراءة من أعدائك فصيره الى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السـلام أن عبـد الله بن سبأ كان يهوديـا فأسلم ووالى عليـاً عليه السلام وكـان يقـول وهـو على يهوديتـه فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقـالـة، فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى علي

(٣) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين الشيعى ص٥٤ ـ٥٥، ابن ابى الحديد ج٢ ص٣٠٩.

عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البرآءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذى نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض»(٤).

وأورد مثل هذا كل من ألمّ بتاريخ التشيع وفرقه سواء كان من الشيعة أم من السنة. كما ذكرناه فيما قبل من مؤلفى الشيعة وكتبهم.

ولقد ذكر ظهور السبئية من جديد والمجاهرة بعقائدهم الخبيثة بعد مقتل عليّ رضى الله عنه من كتب علماء السنة فى الفرق من عبد القاهر البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق(٥) والأشعرى فى مقالات الإسلاميين(٦) والرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(٧) والأسفرائينى فى التبصير(٨) والشهرستانى فى الملل والنحل(٩) وابن حزم الظاهرى فى الفصل(١٠) وأبو الحسن البلطى فى التنبيه(١١) والجرجانى فى التعريفات(١٢) والمقريزى فى الخطط(١٣).

فذكر كل واحد منهم أن عبد الله بن سبأ رجع بعد شهادة علي رضى الله عنه من منفاه وأظهر عقائده فى عليّ آنذاك، فيقول

---

(٤) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٣ ـ٤٤ ط. النجف.
(٥) ص٢٢٥ و ٢٣٣.
(٦) ج١ ص٨٥.
(٧) ص٥٧.
(٨) ص١٠٨ ـ١٠٩.
(٩) ج٢ ص١١ الهوامش.
(١٠) ج٤ ص١٨٠.
(١١) ص٢٥ و ١٤٨.
(١٢) ص٧٩.
(١٣) ج ص

الأسفرائيني :

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، فلما قتل علي رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا»[١٤].

وكذلك قال الشهرستانى :

إنما أظهر عبد الله بن سبأ بعد انتقال علي عليه السلام واجتمعت عليه جماعته»[١٥].

فحاربه الحسن رضى الله عنه وحارب أفكاره وعقائده دأب أبيه كما ذكر ابن أبى الحديد الشيعى :

ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها، واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: إن عليا عليه السلام لم يمت، وإنه فى السماء، والرعد صوته والبرق ضوئه؛ وإذا سمعوا صوت الرعد، قالوا: السلام عليك ياأمير المؤمنين! وقالوا فى رسول الله صلى الله عليه وآله أغلظ قول، وافتروا عليه أعظم فرية، فقالوا: كتم تسعة أعشار الوحى، فنقض عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه فى رسالته، التى يذكر فيها الإرجاء، رواها عنه سليمان بن أبى شيخ، عن الهيثم بن معاوية، عن عبد العزيز بن أبان، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، قال: شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملى هذه الرسالة، فذكرها وقال فيها: ومن قول هذه السبئية: هدينا لوحى ضل عنه الناس، وعلم خفى عنهم؛ وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أشعار الوحى؛ ولو كتم

(١٤) الفرق بين الفرق ص٢٣٣ .
(١٥) الفصل ج٢ ص١١ الهوامش .

صلى الله عليـه وآلـه شيئـاً مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد، وقوله تعالى: ﴿تبتغى مرضات أزواجك﴾(١٦).

ولكن لم يكن محاربته إياهم مثل محاربة أبيه، فبدأ السبئية يزرعون بذور الفتنـة والفسـاد ويبثـون سموم الخلاف والشقاق والفرقة بكل حرية وانطـلاقـة، وخـاصة بعد أن تخاذل الشيعة عن الحسن وبعد تفرقهم عنه ودخـول بعضهم فى السبئيـة وميول بعضهم إلى معاوية والتحاق البعض الآخرين بالخوارج وغيرهـم، ولقد صوّر هذه الأحوال شيخ الشيعة المفيد والأربلى الشيعى والمجلسى فى كتبهم وهم يذكرون تحرك معاوية الى العراق:

«وسـار معـاويـة نحو العراق ليغلب عليه فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليـه السـلام وبعث حجـر بن عدى يأمـر العمال بالمسير واستنفر النـاس للجهـاد فتثـاقلوا عنـه ثم خفـوا ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعـة له ولأبيـه، وبعضهم محكمـة يؤثـرون قتـال معـاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحـاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فسار حتى أتى حمام عمـر ثم أخـذ إلى ديـر كعب فنـزل سابـاط دون القنطرة وبات هنـاك فلما أصبـح أراد (ع) أن يمتحن أصحـابـه ويستـبرىء أحوالهم فى الطـاعـة له ليتميـز بذلك أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معـاويـة وأهل الشام فأمر بهم أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال:

الحمـد لله كلما حمده حامـد واشهـد أن لا إلـه إلا الله كلما شهد له شاهـد وأشهـد أن محمـداً عبده ورسوله أرسله بالحق وائتمنه على الوحى

---

(١٦) شرح النهج لابن ابى الحديد ج٨ ص١٢٠ ط. دار احياء الكتب

صلى الله عليه وآله.

أما بعد : فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا علي رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا. قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عانقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه واحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال: ادعوا إلي ربيعة وهمدان فدعوا فاطافوا به ودفعوا الناس عنه عليه السلام وسار ومعه شوب من غيرهم، فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني اسد يقال له الجراح بن سنان فاخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال الله أكبر أشركت ياحسن! كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم ثم اعتنقه الحسن عليه السلام وخرا جميعا إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن (ع) يقال له عبد الله بن خطل الطائي فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه فاكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك من ذلك، وأخذ آخر كان معه فقتل، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فاقره الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام

بنفسه يعالج جرحه، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له فى السر واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك، به وبلغ الحسن عليه السلام ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضى الله عنه وكان قد انفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية ويرده عن العراق وجعله أميراً على الجماعة، وقال: إن أصبت فالأمير قيس بن سعد، فوصل كتاب قيس بن سعد يخبره انهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبوبية بازاء مسكن وإن معاوية أرسل إلى عبيد الله إبن العباس يرغبه فى المسير اليه وضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة، فانسل عبيد الله فى الليل إلى معسكر معاوية فى خاصته، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس بن سعد رضى الله عنه ونظر فى أمورهم فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما اظهروه له من السب والتكفير له واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصته من شيعة أبيه وشيعته، وهم جماعة لا تقوم لإجناد الشام، فكتب إلى معاوية فى الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، فاشترط له على نفسه فى إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن «ع» وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير انه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وانفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر فى حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى عليه كثير منهم فى استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى

عدوه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم فى الآجلة. فتوثق «ع» لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والأعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين «ع» والعدول عن القنوت عليه فى الصلاة وان يؤمن شيعته رضى الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه فاجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء»[(١٧)].

وزاد على ذلك ابن أبى الحديد الشيعى :

لما أراد الحسن أن يرتحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال : أيها الناس؛ إنكم بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإنى والله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة فى شرق ولا غرب، ولما تكرهون فى الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون فى الفرقة، والخوف والتباغض والعداوة، وإن عليا أبى كان يقول: لا تكرهوا إمارة معاوية؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرءوس تندر عن كواهلها كالحنظل. ثم نزل.

فقال الناس: ما قال هذا القول إلا وهو خالع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية، فثاروا به فقطعوا كلامه، وانتهبوا متاعه، وانتزعوا مطرفا عليه، وأخذوا جارية كانت معه، واختلف الناس فصارت طائفة معه؛ وأكثرهم عليه، فقال: اللهم أنت المستعان، وأمر بالرحيل، فارتحل الناس، وأتاه رجل بفرس، فركبه وأطاف به بعض أصحابه، فمنعوا الناس عنه وساروا، فقدمه سنان بن الجراح الأسدى إلى مظلم ساباط، فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه، وطعنه فى فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى

(١٧) الارشاد للمفيد ص١٨٩ ـ ١٩١، جلاء العيون للمجلسى ص٩٠ وما بعد. كشف الغمة للاربلى ج٢ ص٦٥ ط. بيروت، ومثل ذلك فى تاريخ اليعقوبى الشيعى ص٢١٤ ـ ٢١٥. مروج الذهب ص٤٣١ .

العظم، فغشي عليه وابتدره أصحابه»(١٨).

ولقد صرح المؤرخون والكتاب من الشيعة بأن الذين غصبوا الحسن وانتهبوا مضاربه وما فيها وجرحوه كانوا من ساباط المدائن، وهي المحل الذي نفي إليه عبد الله بن سبأ من قبل علي رضى الله عنه، وكانوا متأثرين بأفكاره وعقائده والساعين في الفرقة والاختلاف، ومن بينهم كان فريسة السبئية المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان له شأن فيما بعد والذي أظهر نفس العقائد التي تلقنها من عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر الخبيث ومن السبئية الماكرة الخبيثة، ولقد ذكر المؤرخون أن الحسن بن علي رضى الله عنه دخل المدائن ونزلها وهو جريح على علم المختار:

فقال له المختار وهو شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تأخذ الحسين بن علي وتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحك الله وقبح ما جئت به، أأغدر بابن بنت رسول الله ﷺ»(١٩).

ولما رأى الحسن ذلك ومعاملة السبئية من جانب، وتخاذل الشيعة من جانب، وإراقة الدماء من ناحية أخرى رأى الصلح خيرا، ولقد ذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي:

وحمل الحسن الى مدائن وقد نزف نزفا شديدا، واشتدت به العلة، فافترق الناس عنه، وقدم معاوية الى العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن اصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن

(١٨) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٦ ص٣٦.
(١٩) الطبري ج٦ ص٩٢، ابن الأثير ج٣ ص٢٠٣، ابن كثير ج٨ ص١٤، واللفظ له.

دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين»[٢٠].

ولم يكتف الحسن بصلحه مع معاوية وتسليمه الأمر له، بل وأكثر من ذلك بايعه على رؤس الأشهاد وبمن معه من اخوانه وقادة جيشه كما ذكر الرجالى الشيعى المشهور، الكشى عن جعفر بن الباقر أنه قال:

ان معاوية كتب الى الحسن عليه السلام أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى وقدموا الى الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال: ياحسن قم فبايع، ثم قال للحسين عليه السلام: قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: ياقيس قم فبايع، فالتفت الى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال: ياقيس انه إمامي - يعنى الحسن عليه السلام»[٢١].

وذكر مثل هذا شيعى متعصب المجلسى فى كتابه (جلاء العيون) الفارسى[٢٢] وثقة محدثى الشيعة العباس القمى فى تاريخه الفارسى الكبير منتهى الآمال[٢٣] وكذلك ابن أبى الحديد الشيعى فى كتابه شرح نهج البلاغة[٢٤].

وعندئذ افترق الشيعة بفرق أخرى:

«لما وادع الحسن معاوية وأخذ منه المال الذى بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته فدخلوا فى مقالة جمهور الناس وبقى سائر أصحابه على إمامته إلى أن قتل، فلما تنحى عن محاربة معاوية وانتهى الى مظلم ساباط وثب عليه رجل من هنالك يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام دابته ثم قال الله أكبر اشركت كما

(٢٠) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢١٥ .
(٢١) رجال الكشى ص١٠٢ .
(٢٢) ج١ ص٣٩٥ .
(٢٣) ص٣١٦ .
(٢٤) شرح النهج ج١٦ ص٣٨ .

أشـرك أبـوك من قبـل وطعنـه بمعـول فى أصـل فخذه فقطع الفخذ الى العظم، فاعتنقـه الحسن وخـرا جميعاً فاجتمع الناس على الجراح فوطئوه حتى قتلوه ثم حمل الحسن على سرير فأتى به المدائن، فلم يزل يعالج بها فى منزل سعد بن مسعود الثقفى حتى صلحت جراحته ثم انصرف الى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته كاظما لغيظه متجرعا لريقه على الشجا والأذى من أهـل دعـوتـه حتى توفى عليـه السـلام فى آخر صفر سنة سبع وأربعـين وهـو ابن خمس وأربعـين سنة وستة أشهر، وقال بعضهم أنه ولد سنة ثلاث من الهجرة من شهر رمضان وإمامته ست سنين وخمسة أشهر»(٢٥).

ففـرقـة ثبتوا مع الحسن بعد هذا الصلح وبايعوا معاوية رضى الله عنـه معـه، وأطـاعـوا وأخلصـوا له الـوفـاء طيلة حياتهم من سنة إحدى وأربعـين الى سنـة ستـين من الهجـرة، وكان على رأس هؤلاء أولاد علي رضى الله عنـه وأهـل بيتـه من الحسـين ومحمـد بن الحنفيـة وعبد الله بن العباس وأبناء عقيل وجعفر وغيرهم من الهاشميين الكبار من أسرة النبى ﷺ يعتقـدون نفس الاعتقـادات التى كان يعتقـدها المسلمون عامة من أصحـاب النبى ﷺ بدون تكفـير أحـد وتفسيق أحـد من المسلمـين، متحدين متفقين، ناسين الخلافات التى حدثت، ومعرضين عن الوقائع التى وقعت، متـآخـين متـزوجـين فيـما بينهم كما ذكـرنا ذلك مفصلا فيما سبق، وفـرقـة مالت عن الحسن والحسـين وقالت بإمامة محمد بن الحنفية وعـرفت بعـد ذلـك بالكيسـانيـة وقـويت بعـدمـا صالـح الحسن معاوية وازدادت قوتها وشوكتها وحملت نفس الأفكار التى كانت تحملها السبئية، وتطـورت فيـما بعد تطورا سريعا، وتشعبت منها فرق شيعية كثيرة أخرى

(٢٥) النوبختى ص٤٦ .

كما سنذكرها فيما بعد، ولقد ذكرها النوبختى الشيعى فى الفرق التى نشأت بعد قتل علي رضى الله عنه وعدها من إحدى الثلاث التى كانت فى عهد الحسن، فانه قال:

فلما قتل علي عليه السلام افترقت التى ثبتت على إمامته... فصاروا فرقا ثلاثا، أولا: السبئية، وثانيا: فرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا الكيسانية، وانما سموا بذلك لأن المختار بن أبى عبيد الثقفى كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهو الذى طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قتل وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه، وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى بابي عمرة كان اسمه وكان أفرط فى القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول أن محمد بن الحنفية وصي علي بن أبى طالب وأنه الإمام وأن المختار قيمه وعامله، ويكفر من تقدم علياً ويكفر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أن جبرئيل عليه السلام يأتى بالوحى من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه، وروى بعضهم أنه سمي بكيسان مولى علي بن أبى طالب عليه السلام وهو الذى حمله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودله على قتلته وكان صاحب سره ومؤامرته والغالب على أمره»(٢٦).

وبذلك صرح الشهرستانى:

ومن قالوا إن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمنهم من قال: إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية... وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقال بالنص

---

(٢٦) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٤ ـ٤٥، ومثل ذلك ورد فى رجال الكشى ص١١٧

على الحسن والحسين وقال: الإمامة فى الأخوين الحسن والحسين»[٢٧].

وبذلك القول قال القاضى النعمان[٢٨] الشيعى الفاطمى أو الاثنا عشرى على اختلاف الأقوال:

واختلفوا وكثر الكلام، فقال قوم:

انه الامام بعد علي والوصى بنا — وأسقطوا الحسن والحسينا

ثم غلوا فيه فقالوا: لم يمت — بل هو فى شعب برضوى قد ثبت

بين اسود فيه وكلوا به — يأتيه قالوا رزق من ربه[٢٩]

وقد ذكر الكيسانية من السنة كل من البغدادى فى الفرق بين الفرق[٣٠] والأشعرى فى مقالات الاسلاميين[٣١] والملطى فى التنبيه[٣٢] والرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٣٣] والاسفرائينى فى التبصير[٣٤] وابن خلدون[٣٥] وابن حزم فى الفصل[٣٦] والمقريزى وغيرهم.

وفرقة تركت التشيع مطلقا بعد صلح الحسن مع معاوية رضى الله عنهما ولم يعدوا أنفسهم من الشيعة فيما بعد:

(٢٧) الملل والنحل ج١ ص٢٨ -٢٩ اهوامش.

(٢٨) هو أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن الحيوان التميمى المغربى. عاش فى النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٤هـ، وصلى عليه الإمام الفاطمى المعز لدين الله، وهو من الأعلام الثلاثة من الدعاة الفاطميين، وهو علمهم وأسبقهم وقدوتهم، عاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين من المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب إلى المعز لدين الله فى مصر (مقدمة تأويل الدعائم ص١٢، ١٣).

وينسبه الشيعة الاثنا عشرية إلى طائفتهم (أنظر مستدرك الوسائل للنورى الطبرسى وغيره).

(٢٩) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص٢٢٤ -٢٢٥ ط.

(٣٠) ص٣٨.

(٣١) ج١ ص٨٩.

(٣٢) ص٢٩ و ١٤٨.

(٣٣) ص٦٢.

(٣٤) ص٣٥.

(٣٥) ص١٩٨.

(٣٦) ج٤ ص١٧٩.

لما واعـد الحسن معـاوية وأخذ المال الذى بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته، فدخلوا فى مقولة جمهور الناس»(٣٧).

وأمـا السبئيـة فلقـد انتشرت انتشارا فظيعا فى هذا العصر، كما أقر بذلك مؤرخ شيعى بقوله:

فقـد ظهـرت هذه البدعة الضالة وسرت سريان الوباء الى نفر من أهـل العـراق ـ ثم ذكـر أسبـاب انتشارها فيهم نقلا عن ابن أبى الحديد لأنهم ـ كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم المعجـزات ـ التى رأوهـا من علي (ع)، فيعتقـدوا فى صاحبها أن الجوهر الالهى قد حل فيه. وقد قيل إن جماعة من هؤلاء من نسـل النصـارى واليهـود، وقـد كانـوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول فى أنبيـائهم، فاعتقـدوا فيـه عليـه السـلام مثل ذلك. ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا ادخال الالحاد فى دين الاسلام»(٣٨).

الشيعة أيام الحسين رضى الله عنه

ولما توفى الحسن رضى الله عنه واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين رضى الله عنـه حدثت حادثـة كبـيرة، ووقعت كارثـة عظيمـة، ألا وهى خروج الحسـين على يزيـد بن معـاويـة بعـد وفـاة أبيه وقتله فى كربلاء.

ونقف برهة يسيرة قبل أن نذكر تفرق الشيعة بعد هذه الكارثة لسرد وبيان تخاذل الشيعة وغدرهم عن الحسين، فلقد ذكر اليعقوبى المؤرخ الشيعى

---

(٣٧) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٦.

(٣٨) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص١٠٥

الغـالى أن يزيـد بن معـاويـة لما تولى الخـلافـة بعد أبيه كتب الى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبى سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي رضى الله عنهما ولما طلب الوليد منه ذلك :

فخـرج الحسـين الى مكـة ، فأقـام بها أيـاما ، وكتب أهل العراق اليـه ، ووجهـوا بالرسل على أثر الرسل ، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانىء بن أبى هانىء ، وسعيد بن عبد الله الخثعمى :

بسم الله الـرحمن الـرحيم ، للحسـين بن علي من شيعتـه المؤمنين والمسلمـين ، أمـا بعـد فحيّ هلا ، فان النـاس ينتظـرونـك ، لا إمام لهم غيرك ، فالعجل ثم العجل والسلام»[٣٩] .

والمؤرخ الشيعى الآخر المسعودى يكتب :

ولمـا مات معـاويـة راسل أهل الكوفة[٤٠] الى الحسين بن علي : انا قد حبسنـا أنفسنـا على بيعتك ، ونحن نموت دونك ، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة»[٤١] .

---

(٣٩) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ومثل ذلك فى الارشاد للمفيد ص ٢٠٣ * وكشف الغمة للاربلى ج ٢ ص ٣٢ .

(٤٠) نعم الكوفة التى كان مركزا للشيعة ومرتعا خصبا حتى قالوا فيها :

وأما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن ابى طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف .

وأمـا الجـزيـرة فحـروريـة مارقة . وأما أهل الشام فليس يعرفون الا آل أبى سفيان وطاعة بنى = = مروان . . . . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر(عيون الأخبار للرضا- نقلا عن الشيعة فى التاريخ) .

ورووا عن جعفر أنه قال:

ان الله عرض ولايتنا على أهل الامصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة(بصائر الدرجات ج ٢ الباب العاشر) .

وأيضا ما ورواه الكلينى فى كافيةّ عن عبد الله الوليد الكندى :

قال : دخلنـا على ابى عبـد الله عليـه السـلام فى زمن مروان ، فقـال : من أنتم؟ فقلنـا : من أهـل الكوفة ، فقال : مابلدة من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ، ولاسيما هذه العصابة ، ان الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس ،-وصدقتمونا وكذبنا الناس ، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا(الروضة من الكافى)

(٤١) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٤ .

وكتبا أخرى: فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار، فاذا شئت فاقبل على جند لك مجندة»(٤٢).

ولما تواترت الرسائل وكثرت، واشتد طلب الكوفيين:

وجه إليهم مسلم بن عقيل بن أبى طالب وكتب إليهم، وأعلمهم أنه إثر كتابه، فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا إليه، فبايعوه وعاهدوه وعاقدوه، وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء(٤٣).

وزاد المفيد: فبايعوه وهم يبكون، وتجاوز عددهم ثمانية عشر ألفا»(٤٤).

وبعد أيام وصل إليه من مسلم بن عقيل:

ان لك مائة ألف، ولا تتأخر»(٤٥).

فتحرك نحو الكوفة، فأتاه ابن العباس من بنى هاشم وقائد جيوش علي رضى الله عنه ومستشاره الخاص والرجل المجرب المحنك الذى كان يعرف شيعة زمانه حق المعرفة فقال له ـ كما نقل المسعودى الشيعى ـ:

ياابن عم، قد بلغنى أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن، فانها فى عزلة، ولك فيها أنصار وإخوان، فأقم بها وبث دعاتك، واكتب الى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق أن يخرجوا أميرهم، فان قووا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم، وما أنا لغدرهم بآمن، وان لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتى الله بأمره، فان فيها حصونا وشعوبا، فقال الحسين: يابن

(٤٢) اعلام الورى للطبرسى ص ٢٢٣، ١ الارشاد للمفيد ص ٢٢٠.
(٤٣) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٤٢.
(٤٤) الارشاد ص ٢٢٠.
(٤٥) الارشاد للمفيد ص ٢٢٠.

عم، انى لأعلم أنــك لى ناصـح وعـلي شفيق، ولكن مسلم بن عقيـل كتب إلى باجتـماع أهـل المصـر على بيعتى ونصـرتى، وقد أجمعت على المســير اليهم، قال: انهم من خبرت وجـربت، وهم أصحـاب أبيـك وأخيـك وقتلتـك غدا مع أميرهم - ما أصدقه وما أحنك به وأخبر بهم - انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك، فان عصيتنى وأبيت إلا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن نسـاءك وولـدك معـك، فوالله انى لخائف أن تقتـل كما قتـل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه»(٤٦).

هذا ما قالـه عبـد الله ابن عبـاس رضى الله عنهما، وله من المنزلة والمقام عند علي رضى الله عنه ما لايخفى على أحد حتى كتب مفيد الشيعة:

كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن العباس»(٤٧).

وهذا ما كان يحمل من الشيعة، وكيف لا وقد قال فيهم علي رضى الله عنه نفسه: لوددت أن معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم»(٤٨).

ثم أيـد ابن عبـاس أبـو بكـر بن هشـام فى وصف الشيعـة بالغدر والخيـانـة وعـدم الخروج إليهم كما نقله الشيعى المسعودى: دخل أبوبكر بن الحارث بن هشام على الحسين فقال: يا بن عم، إن الرحم يظائرنى عليـك، ولا أدري كيف أنـا فى النصيحـة لك، فقال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولا يتهم، فقـل، فقـال أبـو بكـر: كان أبـوك أقدم سابقة، وأحسن فى الاسـلام أثـراً، وأشـد بأسـا، والناس له أرجى، ومنه أسمع

(٤٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٥.
(٤٧) الارشاد للمفيد ص ١٤.
(٤٨) نهج البلاغة

وغليه أجمع ، فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو أعز منه ، فخذلوه ، وتثاقلوا عنه ، حرصاً على الدنيا ، وضناً بها ، فجرعوه الغيظ ، وخالفوه حتى صار الى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه ، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا ، وقد شهدت ذلك كله ورأيته ، ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى ، والناس منه أخوف ، وله أرجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فاذكر الله فى نفسك ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا ابن عم ، فقد أجهدك رأيك ، ومهما يقض الله يكن ، فقال : إنا لله وعند الله نحتسب ياأبا عبد الله ، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى والي مكة وهو يقول :

كم نرى ناصحاً فيعصى   وظنين المغيب يلفى نصيحاً

فقال : وما ذاك؟ فأخبره بما قال للحسين ، فقال : نصحت له ورب الكعبة»(٤٩) .

ثم وننقل القصة بكاملها من الشيعة أنفسهم كى يعرف ويدرك خيانة القوم وجبنهم . فيذكر المسعودى :

واتصل خبر مجىء مسلم الكوفة بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة ؛ فخرج من البصرة مسرعاً حتى قدم الكوفة على الظهر ، فدخلها فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها ، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل بن زياد يسلم على الناس فيقولون ؛ وعليك السلام يا ابن رسول الله ! قدمت خير مقدم ،

(٤٩) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٦ .

حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم اشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله ما لي وما لك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم، وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانيء بن عروة المرادي، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس الى هانىء، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانىء: إن لزياد أبيك عندى بلاء حسناً، وأنا احب مكافأته به، فهل لك فى خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان فى يده حتى كسر انفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانىء بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانىء بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسه، وأخرج اليهم ابن زياد شريحاً القاضى، فشهد عندهم أنه حى لم يقتل، فانصرفوا، ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانىء، أمر منادياً فنادى «يامنصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار الى ابن زياد، فتحصن منه، فحصروه في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد، فبقى

حائـراً لا يدرى أين يذهب، ولا يجد أحـداً يدلـه على الطريق فنزل عن فرسه . شى متلدداً فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه، حتى انتهى الى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقـاهـا ماء فسقتـه، ثم سألتـه عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبـح غدا الى محمـد بن الاشعث فأعلمـه، فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فأعلمه»(٥٠).

فقتله وقتل هانىء بن عروة وهو يصيح :

يآل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا»(٥١).

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له : أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال : أريد هذا المصر، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال : ار تـــع، فانى لم أدع خلفى خيرا ارجـوه لك، فهم بالـرجـوع فقال له أخوة مسلم : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلنا، فقال الحسين : لا خير فى الحياة بعدكم»(٥٢).

ثم قال للناس :

أمـا بعـد فانـه قد أتـانـا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبـد الله بن يقطـر وقـد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصـرف فى غير حرج ليس معـه ذمـام فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمـالا حتى بقى فى أصحـابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضمـوا إليـه وإنما فعل ذلك لأنه (ع) علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما

(٥٠) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٥٧، ٥٨.
(٥١) مروج الذهب ص ٥٩.
(٥٢) ايضا ص ٦٠، ٦١.

اتبعوه وهم يظنون انه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره ان يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون، فلما كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء واكثروا ثم ساروا حتى مر ببطن العقبة فنزل عليها فلقيه شيخ من بنى عكرمة يقال له عمرو بن لوذان فسأله أين يريد فقال له الحسين (ع) الكوفة فقال الشيخ انشدك لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف وان هؤلاء الذين بعثوا إليك لوكانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحالة التى تذكر فانى لا أرى لك ان تفعل فقال له يا عبد الله ليس يخفى على الرأى وان الله تعالى لا يغلب على أمره»(٥٣).

ثم ارتحل الى الكوفة فلقى فى الطريق واحدا من أهل الكوفة وأخبره عن غدرهم وتخاذلهم وجبنهم قائلا:

ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك»(٥٤).

ولما عارضه ورفاقه جيش الكوفة ورأى منهم عكس ما كتبوا وقالت رسلهم، وتنكروا ما كتبوا اليه قال لبعض أصحابه:

اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم الي، فأخرج خرجين مملوئين كتبا فنشرت بين يديه»(٥٥).

فأنكروا عليه هذه الكتب والرسائل، ثم سار حتى وصل كربلا:

فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه... وكان جميع من حضر مقتل الحسين

---

(٥٣) الارشاد للمفيد ص ٢٢٣، اعلام الورى للطبرسى ص ٢٣١، ٢٣٢، جلاء العيون للمجلسى ج ٢ ص ٥٤٠.

(٥٤) الارشاد ص٢٢٢.

(٥٥) اعلام الورى ص٢٣٢، الارشاد ص٢٢٥، جلاء العيون ص٥٤١-٥٤٢.

من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، فلم يحضرهم شامى»[٥٦].

ثم يذكر اليعقوبى الشيعى المتحمس - كما يسميه ولهوزن - «ان أهل الكوفة لما قتلوه، ، انتهبوا مضاربه وابتزوا حرمه، وحملوهن الى الكوفة، فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال على بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟ . »[٥٧].

وهنا نريد أن نثبت ما ذكره ولهوزن المستشرق الالمانى المتعاطف على الشيعة:

ولم يكن جمهور أهل الكوفة حريصاً على مساعدة الحكومة، ولكنه مع ذلك لم ينضم إلى صف أعدائها. وحتى أولئك الذين بعثوا بالكتب إلى الحسين وأقسموا على الاخلاص له تخلوا عنه فى المحنة ولم يقدموا له يد المعونة، وقصارى ما فعلوه أنهم راقبوا المعركة من بعيد ومصرعه الأخير ثم بكوا. وقليلون جداً هم أولئك الذين تجاسروا على اللحاق به ومشاركته فى مصيره، مثل أبى ثمامة الصائدى خازن بيت المال، وابن عوسجة. وعدا هذا فإن بعض الذين شاركوه فى مصرعه إما أنهم كانوا من أولئك الذين التقطهم عرضاً فى الطريق أو من أولئك الذين دفعتهم الحمية الانسانية فى اللحظة الأخيرة إلى الانضمام إليه وإن لم يكن لهم من قبل شأن به أو لم يكونوا من شيعته. وقد أبرز المؤرخون هذا التعارض بين المكلفين، الذين لم يعملوا شيئاً، وبين غير المكلفين الذين أخجلوا الأولين، أبرزوه وعرضوه أحيانا عرضاً دراميا. ومما هو جدير بالاعتبار أن الأنصار أيضاً، لا القرشيون وحدهم، قد تخلوا عن الحسين، فلم يخرج من المدينة واحد منهم معه ولم يكن منهم بين شيعة الكوفة إلا أفراد قلائل

(٥٦) مروج الذهب ج٣ ص ٦١ .
(٥٧) تاريخ اليعقوبى ج١ ص٢٣٥ .

جداً. والثورة التى قامت فى المدينة سنة ٦٣هـ لم تكن من أجل آل علي، كما أن علي بن الحسين نفض يديه منها.

وفى مقابل الجبناء وغير المخلصين كان أعداء الشيعة الصرحاء وهم أتباع حكومة بنى أمية وموظفوها. ولم يكن الجدال يدور حول أمور دينية إيمانية»(٥٨).

وعلى ذلك قال البغدادى:

روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل، وقد سار المثل بهم فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفى، وأغدر من كوفى، والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء:

أحدها: أنهم بعد قتل علي رضى الله عنه بايعوا ابنه الحسن، فلما توجه لقتال معاوية غدروا به فى ساباط المدائن، فطعنه سنان الجعفى فى جنبه فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية.

والثانى: أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضى الله عنه، ودعوه الى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه، حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

والثالث: غدرهم بزيد بن علي بن الحسين بن أبى طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموا عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان»(٥٩).

فهؤلاء كانوا الشيعة، شيعة علي والحسن والحسين، وهذه هى كانت معاملتهم لأئمتهم وقادتهم.

---

(٥٨) الخوارج والشيعة ص١٣٤ .

(٥٩) الفرق بين الفرق ص٣٧ .

ولقد فصلنا فى ذلك القول لأنه بعد هذه الحادثة حصل فى التشيع تطور كبير، وبدأ يتجه الى اتجاه ديني ويصبغ بصبغة مذهبية بعد أن كان سياسيا بحتا، يرى رأى علي وأولاده مقابل معاوية وبنى أمية. وبذلك صرح ولهوزن بكل وضوح حيث يذكر مقتل الحسين وبعده قيام المختار باسم الثأر، فيقول:

كان التشيع فى الكوفة آنذاك قد لبس ثوباً جديداً. وقد عرفنا من قبل المعنى الذى كان يدل عليه فى الأصل. لقد كان تعبيراً عن الاتجاه السياسى العام لمعارضة الغراق لسلطان الشام. وفى بادىء الأمر كان الأشراف صفاً واحداً مع سائر الناس ويتولون قيادتهم. ولكن حينما أحدق الخطر تراجعوا واستلانوا لاغراء الحكومة (حكومة الأمويين فى الشام) ثم استخدموا للقضاء على الثورات الشيعية. وبهذا انفصلوا عن الشيعة، فتحدد نطاق التشيع واتخذ شيئاً فشيئاً صورة فرقة دينية فى تعارض مع الأرستقراطية ونظام العشائر، وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثالي خيالي. وكان أنصار سليمان بن صرد يرمون إلى الثورة على أرستقراطية العشائر فى الكوفة. ولكن المختار كان أول من نفذ هذا الغرض وحققه عملياً. وإلى هذه الحركة اجتذب الموالي أيضاً. وهؤلاء كان اجتذابهم سهلاً لأنهم كانوا ذوى نزعة واضحة إلى الحكم الديني، لا القومى الشعوبى، وإن كان العرب هم الذين كانوا يتولونه حتى ذلك الحين، كما كانوا ـ أعنى الموالي ـ يكرهون المتعصبين لسيادة العرب.

فلما ارتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربية القومية العربية وكانت حلقة الارتباط هى الاسلام. ولكنه لم يكن ذلك الاسلام القديم، بل نوعا جديدا من الدين»(٦٠).

(٦٠) الخوارج والشيعة ص١٦٧ ـ١٦٨ .

وبدأ التشيع يحمل الأفكار الأجنبية المدسوسة، كما بدأ يحصل فيه التفرق الكثير، «وصار مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم، فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: ان النار محرمة على كل شيعى الا قليلا، كما قال اليهود: لن تمسنا النار الا اياما معدودات، والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم: ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه، وقالوا: ان اللاهوت اتحد بالناسوت فى الامام، وان النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية، وما فى نفوسهم الا الكره للعرب ودولتهم، والسعى لاستقلالهم»(٦١).

كما نقل عن المقريزى أنه قال:

إن الفرس كانوا ذوى سعة وعلو يد على جميع الامم وجلالة الخطر فى أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب، وكان العرب عند الفرس أقل الامم خطرا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى، وفى كل ذلك يظهر الله الحق. . . فرأوا أن كيده على

(٦١) فجر الإسلام لاحمد امين ص٢٧٦ -٢٧٧ .

الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»(٦٢).

ونرجع الآن الى تفرقهم واختلافهم بعد ذكرنا إياهم وخذلانهم مناصرة زعمائهم ومن كانوا يدعون حبهم وموالاتهم، فبعد قتل الحسين رضى الله عنه افترقت الشيعة ثلاث فرق كما يذكر النوبختى :

الكيسانية

فلما قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت : قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقاً واجباً صوابا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم. وكثرة أصحاب يزيد لعنة الله عليه حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن فى القعود عن محاربة معاوية. وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدة يزيد بن معاوية حتى قتل وقتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه الكثير باطل فشكوا لذلك فى إمامتهما ورجعوا فدخلوا فى مقالة العوام وبقى سائر أصحاب الحسين على القول الأول بإمامته حتى مضى.

ثم افترقوا بعده ثلاث فرق : (ففرقة) قالت بإمامة محمد بن الحنفية وزعمت انه لم يبق بعد الحسن والحسين أحد أقرب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من محمد بن الحنفية فهو أولى الناس بالامامة ك

(٦٢) الخطط للمقريزى ـ نقلا عن فجر الإسلام ص٧٧ .

كان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسن فمحمد هو الامام بعد الحسين.

(وفرقة) قالت إن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى هو الإمام المهدى وهو وصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه وانما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محاربا له بإذن محمد ووادعه وصالحه بإذنه وإن الحسين انما خرج لقتال يزيد بإذنه ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وإن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك وأن محمداً استعمل المختار بن أبي عبيد على العراقين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمون (المختارية) ويدعون: الكيسانية»(٦٣).

ولقد ذكرنا قبل ذلك أن الكيسانية وجدت بعد قتل علي رضى الله عنه ولكن غلب هذا الاسم على المختارية، ومن الكيسانية تفرعت فروع كثيرة، وتفرقت فرق متعددة مثل الكرابية والحربية والرزارمية والبيانية والراوندية وأبو المسلمية والهاشمية والحارثية وغيرها الكثيرة الكثيرة(٦٤).

ويجمع هذه الفرق كلها القول بإمامة محمد بن الحنفية والاعتقاد بعقائد التى زرع بذورها السبئية وعبد الله بن سبأ، الغيبة والرجعة والتناسخ وغيرها، وفى ذلك قال شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

(٦٣) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٧ ـ٤٨.

(٦٤) انظر لمعرفة ذلك فرق الشيعة للنوبختي ص٤٨ وما بعد ومقالات الإسلاميين ص٨٩ والفرق بين الفرق ص٣٨ وما بعد، والحور العين ص١٥٧ ومابعد، والملل والنحل للشهرستانى ج١ ص والتبصير للاسفرائينى، مقدمة ابن خلدون ص١٩٩ وما بعد ط. مصر.

فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء(٦٥)

وقد أجاب على هذه الأبيات البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق)(٦٦).

وقال أحد الكيسانين أيضا:

ألا حي المقيم بشعب رضوى ... وأهد له بمنزله السلاما
أضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا ... مقامك عنهم سبعين عاما
لقد أمسى بجانب شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له أرض عظاما
وان له به لمقيل صدق ... وأندية تحدثه كراما(٦٧)

وأجابه البغدادى أيضا بقوله:

لقد أفنيت عمرك بانتظار ... لمن وارى التراب له عظاما
فليس بشعب رضوى من إمام ... تراجعه الملائكة الكلاما
ولا من عنده عسل وماء ... وأشربة يعل بها الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعم موت ... كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجد ... لعاش المصطفى أبدا وداما(٦٨)

والجدير بالذكر أن من الكيسانية انتقلت الإمامة إلى بنى العباس لأن بعض فرقها اعتقدت انتقال الامامة من أبى هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن على بن العباس، ومنه الى ابنه ابراهيم، ومن

---

(٦٥) الفرق بين الفرق ص٤١ .
(٦٦) انظر ص٤٢ .
(٦٧) فرق الشيعة ص٥١ .
(٦٨) الفرق بين الفرق ص٤٣ .

ابــراهيم الى أبى العبـاس، ومن أبى العبـاس الى أبى جعفـر المنصـور المؤسس للدولة العباسية(٦٩).

ومن بين هذه الفـرق كلهـا اشتهـرت فرقـة المختـار بن أبى عبيـد الثقفى لما كان له من صولة وجولة باسم القصاص بدم الحسين رضى الله عنـه، وقـد ذكـر المختـار هذا، الكشى فى (رجـاله) عن محمد بن مسعود قال: حدثنى ابن أبى علي الخـزاعي قال: [حــدثنى] خالــد بن يزيـد العمرى عن الحسن بن زيد عن عمر بن علي: أن المختار أرسل إلى علي بن الحسـين «ع» بعشـرين ألـف دينـار فقبلهـا وبنى بها دار عقيل بن أبى طالب ودارهم التى هدمت. قال: ثم انـه بعث إليـه بأربعـين ألف دينار بعـدمـا أظهر الكلام الذى اظهره فردها ولم يقبلها، والمختار هو الذى دعا النـاس إلى محمـد بن علي بن أبى طالب ابن الحنفيـة وسمـو الكيسانية، وهم المختارية، وكان لقبه كيسان ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى أبـا عمـرة وكان اسمه كيسان. وقيل انه سمى كيسان بكيسان مولى علي بن أبى طالب «ع» وهـو الـذى حمله على الطلب بدم الحسـين ودله على قتلتـه، وكـان صاحب سره والغـالب على أمره، وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين «ع» أنه فى دار أو موضع الا قصده وهدم الدار بأسرها وقتل كل من فيها من ذى روح، وكل دار بالكوفة خراب فهى مما هدمها، وأهل الكوفة يضربون به المثل فاذا افتقر انسان قالوا «دخل أبو عمرة بيته» حتى قال فيه الشاعر:

ابــليس بما فيــه خير من أبــى عمـرة
يغـويـك ويطــغـيـك ولا يعطـيـك كســرة(٧٠)

كما ذكره النوبختى الذى نقلنا عنه آنفا:

---

(٦٩) انظر فرق الشيعة ص٦٩، مقدمة ابن خلدون ص١٩٩.
(٧٠) رجال الكشى ص١١٧.

ولقد ذكره ولهوزن أيضا بالتفصيل، ولعل الحديث عنه أطول حديث فى كتابه نقطع منه هذا الجزء لتصوير الرجل وتحليله الذى حلل به شخصيته :

كان المختار ينعت بأنه سحار (الطبري جـ ٢ ص ٧٣٠ س.١٣)، وأنه «الدجال» (الطبري ص ٦٨٦ س ٧)، ويوصف عادة بـ«الكذاب». وهذا الوصف لا لأنه زعم أنه مكلف من قبل ابن الحنفية، بل لأنه تبدى على أنه نبي. حقاً إنه لم يسم نفسه بهذا الاسم، ولكنه أتى أفعالاً من شأنها أن تعطى عنه هذه الفكرة، فكرة أنه نبي. وكان يتكلم وكأنه جالس فى الحضرة الإلهية، يعلم الغيب، ويسجع سجع الكهان بطلاقة ومهارة. ويريد أن يفرض شخصيته على الناس، وأفلح فى هذا أيضاً وإن كان نجاحه لدى الخاصة والعقلاء أقل منه لدى العامة والدهماء. وطالما حالفه النصر اتسعت دوائر المؤمنين به. فلما منى بالهزيمة أدبرت عنه الدنيا. وراحت الروايات تطلق سهامها على ذكراه بعد مقتله. فى البدء كانت تذمه دون أن تشوه صورته. ولكنها راحت بعد ذلك فى مرحلة متأخرة تنعته بنعوت أملاها الحقد. وهذه النعوت نفسها هى التى تسود الصورة التى كونتها عنه الأجيال التالية. ودوزي لا يستخدم غيرها لرسم الصورة التى عملها للمختار فى كتابه «مقالة فى تاريخ الاسلام»: فيقول عنه إنه هو الذى أمر بإطلاق الحمام البيض، وأنه كان خارجياً ثم زبيرياً ثم شيعياً، وأنه ابتدع القول بالبداء فى الله كيما يبرر تقلبه هو من مذهب الى مذهب. ولكن لا يحق للمرء أن يجعله معرضاً للسخرية من أجل أن يفهمه على حقيقته. ولحسن الحظ كان لنشر «تاريخ» الطبرى الفضل فى وضع حد لهذا النحو من تصوير الرجل.

فإن كان لابـد من الإجابـة عن السـؤال: هل كان المختـار نبيـاً صادقـاً أومتنبئـاً كاذبـاً؟ ـ فلا مناص من تعديله إلى هذه الصيغة: أكان المختـار مخلصـاً أم غير مخلص؟ قد يأخـذ عليـه المـرء أنـه استعان بالتنبؤ للوصـول إلى الحكم. ولكن هذا المأخـذ عينـه قد يؤخـذ على محمـد، وعلى المـرء أن يلاحـظ أن الإسـلام دين سياسى وأن أى نبي مسلم لابد أن يسعى إلى الحكم. ولكن ما هو أشد من ذلك المأخذ خطراً وأكبر وزناً هو أنه تستر وراء شبح وناطور خيالى (هو محمد بن الحنفية) لم يعرف عن أمره شيئاً ولم يشأ أيضاً أن يعلم عن أمره شيئاً. فلم يكن ضميره نقياً من هذه النـاحيـة، ولكن الظروف فى ذلك الحين لم تسمح له ـ بوصفه مسلماً وشيعياً ـ أن يظهر باسمه هو الخاص، بل كان عليه أن يخلق لنفسه مركز «أمـين» للمهـدى المستـتر . . . وإن المختـار اتخـذ نقطة ابتدائه من بدعة غريبـة غامضـة اختـط بها المختـاروهى «السبئيـة». والسبئيـة كانت قد اتخـذت اتجـاهاً أنشأ يسيطر على طبقات واسعة بحيث اضطرت الشيعة بوجـه عام إلى اتخـاذ موقف أشـد حدة بإزاء الإسـلام السني وازداد إبراز الخـلافـات بين الشيعة والسنة. والسبئية يسمون أيضاً «الكيسانية» وكان كيسـان زعيـماً للموالى، فإن كان فى نفس الوقت زعيماً للسبئية، فيستنتج من هذا أن السبئية والموالى كانوا شيئاً واحداً تقريباً (ص ٦٢٣ س ١٤، ص ٦٥١ س ٢). واعتماداً على هذا الاستنتاج مضى البعض فزعم أن التشيـع كمـذهب دينى إيـرانى الأصـل، لأن غالبية موالى الكوفة كانوا إيـرانيـين. قال دوزى (فى كتـابـه المـذكـور آنفـاً، ص ٢٢٠ وما يليها): «كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفـارق بين الجنس العـربى، الذى يحب الحرية، وبين الجنس الفارسى الـذى اعتـاد الخضوع كالعبيد. لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً

غير معهـود ولا مفهـوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم، لهذا اعتقـدوا أنـه ما دام محمـد لم يترك ولداً يرثه، فإن علياً هو الذى كان يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل علي. ومن هنا فإن جميع الخلفـاء ـ ما عدا علياً ـ كانـوا فى نظـرهـم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعـة. وقـوي هذا الاعتقـاد عنـدهـم كراهيتهم للحكـومـة وللسيطـرة العـربيـة، فكـانـوا فى الـوقت نفسـه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم. وهـم قد اعتادوا أيضا أن يروا فى ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته. فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي ـ كانت فى نظرهـم الواجب الأعلى، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسـر سائـر الـواجبـات والتكـاليف تفسيراً رمـزيـاً وأن يتجـاوزهـا ويتعـداهـا. لقـد كان «الأمـام» عِنـدهـم هوكل شىء، إنـه الله قد صار بشراً. فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات ـ ذلك هو الأساس فى مذهبهم» وعلى نحو مشابه يتحدث أ. ملر فى كتابه المذكور سابقاً جـ ١ ص ٣٢٧، ويضيف إلى هذا أن الفـرس كانـوا ـ تحت تأثـير الأفكـار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل ـ يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسد لروح الله التى تنتقل فى أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء.

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين ـ فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه»(٧١).

وأمـا عقـائدهم الباقية فإنها لمبسوطة موجودة فى كتب الفرق، ولقد ذكرنا ما فيها الكفاية وتفى بالمطلوب. ولقد طولنا الكلام فى هذه الفئة من

(٧١) الخوارج والشيعة ص ١٦٥ الى ١٦٩.

الشيعة وهذا الرجل لأنه هو وطائفته هم تركة السبئية الحقيقية، ومنهم أخذ بالأفكار وتمسك بالآراء من جاء من الشيعة بعدهم، وعندئذ بدأ التشيع الأصلي يذوب، والشيعة الأولى ينقرضون إلا القليل القليل. وعلى رأسهم أولاد علي وبنو هاشم، وبدأت أفكار السبئية تتسرب إليهم وتتغلب عليهم، خصوصا شهادة حسين رضى الله عنه جعلت الموالين لعلي وأولاده، وحتى بعض الطالبيين أيضا يحسون بالحرمان الكبير واليأس الكثير، ويجدون أنفسهم تواقة إلى الانتقام وخصوصا قلب نظام الحكم القائم المتهم بقتل الحسين وأهله فى كربلاء، وبدأ بعض الجهلة والمغفلين ينقمون كل ما يتصل بالحكام ويبغضون كل ما يرى برأيهم حتى العقائد والمعتقدات، فلما رأى هؤلاء أن ولاة الأمر يعظمون أبا بكر وعمر وعثمان وبقية أصحاب النبى ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين بدوا يتبرؤون منهم ويتكلمون فيهم. لا لأنهم يجدون عليهم شيئا، بل كرها لكل ما يسمعونه على المنابر وفى المحاريب. وعلى ذلك نقل الذهبى عن شيخ الاسلام ابن تيمية:

كان السلف متفقين على تقديم أبى بكر وعمر حتى شيعة علي رضى الله عنه. وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن حدير قال: قدم أبو اسحاق السبيعى الكوفة، قال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا. فقال أبو اسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدرى ما يقولون. . . وعن ضمرة عن سعيد بن حسن قال: سمعت ليث بن أبى سليم يقول: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحدا. وقال أحمد بن

حنبل حدثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن سلمة عن مسروق قال: حب أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. ومسروق من أجل تابعى الكوفة وكذلك قال طاوس. . . وقد روى ذلك عن ابن مسعود. وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر. وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا. وقد روى البخارى عنه فى صحيحه من حديث الهمدانيين - الذين هم أخص الناس بعلى حتى كان يقول:

ولو كنت بوابا على باب جنة … لقلت لهمدان ادخلى بسلام

فقد رواه البخارى من حديث سفيان الثورى وهو همدانى، عن منذر وهو همدانى عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبى: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بنى أوما تعرف؟ فقلت: لا. قال: أبوبكر. فقلت: ثم من؟ قال: عمر. وهذا يقوله لابنه بينه وبينه، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية. ويرويه عن أبيه خاصة. وقاله على المنبر. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى»(٧٢)

«وكتب محب الدين الخطيب فى الهامش هذا نص تاريخى عظيم فى تحديد تطور التشيع، فان أبا إسحق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها، ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفى سنة ١٢٧، وكان طفلا فى خلافة أمير المؤمنين علي. وهو يقول عن نفسه: رفعنى أبى حتى رأيت عليّ بن أبى طالب يخطب أبيض الرأس واللحية. ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة

(٧٢) المنتقى للذهبى ص ٣٦٠، ٣٦١. ط. القاهرة بتحقيق السيد محى الدين الخطيب.

الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبى بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبى رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته فى أتقى وأطهر أزمانها. ومن العجيب أن الخوارج والإباضية ثبتوا على عقيدتهم الأولى فى أبى بكر وعمر كما كانوا عليه مع علي إلى مدة الحكم، والشيعة نقضوا هذه العقيدة وعصوا فيها إمامهم بعد القرن الأول، أى فى أواخر حياة أبى اسحاق السبيعى»(٧٣).

هذا وبلغ الأمر بعد تطور الشيعة إلى حد أنهم بدءوا ينكرون المسلمات والأسس التى عليها يقوم المذهب الإسلامى الحنيف والشريعة السماوية السمحاء. فقط لأن الحكام يتمسكون بها ويعتقدونها، مثل القرآن، الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسول الله التى جعلها الله بيانا لهذا القرآن(٧٤).

ثم وبعد شهادة الحسين رضى الله عنه كثرت الخزعبلات والخرافات فى الشيعة حتى إن المخلصين من الأشراف ومن الشيعة الأولى حاولوا إقامة السد فى طريق هذه السخافات ومنع الناس عن اعتناقها ولكنهم فشلوا فى ذلك، ثم اضطروا الى التباعد عنها وعن التشيع بعدما قنطوا ويئسوا من رجوع القوم الى الحق وانتهائهم عن الغى والضلالات، فهذا هو ابن الأشتر إبراهيم يذكره ولهوزن ضمن تسلط المختار على الشيعة وامتناع إبراهيم عن الانضمام اليه حيث يقول:

فكان على المختار أن يكسب رجلا آخر فى الكوفة نفسها لا يستطيع من دونه أن يلقى رؤساء الشيعة نجاحاً ضد الأشراف والوالى.

(٧٣) أيضا، الهامش ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٧٤) ولقد فصلنا القول فى هذا فى كتابنا (الشيعة والقرآن) و(الشيعة والسنة) من أراد معرفة ذلك فليرجع اليهما.

هذا الرجل هو إبراهيم بن الأشتر زعيم قبيلة النخع من مذحج . وكان بارعاً ماكراً مستقل الرأى، وكان كأبيه مخلصاً لعلي، وكان على اتصال بابن الحنفية . ولكنه لم يكن يؤمن بالتشيع على الصورة التى استحال إليها فى ذلك العهد. لم يشأ الانضمام إلى سليمان بن صرد كما لم يرغب فى أن يعرف شيئاً عن المختار. ولم تفلح المحاولات فى اكتسابه . وأخيراً وصله كتاب يطلب فيه ابن الحنفية نفسه منه أن يعترف بالمختار بن أبى عبيد. ولكنه تضايق من كون ابن الحنفية يلقب نفسه فى هذا الكتاب بلقب «المهدى» وهو أمر لم يعهد منه، فحاك فى صدره الشك فى صحته . ولكن الذين قدموا بالكتاب، والمختار نفسه أكدوا صحة الكتاب، إلا اثنين لفتا نظره بتحفظهم، وهما : عامر بن شراحيل الشعبي الراوى الفقيه المحدث الكبير . وأبوه شراحيل . فانتحى بعامر ناحية وسأله هل يشك فى أمانة هؤلاء الشهود على صحة الكتاب . فقال عامر الشعبي : معاذ الله فإنهم «سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً!» (الطبرى ٢ / ٦١٢) . فسأله ابن الأشتر أن يكتب له أسماءهم وكتب محضراً صورياً بما وقع . فلما اطمأن قلبه بهذا امتثل لما ورد فى الكتاب ووضع نفسه فى خدمة المختار بن أبى عبيد»(٧٥) .

ولما تقلب المختار وبدأ يظهر ما كان يكنه من الأفكار السبئية من عداوة السلف الصالح والطعن فى أصحاب رسول الله ﷺ :

أخذوا يعتبون على المختار أنه تأمر عليهم بغير رضى منهم ولا بأذن من ابن الحنفية وأنه أظهر هو وسبئيته (ببدع ابتدعها فى الاسلام) البراءة من أسلافهم الصالحين»(٧٦) .

«واحتل هؤلاء الأشراف المراكز الرئيسية فى الكوفة وحصروا

(٧٥) الخوارج والشيعة ص ١٤٧، ١٤٨ .
(٧٦) أيضا ص ١٥٥ .

المختار فى القصر والمسجد وقطعوا الاتصال بينه وبين الخارج. وحتى يفسد عليهم تدبيرهم اقترح عليهم أن يبعثوا من قبلهم وفدا الى ابن الحنفية ويرسل هو من قبله وفدا اليه لسؤاله فى تأييد ابن الحنفية له، ولكن لم ينجح فى هذا التدبير(٧٧)».

ويقول:

كان المختار فى الذروة، وكان أيضا أمام الهاوية. فالشيعة العرب من الجيل القديم كانوا لا يثقون به حتى اعتزلوه جانبا»(٧٨).

وهذا القدر يكفى لبيان الصراع الذى حدث بين الشيعة فى التطور والتغير من المنهج الأول القديم، وبدأ الشيعة أكثرهم يعتقدون بمثل هذه الخرافات والسخافات عن الحمامات البيض بأنها ملائكة، وعن الكرسى المقدس والنبوءات وأخبار الغيب.

ثم حصلت التفرقة فى الشيعة مرة ثانية بعد قتل المختار:

ففرقة قالت بإمامة علي بن الحسين، وكان يكنى بأبى محمد ويكنى بأبى بكر وهى كنيته الغالبة عليه فلم تزل مقيمة على إمامته حتى توفى بالمدينة فى المحرم فى أول سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وخمسين سنة، وكان مولده فى سنة ثمان وثلاثين وأمه أم ولد يقال لها سلافة وكانت تسمى قبل أن تسبى جهانشاه وهى إبنة يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمز وكان يزدجرد آخر ملوك فارس.

(وفرقة) قالت انقطعت الإمامة بعد الحسين إنما كانوا ثلاثة أئمة مسمين بأسمائهم استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى اليهم وجعلهم حججاً على الناس وقوماً بعده واحداً بعد واحد فلم يثبتوا إمامة لأحد بعدهم.

(٧٧) أيضا ص ١٥٦.
(٧٨) الخوارج والشيعة ص ١٥٩.

(وفرقة) قالت إن الإمامة صارت بعد مضى الحسيْن فى ولد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا لنفسه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبى طالب واجبة إمامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم فمن تخلف عنه فى قيامه ودعائه الى نفسه من جميع الخلق فهو هالك كافر ومن ادعى منهم الإمامة وهو قاعد فى بيته مرخى عليه ستره فهو كافر مشرك وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بإمامته»(٧٩).

وفرق أخرى كثيرة، منها من قالت بإمامة أبناء الحسن ومن قالت بغيره.

ومنهم من ذهب الى إثبات النبوة بعد النبى ﷺ لغيره، ومنهم من أوجب الالهية لغير الله عز وجل كما ذكرهم ابن حزم فى فصله:

فالطائفة التى أوجبت النبوة بعد النبى ﷺ فرق، فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى الى علي، فغلط جبريل بمحمد.. وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن علي بن أبى طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم.

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة.

وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن

(٧٩) فرق الشيعة للنوبختي، الشيعى ص ٧٤.

الحنفية فقط. وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول أن يدعى النبوة لنفسه وسجع أسجاعا وأنذر بالغيوب عن الله تعالى واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بإمامة محمد بن الحنفية.

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد. . . وقالت فرقة منهم بنبوة منصور العجلى وهو الملقب بالكسف، وكان يقال إنه المراد بقول الله عز وجل: وإن يروا كسفا من السماء ساقطا. . . والقسم الثانى الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى لعنه الله أتوا الى علي بن أبى طالب فقالوا مشافهة أنت هو فقال لهم ومن هو قالوا أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الآن صح عندنا انه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفى ذلك يقول رضى الله عنه:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً

يريد قنبراً مولاه وهو الذى تولى طرحهم فى النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق أويفتتن بنا مخلوق فيما جل أودق فان محنة أبى الحسن رضى الله عنه من بين أصحابه رضى الله عنهم كمحنة عيسى ﷺ بين أصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعى الأحمر الكوفى وكان من متكلميهم وله فى ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكى والفياض لما ذكرنا، ويقولون ان محمداً رسول علي، وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمداً عليه السلام هو الله، تعالى الله عن كفرهم. . . وفرقة قالت بالإهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا إلى محمد عليه السلام ثم بالاهية علي ثم بالاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت

الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة فى ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي
بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار فى جموع عظيمة فى ازروارد
محرمين ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر! لبيك جعفر قال ابن عياش
وغيره كأنى انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلهم
فقتلهم واصطلمهم، ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد
بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية أبي
سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وابنائه بعده، ومنهم من قال بالاهية أبي
القاسم النجار القائم باليمن فى بلاد همدان المسمى بالمنصور، وقالت
طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا، وقالت
طائفة بالاهية أبى الخطاب محمد بن أبى زينب مولى بنى اسد بالكوفة
وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا
ان أبا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه
وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على
الناس بهذا الشيخ الذى ترون، ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع
الحنطة بالكوفة وعبدوه كان من أصحاب أبى الخطاب لعنهم الله
أجمعين، وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب
ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر، وقالت
طائفة بالاهية محمد بن علي ابن الشلمغانى الكاتب المقتول ببغداد ايام
الراضى وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور
كل هذه الفرق ترى الاشتراك فى النساء، وقالت طائفة منهم بالاهية
شباش المغيم فى وقتنا هذا حياً بالبصرة، وقالت طائفة منهم بالاهية أبى
مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار
القائم بثار أبى مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور

واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله ، وقالت الرنودية بالإهية أبى جعفر المنصور، وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله ابن الخرب الكندى الكوفى وعبدوه وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة الى ان ناظره رجل من متكلمى الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالاهيته ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وبقى عبد الله بن الخرب على الاسلام وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالحزبية ومن السبابية القائلين بالاهية علي ، وطائفة تدعى النصرية وقد غلبوا فى وقتنا هذا على جند الاردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولعن الحسن والحسين ابنى علي رضى الله عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضى الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا فى صورة الانسان وقولهم فى عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل علي رضى الله عنه عن علي ولعنة الله على ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى افضل اهل الارض واكرمهم فى الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة فهى بيده لا بيد أحد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى ، واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع ، وزاد بعضهم واتصل بالله

تعالى ، وبلغنا ان بنيسابور اليوم فى عصرنا هذا رجلا يكنى ابا سعيد ابا الخير هكذا معاً من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلى فى اليوم الف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال»(٨٠) .

وقد ذكر هذه الفرق جلها كل من الأشعرى والبغدادى والملطى والاسفرائينى وغيرهم من الأعلام .

وجل هذه الفرق حدثت بعد قتل الحسين رضى الله عنه وفى أيام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين .

الشيعة بعد علي بن الحسين

توفى علي بن الحسين وهو على ولاء كامل ووفاء تام لحكام بنى أمية وخلفائه حتى انه تجنب مساعدة ومناصرة كل من قام ضدهم فى المدينة أو فى مكة(٨١) .

الـزيــــديـة

وخلف علي بن الحسين أولادا كثيرين ، منهم محمد المكنى بأبى جعفر الباقر وزيد وعمر وغيرهم ، فاختلف الشيعة في أمر محمد بن علي وزيد بن علي، فقوم اتبعوا محمدا وقوم منهم زيدا كما يذكر المؤرخ الشيعى :

إن الزيدية قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب ، وخرج بالكوفة داعيا إلى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة ، وقال الزيدية بإمامة

(٨٠) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٨٣ وما بعد .
(٨١) انظر لذلك كتب التاريخ للشيعة والسنة .

ابنه يحيى من بعده، فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط، فخرج بالحجاز فقتل وعهد إلى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد، فوجه إليهم المنصور عساكره فقتل إبراهيم وعيسى... وذهب آخرون من الزيدية إلى أن الامام بعد يحيى هو أخوه عيسى، ونقلوا الإمامة فى عقبه، وقال آخرون منهم إن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذى فر الى المغرب ومات هناك، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس، وكان عقبه ملوك المغرب، وكان منهم الداعى الذى ملك طبرستان، وأخوه محمد، ثم قام بهذه الدعوة فى الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده(٨٢).

وأما النوبختى فكتب:

الزيدية، الأقوياء منهم والضعفاء فأما الضعفاء منهم فسموا العجلية، وهم أصحاب هارون سعيد العجلى، وفرقة منهم يسمون البترية، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حى وسالم بن أبى حفصة والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبى المقدام ثابت الحداد وهم الذين دعوا الناس الى ولاية علي عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبى بكر وعمر فهم عند العامة أفضل هذه الأصناف وذلك أنهم يفضلون علياً ويثبتون إمامة أبى بكر وينتقصون عثمان وطلحة والزبير ويرون الخروج مع كل من ولد علي عليه السلام يذهبون فى ذلك الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويثبتون لمن خرج من ولد علي الامامة عند خروجه ولا يقصدون فى الامامة قصد رجل بعينه حتى يخرج، كل ولد علي عندهم على السواء من أى بطن كان.

(٨٢) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ومثل ذلك فى شيعة دراسلام رسى لمحمد حسين الطباطبائى ط قم. ص٣٤.

وأما الأقوياء فمنهم أصحاب (أبى الجارود) وأصحاب (أبى خالد الواسطى) وأصحاب (فضيل الرسان) و«منصور بن أبى الأسود».

وأما (الزيدية) الذين يدعون (الحسينية) فانهم يقولون من دعا الى الله عز وجل من آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكان (علي بن أبى طالب) إماماً فى وقت ما دعا الناس وأظهر أمره ثم كان بعد «الحسين» إماماً عند خروجه وقبل ذلك إذا كان مجانباً لمعاوية ويزيد بن معاوية حتى قتل، ثم زيد بن علي بن الحسين المقتول بالكوفة، أمه أم ولد، ثم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأمه ريطة بنت أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم ابنه الآخر عيسى بن زيد بن علي، وأمه أم ولد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن وأمه هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن العزى بن قصى، ثم من دعا الى طاعة الله من آل محمد صلى الله عليه وآله فهو إمام»(٨٣).

ولقد ذكر الشهرستانى عند ذكر فرق الشيعة واختلافهم فى الآراء:

الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخى خرج بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا فى أيام المنصور، وقتلا على ذلك، وجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة. وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم

(٨٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٧ الى ٨٠.

تتلمذ فى الاصول واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل
ن جده علي بن أبى طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب
لجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب، وان احد
فريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال وصارت
صحابه كلها معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام
لأفضل، فقال: كان علي بن أبى طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة
رضت الى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة
فتنة وتطييب قلوب العامة، فان عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة
ان قريبا وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من
يش لم يجف بعد، والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هي،
ا كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد،
كانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد
لتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ. ألا ترى
، لما أراد فى مرضه الذى مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضى الله
ـه زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظا غليظا، فما كانوا يرضون
ير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له فى الدين وفظاظة على الأعداء
تى سكنهم أبو بكر رضى الله عنه.

وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم، فيرجع اليه
الأحكام ويحكم بحكمه فى القضايا. ولما سمعت شيعة الكوفة هذه
ـالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه
سميت رافضة وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذ
جه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجو
طاء على جده فى قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم فى القدر عل

غير ما ذهب إليه أهل البيت. ومن حيث إنه كان يشترط الخروج شرطا فى كون الإمام إماما حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بإمام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج.

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان... فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبد الملك، ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها، ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة. أمر بقتلهم المنصور ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش، فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد، فدعى الناس دعوة إلى الاسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية فى مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت فى الصحابة طعن الإمامية وهم أصناف ثلاثة: جارودية وسليمانية وبترية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد.

الجارودية أصحاب أبى الجارود زعموا أن النبى ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده علي والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف. وانما نصبوا أبابكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود فى هذه المقالة إمامه زيد بن علي فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد.

واختلف الجارودية فى التوقف والسوق، فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زيد

العابدين، ثم إلى زيد بن علي، ثم منه إلى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين. . . والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا فمنهم من قال: إنه لم يقتل وهو بعد حى وسيخرج فيملأ الأرض عدلا. ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة الى محمد بن القاسم بن على بن الحسين بن علي بن صاحب الطالقان. وقد أسر فى أيام المعتصم وحمل اليه فحبسه فى داره حتى مات.

ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل فى أيام المستعين وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن ظاهر حتى قال فيه بعض العلوية:

قتلت أعز من ركب المطايا   وجئتك استلينك فى الكلام
وعز عليّ أن ألقاك إلا   وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علي.

وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب. سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضى الله عنه. وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر»(٨٤)

وذكر القاضى النعمان الزيدية فى ارجوزته بقوله:

وقالت الطائفة الزيدية   مقالة لم تك بالمرضية
بأن كل قائم يقوم من   نسل الحسين بن علي والحسن
بسيفه يدعو الى التقدم   فهو الامام دون من لم يقم
منهم ومن كل امرىء فى وقته   مستترا قد انزوى فى بيته
واتبعوا زيدا على ما رتبوا   من الدعاوى، واليه نسبوا
حتى إذا قتل قاموا بعده   مع الحسين حين قام وحده

(٨٤) الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٧ وما بعد، ومثل ذلك فى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٨ وما بعد، ومقدمة ابن خلدون ص ١٩٧، الفرق بين الفرق ص ٢٩، والتبصير ص ٣٢، الفصل ج ٤ ص ١٧٩، ومقاتل الطالبيين للأصفهانى الشيعى ص ١٢٧ وما بعد.

واتبعوا يحيى بن زيد إذ بدا ... ثم تولوا بعده محمدا
أعنى ابن عبد الله من نسل حسن ... وكلهم ظل قتيلا مرتهن
فهؤلاء عندهم أئمة ... ومن يقوم بعدهم للأمة
وكل من سواهم الرعية ... كسائر الأمة بالسوية(٨٥)

وقبل أن ننتهى من الكلام فيهم نريد أن نذكر شيعة الكوفة وجبنهم وتخاذلهم القديم، الكوفة التى وضعوا فيها روايات مختلقة كثيره عن علي رضى الله عنه أنه قال:

كأنى بك ياكوفة تمدين مد الاديم العكاظى، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، وانى لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء الا ابتلاه الله بشاغل أو رماه بقاتل»(٨٦).

وقال:

انه يحشر من ظهورها يوم القيامة سبعون ألفا، وجوههم على صورة القمر. وقوله عليه السلام: هذه مدينتنا ومحلتنا، ومقر شيعتنا.

وقول جعفر بن محمد عليه السلام: اللهم ارم من رماها، وعاد من عاداها.

وقوله عليه السلام: تربة تحبنا ونحبها»(٨٧).

نذكر فى هذه الكوفة عبارتين عن إمامى الشيعة الكبار، فان المسعودى روى أن زيد بن علي بن الحسين الذى استشهد فى سنة احدى وعشرين ومائة أو اثنتين وعشرين ومائة:

شاور أخاه أبا جعفر بن علي ابن الحسين بن علي، فأشار عليه بأن لا يركن الى أهل الكوفة، اذ كانوا أهل غدر ومكر، وقال له: بها قتل

(٨٥) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص ٢١٤ ط مونتريال - كندا.
(٨٦) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٩٧.
(٨٧) أيضا ص ١٩٨.

جدك علي، وبها طعن عمك الحسن، وبها قتل أبوك الحسين، و أعلها شتمنا أهل البيت»(٨٨).

وأما الثاني فهو المفيد يكتب وهو يذكر زيد بن علي:

انـه لم يكـره قوم قط حد السيف الا ذلـوا. فلما وصـل الى اجتمع اليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب، ثم نقض وأسلموه فقتل، وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يع ولسان»(٨٩).

هذا كان أمر الزيدية(٩٠) وهؤلاء كانوا هم.

وهنـاك فرق أخـرى افـترقـوا وتفرعوا الى فرق وفروع أخرى غير الـزيـديـة مثـل الذين قالوا بامامة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن علي بن أبى طالب المقتول بها، «وزعموا أنه القائم وأنه الامام المهدى وأنه قتل، وقالوا إنه حى لم يمت مقيم بجبل يقال له العلمية وهو الجبل الذى فى طريق مكة، ونجد الحاجز عن يسار الطريق وأنت ذاهب الى مكة وهو الجبل الكبير وهو عنده مقيم فيه حتى يخرج لأن رسول الله صلى الله عليـه وآلـه قال: القـائم المهـدى اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابى، وكـان أخـوه «ابـراهيم بن عبد الله بن الحسن» خرج بالبصرة ودعا الى إمـامـة أخيه (محمد بن عبد الله) واشتدت شوكته فبعث اليه المنصور بالخيـل فقتـل بعد حروب كانت بينهم، وكان (المغيرة بن سعد) قال بهذا القـول لما توفى أبـوجعفـر محمـد بن على وأظهـر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعـة اصحـاب (أبى عبد الله جعفر بن محمد) عليهما السلام ورفضوه فزعم أنهم رافضــة وأنــه هو الــذى سماهم بهذا الاسم، ونصب

(٨٨) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦.

(٨٩) الارشاد المفيد ص ٢٦٩.

(٩٠) ولقد اختصرنا القول فى الزيدية لقصدنا اصدار كتاب مستقل - شاء الله.

أصحاب المغيرة إماماً وزعم أن الحسين بن علي أوصى اليه ثم أوصى اليه علي بن الحسين ثم زعم ان أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام وعلى آبائه السلام أوصى اليه فهو الامام الى أن يخرج المهدى وأنكروا إمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقالوا لا إمامة فى بنى علي بن أبى طالب بعد أبى جعفر محمد بن علي وأن الامامة فى (المغيرة بن سعيد) إلى خروج المهدى وهو عندهم (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) وهو حى لم يمت ولم يقتل فسموا هؤلاء (المغيرية) باسم المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسرى ثم ترقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم انه رسول نبي وأن جبرئيل يأتيه بالوحى من عند الله، فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فسأله عن ذلك فأقر به ودعا خالداً اليه فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه وكان يدعى أنه يحيى الموتى وقال بالتناسخ وكذلك قول أصحابه إلى اليوم»(٩١).

وطائفة اعتقدت الإمامة لمحمد الباقر بن علي زين العابدين، وقالوا إنه هو الإمام بعد أبيه بنص منه(٩٢).

وبعد وفاة محمد الباقر سنة أربعة عشرة بعد المائة اجتمعت الشيعة حول ابنه جعفر، البقية الذين بقوا على إمامته لأن البعض منهم رجعوا ومالوا عن إمامته كما ذكر النوبختي:

وأما الذين ثبتوا على إمامة علي بن أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين، ثم لعلى بن الحسين عليه السلام ثم نزلوا إلى القول بإمامة أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم عليه السلام فأقاموا على إمامته الى أن توفى غير نفر يسير منهم فانهم سمعوا رجلا منهم يقال له: «عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة

(٩١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٢، ٨٣، ٨٤.
(٩٢) الكافى للكلينى ج ١ ص ٣٠٤.

فأجابه فيها بجواب ثم عاد اليه فى عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول فقال لأبى جعفر هذا خلاف ما أجبتنى فى هذه المسألة العام الماضى فقال له ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشك فى أمره وإمامته فلقى رجلا من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له انى سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابنى فيها بجواب ثم سألته عنها فى عام آخر فأجابنى فيها بخلاف جوابه الأول فقلت له لم فعلت ذلك فقال فعلته للتقية وقد علم الله أنى ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به فلا وجه لاتقائه إياى وهذه حالي فقال له محمد بن قيس فلعله حضرك من اتقاه فقال له ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيرى لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به فى العام الماضى فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال لا يكون إماماً من يفتى بالباطل على شىء بوجه من الوجوه ولا فى حال من الأحوال ولا يكون إماماً من يفتى تقية بغير ما يجب عند الله ولا من يرخى ستره ويغلق بابه ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فمال بسببه الى قول البترية ومال معه نفر يسير»(٩٣).

الشيعة أيـام جعفر بن الباقر

وفى أيامه كمل التطور فى التشيع والتغير الجذرى والتبدل التام الذى شمل عامة الشيعة، والذى كان بدؤه بعد مقتل الحسين رضى الله عنه وعلى أيدى السبئية، فانهم استطاعوا بعد ستين سنة من قتله وبعد تسعين سنة من نشأتهم فصل طائفة من الناس عن المسلمين فى معظم

(٩٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٠، ٨١.

المعتقـدات وجـل العقائد، الطائفة الكاملة التى تنسب إلى التشيع لعلي وأولاده رضى الله عنهم بجميــع فرقهــا وطـوائفهـا مع اختـلاف القـادة والزعماء واتجاهاتهم ومطامعهم، أغراضهم وأهدافهم، من حيث استغلوا النقمـة المتـوارثة والغضب الشديد المتنقل من الآباء إلى الأبناء من المحن والآلام والأوجـاع نتيجـة معـارضـة الحكام ومخالفة ولاة الأمور، والمقاتلة ضدهم والخـروج عليهم والتشريد والتقتيل، زيادة على ذلك الدسائس والمؤامرات التى تدبر ويحكم نسيجها من وراء الأستار والتسميم الذهنى والفكـرى، والاختـلاط مع الشعوب الأجنبية بأفكارها وآرائها، المقهورة والمهـزومـة والمتغلبـة عليهـا وعلى بلادهـا وأمورها، والموتورة على الولاة وعساكرها الغازية المنصورة وجيوشها المظفرة المتغلبة، ثم واجتماع الفرس والمـوالى من البـابليـين والعـاشوريين والكلدانيين وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة والثقافات الراقية ـ حسب زعمهم ـ واحتياجهم إلى منظمــة ثائـرة على الحكم والحكـام والنـاقمـة على كل ما صدرمنهم أو يصـدرمن الآراء والأفكـاروحتى العقائد والمعتقدات. هذه الأشياء كلها جعلت التشيـع يتقلب فى قالب جديـد، والشيعة تتكون كتلة مختلفة عن الحكـام والآخـذين بزمـام الأمـور اختـلافا كاملا فى جميع ما يذهبون اليه ويعتقـدون به، وتشهـد على ذلك رواية مروية عن جعفر أنه قال إن كل حكم يخالف العامة يؤخذ به ويترك ما يوافقهم، فسأله سائل:

جعلت فداك، أرأيت ان كان فقيهـان عرفـا حكمـه من الكتـاب والسنـة، ووجـدنـا أحـد الخـبرين موافقا للغامة والآخر مخالفا لهم، بأى الخبرين يؤخذ؟

قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فان وافقهما الخبران جميعا؟

قال : ينظـر إلى ما هم إليـه أميـل ، حكـامهم وقضـاتهم فيـترك ويؤخذ بالآخر»(٩٤).

فيجب أن يكـون هنـاك خلافـا ويجب أن تكـون مخالفـة ولـوعلى حسـاب القـرآن والسنـة ، ولـوعلى حسـاب الدين والمذهب. ولما كانت الأفكار السبئية والعقائد المختلقة منهم تناوىء الإسلام وتعاليمه، وكانت تلك العقـائـد والأفكار المختلقة المخترعة صادرة من الذين ادعوا التشيع لعـلي فكـان الأجدر والأليق أن تتبنى ويتمسك بها لأنها تخالف معتقدات العامة وصدرت من الذين انتحلوا حب علي ومودته.

وبـدأ الشيعـة يتجـاهـرون وبدأت الشيعة تصوغ وتصنع فى ضوء العقـائـد السبئيـة المسائل والفتاوى فى العبادات والمعاملات، وتشرع فى العقـائـد والمعـامـلات، وتنسبهـا الى أئمـة أهل بيت علي رضى الله عنه لتأسيس مذهب جديد وتكوين دين مستقل، له تشريعه وفقهه، وأصوله وأسسـه، وقـواعـده وقوانينه، منفصلة عن الدين الذى جاء به محمد ﷺ وقـدمـه للبشـر كافـة، واعتنقـه أول من اعتنق به أصحابه الأخيار ورفاقه الكـرام البـررة، ونقلوه عنـه وتعـاليمـه التى أعطـاهـا ايـاهم من القرآن وارشـادات الـرسـول النـاطق بالـوحى. وصـار التشيع قائما على أقاويل الـرجـال وأفعـالهم سواء صدرت هذه الأقـوال منهم أم لا، ولكنها تكفى بأنها نسبت اليهم، وإن عارضها أو ناقضها أى هذه الأقوال والأفعال قول وفعل ثابت عنهم قالوا : لم يكن هذا الا تقية : وان خالفها الكتاب المنزل من السماء قالـوا : ان الكتاب حصل فيه التغيير والتبديل، وان عارضتها السنـة الثـابتـة قالـوا : انهـا لم تنقـل الا عن المـرتـدين ـ عياذا بالله ـ لأن أصحـاب الـرسول كلهم ارتدوا بعده الا ثلاثة(٩٥) فالقرآن مغير ومبدل،

(٩٤) الاصول من الكافى، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٨.
(٩٥) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة والسنة) و (الشيعة وأهل البيت) و (الشيعة والقرآن).

والحـديث رواتـه كفـرة مرتـدون، فلا عبرة بهما. لأن القـرآن والحـديث يناصران العامة ونحن على خلاف ما يقوله العامة.

ولأجـل ذلـك نبـه أولاد علي رضي الله عنه، الطيبون منهم، على كذب وافـتراء هؤلاء المنتحلين المـدعـين حبهم كما روى عن جعفـر بن الباقر ـ الامام السادس المعصوم عند الشيعة ـ أنه قال:

لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا»(٩٦).

وعنه أيضا أنه قال:

إنّـا أهـل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنـا بكـذبـه عنـد النـاس، كان رسول الله أصدق الناس لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسـول الله، وكـان الـذي يكـذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) قد ابتلى بالمختار، ثم ذكر أبو عبـد الله الحـارث الشـامى والبنـان فقـال: كانـا يكـذبـان على علي بن الحسـين(ع)، ثم ذكـر المغـيرة بن سعيـد وبـزيعـا والسرى وأبا الخطاب ومعمـرا وبشـار الاشعرى وحمزة اليزيدى وصائب النهدى ـ أى أصحابه ـ فقال: لعنهم الله، انا لا نخلو من كذاب يكذب علينا كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد»(٩٧).

وعن حفيـده علي الرضا ـ الإمام الثامن المعصوم حسب زعمهم ـ أنـه قال: كان بنـان يكـذب على علي بن الحسـين (ع) فأذاقـه الله حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على ابن جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحـديـد، وكـان محمـد بن بشـر يكـذب على ابن الحسن علي بن موسى

(٩٦) رجال الكشى ص ٢٥٩ تحت ترجمة أبى الخطاب.
(٩٧) أيضا ص ٢٥٧، ٢٥٨.

الـرضى (ع) فأذاقـه الله حر الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبى عبد الله (ع) فأذاقه الله حر الحديد، والذى يكذب علي محمد بن الفرات[٩٨].

وعن أبى جعفر محمد الباقر أنه قال:

لعن الله بنـان البيـان، وان بنـان لعنه الله كان يكذب على أبى، أشهد أن أبى كان عبدا صالحا»[٩٩].

وبـدءوا يتـبرءون منهم ويمنعـون متبعيهم من الوقوع فى شراكهم وحبائلهم كما نقل الكشى عن جعفر أنه ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبى الخطاب فقيل: إنه صار اليهم يتردد وقال فيهم:

وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله، قال هو الامام، فقال أبو عبد الله (ع): لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبدا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئا قط، وإن عزيرا جال فى صدره ما قالت اليهود فمحى الله اسمه من النبوة. والله لو أن عيسى أقر بما قالت فيه النصارى لأورثه الله صمما الى يوم القيـامـة، والله لو أقـررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتنى الأرض، وما أنا الا عبد مملوك لا أقدر على ضر شىء ولا نفع شىء.

محمـد بن مسعـود قال: حدثنى علي بن محمد قال: حدثنى محمد بن أحمـد بن يحيى عن محمـد بن عيسى عن زكـريـا عن ابن مسكان عن قاسم الصير فى قال: سمعت أبـا عبد الله (ع) يقول: قوم يزعمون أنى لهم امام، والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله كلما سترت سترا هتكوه هتك الله سترهم، أقول كذا يقولون انما يعنى كذا، أنا إمام من أطاعنى»[١٠٠].

(٩٨) أيضا ص ٢٥٦.
(٩٩) رجال الكشى ص ٢٥٥.
(١٠٠) رجال الكشى ص ٢٥٤، ٢٥٥.

ولكن باءت الجهود المخلصة بالفشل وزادت الشيعة فى غلوائهم وغيهم لكثرة ما وجد فى ذلك الزمان من الكذابين ومن المنتحلين مؤدة أهل البيت والمدعين موالاتهم ومشايعتهم من أبى الخطاب وأبى البصير المرادى وزرارة بن أعين وجابر الجعفى ومغيرة بن سعيد والهشامين وأبى الجارود وغيرهم، فكثرت الآراء وتشعبت، وزادت الفرق وتفرقت، ذهب بعضها الى المذاهب البعيدة وزاد حتى على السبئية مؤسسي بنيانها وواضعى نواتها، وقربت البعض منها واحصرت على تلقى ما لقنته السبئية وألقته اليهم، وقلل الأخذ بعض منها وأكثر البعض، ولقد أقر بذلك مؤرخ شيعى حيث قال:

ولم يتمكن الصادق ـ فى تلك الظروف القاسية التى ظهر فيها الزيدية ـ أن يناظرهم غالبا فى شىء من أمر الإمامة. لأنه كان يتكتم فيها، ويتقى ملوك عصره، ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة، ومع تكتمه الشديد قد أحضره المنصور وقال له ـ قتلنى الله إن لم أقتلك أتلحد فى سلطانى؟

فقال له الصادق (ع): والله ما فعلت ولا أردت. وإن كان بلغك فمن كاذب»[١٠١].

فمن الذين اختلفوا أول الأمر على جعفر وأخذوا عليه فى حياته من ذكرهم النوبختى:

وأما الفرقة الأخرى من أصحاب أبى جعفر محمد بن علي عليه السلام فنزلت إلى القول بإمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فلم تزل ثابتة على إمامته أيام حياته غير نفر منهم يسير فانهم لما اشار جعفر بن محمد إلى إمامة ابنه اسمعيل ثم مات اسمعيل فى حياة أبيه

(١٠١) الشيعة فى التاريخ ص ١٠٧، ١٠٨.

رجعوا عن إمامة جعفر وقالوا كذبنا ولم يكن إماماً لأن الأمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون وحكموا على جعفر انه قال ان الله عز وجل بداله فى إمامة اسمعيل فأنكروا «البداء» والمشيئة من الله وقالوا هذا باطل لا يجوز ومالوا الى مقالة (البترية) ومقالة سليمان بن جرير وهو الذى قال لأصحابه بهذا السبب أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية، فأما البداء فان أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها فى العلم فيما كان ويكون والاخبار بما يكون فى غد وقالوا لشيعتهم أنه سيكون فى غد وفى غابر الأيام كذا وكذا فان جاء ذلك الشىء على ما قالوه قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التى علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشىء الذى قالوا انه يكون على ما قالوا لشيعتهم بدا لله فى ذلك بكونه، وأما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم فى الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد فى يوم واحد ولا فى شهر واحد بل فى سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة فوقع فى أيديهم فى المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة وفى مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط فى جواباتهم وسألوهم عنه وانكروه عليهم فقالوا من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك الينا ونحن نعلم بما يصلحكم وما فيه

بقـاؤكم وكف عدوكم عنـا وعنكم، فمتى يظهـر من هؤلاء على كذب ومتى يعـرف لهم حق من باطـل، فمال الى سليـمان بن جريـر هذا لهذا القول جماعة من أصحاب أبى جعفر وتركوا القول بإمامة جعفر عليه السلام»(١٠٢).

وهنـا آخـران من أهل البيت ادعيا الإمامة فى حياة جعفر وهما عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، وأمـه فاطمـة بنت الحسـين بن علي، وهو الذى كان يقول: ولدنى رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين»(١٠٣).

والذى قال عنه الاصفهانى الشيعى:

كان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم، وذا الكثير منهم فضلا، وعلما وكرما»(١٠٤).

والثـانى ابنـه محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، هو الذى كتب فيه الأصفهانى الشيعى:

وكـان محمـد بن عبـد الله بن الحسن من أفضـل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه فى زمانه، فى علمه بكتاب الله، وحفظه له، وفقهه فى الدين، وشجاعته، وجوده، وبأسه، وكل أمر يجمل بمثله، حتى لم يشك أحد أنه المهـدى، وشـاع ذلـك له فى العامة، وبايعه رجال من بنى هاشم جميعا، من آل أبى طالب، وآل العباس، وسائر بنى هاشم»(١٠٥).

وقـد ذكـر الكلينى فى (كافيه) ادعاءهما الإمامة زمن جعفر ودعوتهما إياه إليهما حيث ذكر أن عبد الله بن الحسن دخل على جعفر بن الباقر وقال:

(١٠٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٤ الى ٨٧.
(١٠٣) مقاتل الطالبيين للاصفهانى ص ١٨١.
(١٠٤) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج ١ ص ٢٠٥، مقاتل ص ١٨٠.
(١٠٥) مقاتل ص ٢٣٣.

قد علمت جعلت فداك أن السن لى عليك وأن فى قومك من هو أسن منك ولكن الله عز وجل قد قدم لك فضلا ليس هو لأحد من قومك وقد جئتك معتمداً لما أعلم من برك ، واعلم ـ فديتك ـ إنك إذا أجبتنى لم يتخلف ، عنى أحد من أصحابك ولم يختلف علي اثنان من قريش ولا غيرهم ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إنك تجد غيرى أطوع لك منى ولا حاجة لك فى ، فو الله إنك لتعلم أنى أريد البادية أوأهم بها فأثقل عنها ، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسى ، فاطلب غيرى وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتنى ، فقال له : إن الناس مادون أعناقهم إليك وإن أجبتنى لم يتخلف عني أحد ولك أن لا تكلف قتالا ولا مكروها ، قال : وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا ، فقال أبى : جعلت فداك ما تقول؟ فقال : نلتقى إن شاء الله ، فقال : أليس على ما أحب؟ فقال : على ما تحب إن شاء الله من إصلاحك . . . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : يا ابن عم إني أعيذك بالله من التعرض لهذا الأمر الذى أمسيت فيه ؛ وإني لخائف عليك أن يكسبك شرا ، فجرى الكلام بينهما ، حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد وكان من قوله : بأى شيء كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : رحم الله الحسن ورحم الحسين وكيف ذكرت هذا؟ قال : لأن الحسين عليه السلام كان ينبغى له إذا عدل أن يجعلها فى الأسن من ولد الحسن . . فقام أبى يجر ثوبه مغضبا فلحقه أبو عبد الله عليه السلام ، فقال له :

أخبرك أنى سمعت عمك وهو خالك يذكر أنك وبنى أبيك ستقتلون ، فان أطعتنى ورأيت أن تدفع بالتى هى أحسن فافعل ، فوالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه لوددت أنى فديتك بولدى وبأحبهم الى بأحب أهل بيتى

الي، ومـا يعـدلك عندي شيء، فلا ترى أني غششتك، فخرج أبي من عنـده مغضبـا أسفـا . . . ثم أتى محمد بن عبد الله بن حسن، فأخبر أن أبـاه وعمـومته قتلوا ـ قتلهم أبو جعفر ـ إلّا حسن بن جعفر وطباطبا وعلي بن إبـراهيم وسليـمان بن داود بن حسن وعبـد الله بن داود، قال: فظهـر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعـوه واستـوثق النـاس لبيعتـه ولم يختلف عليـه قرشي ولا أنصـاري ولا عربي، قال: وشـاور عيسى بن زيـد وكـان من ثقاته وكان على شرطه، فشـاوره في البعثـة إلى وجـوه قومـه، فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعـاء يسـيراً لم يجيبـوك، أو تغلظ عليهم، فخلني وإياهم فقال له محمد: امض إلى من أردت منهم، فقال:

ابعث إلى رئيسهم وكبـيرهم ـ يعني أبـا عبـد الله جعفر بن محمد عليـه السـلام ـ فإنـك إذا أغلظت عليه علموا جميعا أنك ستمرهم على الطريق التي أمررت عليها أبا عبد الله عليه السلام، قال: فوالله ما لبثنا أن أتى بأبي عبد الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيـد: أسلم تسلم: فقـال له عبـد الله عليـه السـلام: أحدثت نبوة بعد محمـد صلى الله عليـه وآلـه؟ فقـال له محمـد: لا ولكن بايـع تأمن على نفسـك ومـالـك وولـدك ولا تكلفن حربـا، فقـال له أبـو عبـد الله عليه السلام: ما فيّ حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أبيك وحذرته الذي حاق به ولكن لا ينفـع حذر من قدر، ياابن أخي عليـك بالشبـاب ودع عنـك الشيوخ، فقال له محمد: ما أقرب ما بيني وبينك في السن، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إني لم أعازّك ولم أجيء لأتقدم عليك في الذي أنت فيه، فقال له محمد: لا والله لابد من أن تبايع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما فيّ ياابن أخي طلب ولا حرب وإني لأريد الخروج إلى البادية

فيصـــدني ذلـك ويثقـل علي حتى تكلمني فى ذلـك الأهـل غير مرة ، ولا يمنعني منه إلا الضعف ، والله والرحم أن تدبر عنّا ونشقى بك ، فقال له : ياأبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق ـ يعنى أبا جعفر ـ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : وما تصنع بي وقد مات؟ قال : أريد الجمال بك ، قال : ما إلى ما تريـد السبيـل ، لا والله مامـات أبـو الدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم قال : والله لتبايعنى طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد فى بيعتك ، فأبى عليـه إبـاء شديـداً وأمـر به إلى الحبس ، فقال له عيسى بن زيد : أما إن طرحنـاه فى السجن وقـد خرب السجن وليس عليـه اليوم غلق ، خفنا أن يهرب منه ، فضحك أبو عبد الله عليه السلام ، ثم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العـلي العظيم أوتراك تسجنني؟ قال : نعم والـذى أكـرم محمـد صلى الله عليـه وآلـه بالنبوة لأسجنتك ولأشددّن عليك ، فقال عيسى بن زيد : احبسوه في المخبأ ـ وذلك دار ريطة اليوم ـ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أمـا والله إني سأقـول ثم أصـدّق ، فقـال له عيسى بن زيد : لو تكلمت لكسـرت فمـك ، فقـال له أبـو عبـد الله عليـه السلام : أما والله ياأكشف ياأزرق لكأني بك تطلب لنفسـك جحـراً تدخل فيه وما أنت في المـذكـورين عنـد اللقاء وإني لأظنك إذا صفق خلفك ، طرت مثل الهيق النافر، فنفر عليه محمد بانتهار: احبسه وشدد عليه واغلظ عليه ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الـوادى وقـد حمل عليـك فارس معلم فى يده طرّادة نصفهـا أبيض ونصفهـا أسـود ، على فرس كميت أقـرح فطعنـك فلم يصنع فيك شيئا وضـربت خيشـوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبى عمار الـدئليـين عليـه غديـرتان مضفورتان ، وقد خرجتا من تحت بيضة ، كثير شعـر الشـاربـين ، فهو والله صاحبك ، فلا رحم الله رمّته ، فقال له

محمد: ياأبا عبد الله، حسبت فأخطأت وقام إليه السراقي بن سلخ الحوث، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد»(١٠٦).

هذا ما حصل فى حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة وتشعبهم فى فرق متعددة.

الشيعة بعد وفاة جعفر

وأما بعد وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة حصل الاختلاف العظيم، وافترق الشيعة الى فرق عديدة كثيرة، ولقد عدها الكاتب الشيعى المشهور النوبختى. وهو الأوائل من كتب فى الفرق من القوم ست فرق، فقال:

فلما توفى أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام افترقت الشيعة بعده ست فرق... ودفن فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده فى البقيع... وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر وأمها اسماء(١٠٧) بنت عبد الرحمن بن أبى بكر(١٠٨).

والفرق الستة التى عدّها، الأولى منها:

الناووسية: وهى التى قالت إن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلى أمر الناس وأنه هو المهدى، وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال: ان رأيتم رأسى قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فانى صاحبكم وأنه قال لهم: ان جاءكم من يخبركم عنى أنه مرضنى وغسلنى وكفننى فلا تصدقوه، فانى صاحبكم صاحب السيف، وهذه الفرقة

(١٠٦) الاصول من الكافى، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٥٨ وما بعد.

(١٠٧) وعلى ذلك كان يقول: لقد ولدنى أبو بكر مرتين (كشف الغمة للأربلى الشيعى ج ٢ ص ١٦١.

(١٠٨) فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٨.

تسمى الناووسية وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له : فلان بن فلان الناووس»(١٠٩).

وزعم قوم أن الذى يتبدى للناس لم يكن جعفرا، وانما تصور الناس فى تلك الصورة، وانضم الى هذه الفرقة قوم من السبئية فزعموا جميعا أن جعفرا كان عالما بجميع معالم الدين من العقليات والشرعيات، فاذا قيل للواحد منهم : ما تقول فى القرآن أوفى الرؤ ية أوفى غير ذلك من أصول الدين أوفى فروعه؟ يقول : أقول فيها ما كان يقوله جعفر الصادق، يقلدونه»(١١٠).

هذا ما حصل فى حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة وتشعبهم فى فرق متعددة.

والفرقة الثانية : السمطية أو الشميطية : وهم القائلون إن الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه محمد بن جعفر، وذلك لأن أباه جعفر وصي له فى صباه، وكان يقول : إنه يشبه أبى محمد الباقر وجدى رسول الله، فجعل هؤلاء الإمامة فى محمد بن جعفر وولده من بعده.

وهذه الفرقة تسمى السمطية وتنسب الى يحيى بن أبى السميط أو بى الشميط»(١١١).

والجدير بالذكر أن محمد بن جعفر هذا خرج أيام المأمون. ودعا لناس الى نفسه :

وبايع له أهل المدينة بامرة المؤمنين»(١١٢).

---

(١٠٩) أيضا ص ٨٧. ٨٨.

(١١٠) الفرق بين الفرق ص ٦١، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٧، اعتقادات فرق المسلمين ركين للرازى ص ٥٣، الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢، ٣، الحور العين ص ١٦٢، التبصير سفرائينى ص ٤٠، الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠، الخطط للمقريزى ص ١٧٤.

(١١١) انظر فرق الشيعة ص ٩٨، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٩، الفرق بين الفرق ٦١، ٦٢. اعتقادات للرازى ص ٥٤، التبصير ص ٤١، الحور العين ص ١٦٣، الملل لابن حزم ص ٣.

(١١٢) مقاتل للاصفهانى ص ٣٥٧، الارشاد ص ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٤.

فحصلت بينــه وبـين جيـوش المأمـون بقيـادة هارون بن المسيب معارك عديدة.

ثم وجـه اليـه هارون خيلا فحاصرته فى موضعه، لأنه كان موضعا حصينـا لا يوصـل اليـه، فلما بقـوا فى الموضع ثلاثا ونفد زادهـم وماؤهم، جعل أصحابه يتفرقون ويتسللون يمينا وشمالا، فلما رأى ذلك لبس بردا ونعـلا، وصـار الى مضـرب هارون فدخل اليه وسأله الأمان لأصحابه، ففعل هارون ذلك»(١١٣).

وذكـر المفيـد بأنـه كان يرى رأى الـزيـديـة فى الخـروج بالسيف، ولذلك اتبعه كثير من الزيدية الجارودية(١١٤)

والفـرقـة الثـالثـة: الفطحيـة: فلقـد ذكـرها الكشى تحت عنوان الفطحية بقوله:

هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد، وسموا بذلك لأنه قيـل إنـه كان أفطـح الـرأس، وقـال بعضهم: كان أفطـح الرجلين وقال بعضهم: إنهم نسبـوا الى رئيس من أهـل الكـوفـة يقال له: عبد الله بن فطيـح، والـذين قالـوا بإمامته عامة مشائخ العصابة وفقهائها، مالوا الى هذه المقـالـة فدخلت عليهم الشبهـة لما روى عنهم عليهم السـلام انهم قالوا: الإمامة فى الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام... ثم إن عبد الله مات بعـد أبيـه بسبعـين يومـا، فرجـع البـاقون إلا شاذا منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبى الحسن موسى (ع) ورجعوا الى الخبر الذى روى: إن الإمامة لا يكون فى الآخوين بعد الحسن والحسين (ع)»(١١٥)

وذكر مثل هذا النوبختى الشيعى وزاد:

ومـال الى هذه الفـرقة جل مشائخ الشيعة وفقهائها، ولم يشكوا فى

(١١٣) مقاتل ص ٥٤٠، الارشاد ص ٢٨٦.

(١١٤) الارشاد للمفيد ص ٢٨٦.

(١١٥) رجال الكشى ص ٢١٩.

ان الإمامة فى محمد بن جعفر وفى ولده من بعده، فمات عبد الله ولم يخلف ذكرا»(١١٦).

وأما المفيد فقال:

وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم يكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده فى الإكرام، وكان متهما بالخلاف على أبيه فى الاعتقاد ويقال انه كان يخالط الحشوية ويميل الى مذهب المرجئة، وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبى عبد الله عليه السلام، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك الى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبينوا ضعف دعواه وقوة أمر أبى الحسن (ع) ودلالة حقه وبراهين إمامته وأقام نفر يسير منهم على أمرهم، ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر، الطائفة الملقبة بالفطحية»(١١٧).

وقد ذكرهم الأربلى أيضا فى كشف الغمة(١١٨).

ويسمون العمارية أيضا كما ذكره الأشعرى فى (مقالات الاسلاميين) نسبة الى رئيس لهم يعرف بعمار(١١٩).

والجدير بالذكر أن الشيعة يروون روايات عن أئمتهم المعصومين حسب زعمهم بأن الإمامة فى أكبر الأبناء كما روى الكلينى:

عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: «ان الأمر فى الكبير ما لم تكن به عاهة»(١٢٠).

وبذلك استدل على إمامته «واحتج بأنه أكبر الاخوة الباقين فاتبعه

(١١٦) فرق الشيعة للنوبختى ص ٩٩.
(١١٧) الارشاد ص ٢٨٥، ٢٨٦.
(١١٨) ج ٢ ص ٣٩٣.
(١١٩) ج ١ ص ٩٩.
(١٢٠) كتاب الحجة من الكافى فى الاصول ج ١ ص ٣٥٧.

على قوله جماعة من أصحاب أبى عبد الله عليه السلام»[١٢١].

ثم ومع هذا كيف يعدلون عنه ولم يكن به عاهة؟

اللهم الا أنهم يذكرون أنه كان يخالف أباه فى العقائد[١٢٢].

ونريد أن نلفت الأنظار الى أن ابن جعفر الآخر وهو محمد أيضا كان منكرا لإمامة أبيه جعفر ومخالفا لأفكاره وآرائه كما ذكره الطبرسي والمفيد[١٢٣].

والفرقة الرابعة: الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر ـ وأنكروا إمامة عبد الله وخطؤوه في فعله وجلوسه مجلس أبيه وادعائه الإمامة[١٢٤].

فسنذكر تفاصيل واختلافات هؤلاء فيما بعد تحت أيام موسى الملقب بالكاظم.

الإسماعيلية

وأما الفرقة الخامسة والسادسة التى حدثت ونشأت من بين الشيعة فهى الاسماعيلية فأولا نذكرهم من الشيعة أنفسهم، فيقول النوبختى:

وفرقة زعمت أن الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت اسماعيل فى حياة أبيه وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول الا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت،

(١٢١) الارشاد للمفيد ص ٢٨٥.

(١٢٢) كشف الغمة للأربلى ج ٢ ص ٣٩٣.

(١٢٣) انظر اعلام الورى ص ٢٩١، الارشاد للمفيد ص ٢٨٦.

(١٢٤) فرق الشيعة للنوبختى ص ١٠٠.

وهذه الفرقة هي الاسماعيلية الخالصة»(١٢٥).

ثم لهم فرق كثيرة نذكر بعضها بالاختصار، فذكر المفيد تحت عنوان: أولاد أبي عبد الله عليه السلام وعددهم وأسماؤهم وطرف من اخبارهم:

وكان إسماعيل أكبر الاخوة وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والاشفاق عليه وكان قوم من الشيعة يظنون انه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته سناً ولميل أبيه اليه وإكرامه له فمات في حياة أبيه عليه السلام بالعريض وحمل على رقاب الرجال الى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

وروى أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيما وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده وإزالة الشبهة عنهم في حياته.

ولما مات إسماعيل (رحمه الله) انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك فيعتقده من أصحاب أبيه وأقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصة أبيه ولا من الرواة عنه وكانوا من الأباعد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام وافترق الباقون فريقين فريق منهم رجعوا عن حياة اسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنهم ان الإمامة كانت في أبيه وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة اسماعيل وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم

(١٢٥) أيضا ص ٨٨، ٨٩.

أحـد يومى اليـه ، وهـذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية والمعروف منه
الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل فى ولده وولد ولده الى آخ
الزمان»(١٣٦) .

وذكـر مثـل ذلـك فى كتب الشيعـة الأخـرى مثـل (شرح ابن أب
الحديد) و(أعيان الشيعة) و(الشيعة فى التاريخ) .

ولقـد ذكـر الإسـماعيليـة من السنـة كل من الأشعـرى والبغدادى
والأسفـرائينى والـرازى والشهرستانى وغيرهم من المتقدمين، كما ذكره
كثير من المتأخرين السنة ولكن نذكر ما ذكره ابن خلدون، فيقول :

فأمـا الإسـماعيليـة فقـالـوا بإمامة إسماعيل الإمام بالنص من أبي
جعفر، وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبيه إنما هو بقا
الإمـامـة فى عقبـه كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا : ث
انتلقت الإمـامـة من إسـماعيـل إلى ابنـه محمـد المكتـوم وهو أول الأئم
المستورين، لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعا
ظاهـرين إقـامـة للحجـة على الخلق، وإذا كانت له شوكـة ظهـر وأظه
دعـوتـه ، قالـوا : وبعـد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محم
الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدى الذى أظهر دعو
أبـو عبـد الله الشيعى فى كتـامـة وتتـابع الناس على دعوته ثم أخرجه م
معتقله بسجلماسـة وملك القـيروان والمغرب وملك بنوه من بعد مصر ك
هو معـــروف فى أخبـــاراهم ، ويسمى هؤلاء نسبـــةً إلى القـول بإمـام
إسـماعيـل ويسمـون أيضـا بالبـاطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أ
المستـور، ويسمـون أيضا الملحدة لما فى ضمن مقالتهم من الإلحاد، وله
مقـالات قديمـة ومقـالات جديـدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح

(١٣٦) الارشاد للمفيد ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

آخـر المـائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق»(١٢٧).

وذكرهم الشهرستانى بقوله:

الإسماعيلية قالوا: إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده إلا أنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه، فمنهم من قال: لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس، وعقد محضرا وأشهد عليـه عامـل المنصور بالمدينة. ومنهم من قال: الموت صحيح، والنص لا يرجع القهقرى. والفائدة فى النص بقاء الإمامة فى أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل، وهؤلاء يقال لهم: المبـاركيـة، ثم منهم من وقف على محمـد بن إسـماعيل وقال برجعته بعد غيبتـه، ومنهم من ساق الإمـامـة فى المستـورين منهم، ثم فى الظـاهرين القائمين من بعدهم»(١٢٨).

ثم ساق أدلتهم لإثباتهم إمامة إسماعيل بن جعفر بقوله:

إسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص فى بدء الأمر، قالوا: لم يتـزوج الصـادق على أمـه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله فى حق خديجة وكسنة علي فى حق فاطمة، وذكرنا اختلافهم فى موته فى حال حياة أبيه، فمنهم من قال: إنه مات، وإنما فائد النص عليه انتقـال الإمـامـة منه إلى أولاده خاصة كما نص موسى الى هارون عليهما السـلام، ثم مات هارون فى حال حيـاة أخيـه، وانما فائدة النص انتقال الإمامة منه الى أولاده فإن النص لا يرجع القهقرى والقول بالبدأ محال، ولا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة.

(١٢٧) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١.
(١٢٨) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٥.

ومنهم من قال: إنـه لم يمت لكن أظهـر موتـه تقيـة عليـه حتى لا يقصد بالقتل، ولهذا القول دلالات: منها أن محمد كان صغيرا وهو أخوه لأمه مضى الى السرير الذى كان إسماعيل نائما عليه وزفع الملاءة فأبصره وهو قد فتح عينه وعدا الى أبيه مفزعا وقال: عاش أخى عاش أخى، قال والده: إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة قالوا: وما السبب فى الإشهاد على موته؟. وعن هذا لما رفع إلى المنصور أن اسماعيل بن جعفر رؤى بالبصـرة مر على مقعـد فدعى فبرىء باذن الله بعث المنصـور الى الصادق أن إسماعيل فى الاحياء، وانه رؤى بالبصرة؟ أنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالـوا: وبعـد إسـماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدىء منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسير ون فى البـلاد ويظهـرون الـدعـاة جهـرا، قالـوا: ولن تخلو الأرض قط من إمام حيّ، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن يكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعـاتـه ظاهـرين، وقـالوا: إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبـوع والسـماوات السبـع والكواكب السبع، والنقباء تدور أحكامهم على أثنى عشر، قالوا: وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقبـاء للأئمـة، ثم بعـد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدى والقـائم بأمـر الله وأولادهـم نصا بعد نص على إمام بعد إمام. ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن فى عنقـه بيعـة إمام مات ميتة جاهلية... وأشهر ألقابهم الباطنية، وانـما لزمهـم هذا اللقب لحكمهم بأن لكـل ظاهـر باطنـا، ولكـل تنـزيلا تأويـلا، ولهم ألقـاب غير هذا من القـرامطـة والمـزدكيـة والملحدة، وهم

يقولون : نحن اسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم . . . ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الالزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع ، وكان بدؤ صعوده الى قلعة ألموت فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر الى بلاد إمامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه ، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين إمام صادق قائم فى كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة وهو أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام»(١٢٩) .

القرامطة

وتفرعت على الاسماعيلية فرق عديدة ، المشهور منها :

القرامطة المنسوبون إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه ، فى سنة أربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ ، وكان ظهوره بسواد الكوفة ، فاشتهر مذهبه بالعراق ، وقام ببلاد الشام صاحب الخال ، والمدثر المطوق ، وقام أبو سعيد الجنابى بالبحرين ، وعظمت دولته ودولة بنيه حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين ، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض .

فدخل جماعة من الناس فى دعوتهم ، ومالوا إلى قولهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام ، وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم ، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا .

وقيل غير ذلك فى تاريخ ظهور حمدان هذا وفى تسمیته بقرمط ، يقول الوطواط «ظهر فى أيام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨ هـ من سواد الكوفة

(١٢٩) الملل والنحل ج ٢ ص ٣٢ ، ٣٣ .

رجل أحمر العينين يسمى كرميته، فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط، ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة، وذكر أن المعز الفاطمى وقائده جوهر قد حاربا القرامطة حروباً دامية سنة ٣٦٢هـ».

ويقول ابن خلكان «والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف، ولهم مذهب مذموم، وكانوا قد ظهروا فى سنة ٢٨١هـ فى خلافة المعتضد، وقيل كان ظهورهم فى سنة ٢٧٨هـ».

ويرى أبو الفداء «أن ظهورهم كان فى هذه السنة أى سنة ٢٧٨هـ فى سواد الكوفة، وأن الرجل الذى دعاهم إلى مذهبه كان شيخاً وقد تمرض بقرية من سواد الكوفة، فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين. فلما تعافى الشيخ المذكور سمى باسم ذلك الرجل الذى آواه ومرضه. ثم خفف فقالوا قرمط بكسر القاف. ودعا قوماً من أهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه، فأجابوه».

ولا يهمنا أكان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المسمى بقرمط أوغيره ولكنه سمى باسم قرمط؟ وإنما يهمنا أن نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان، لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت أم لا؟ وقد رأيت اختلاف الروايات فى تحديد زمان ظهورهم. والأرجح أنه كان فى سنة ٢٧٨ه أى بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين وفى أثناء الغيبة الصغرى للامام الثانى عشر»(١٣٠).

وقد ذكرهم الاشعرى بقوله:

القرامطة يزعمون أن النبى ﷺ نص على على بن أبى طالب، وأن عليا نص على إمامة ابنه الحسن، وأن الحسن بن على نص على

(١٣٠) الشيعة فى التاريخ ص ٢٣١ الى ٢٣٤.

إمامة أخيه الحسين بن على، وأن الحسين بن على نص على إمامة ابنه على بن الحسين، وأن على بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن على، ونص محمد بن على على إمامة ابنه جعفر، ونص جعفر على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حى الى اليوم، لم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدى الذى تقدمت البشارة به، واحتجت فى ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم»(١٣١).

كما ذكرهم الآخرون:

ومنها المباركية وغيرها، والموجود المشهور منها فرق ثلاثة: الآغاخانية أو النزارية أتباع آغاخان، والبهرة أو المستعلية والسليمانية.

ولكل واحدة منها عقائد وآراء متفقة فى بعضها ومختلفة فى البعض الاخرى منها، ولنا، فيهم، فى جميع فرقهم وعقائدهم، آرائهم وأفكارهم والاسس التى قام عليها معتقداتهم، وفى تاريخهم وفى بداية أمرهم كلام مستقل طويل ناقشنا فيه آراء المستشرقين والكتاب المصريين والاسماعيليين، السوريين منها والهنديين، وفندنا بعض الآراء التى ابتنوها عن هؤلاء القوم وأثبتنا أخطاءهم الفاحشة، التاريخية منها والعقائدية، كما أوردنا فى بحثنا ذاك معلومات جديدة حقيقية عن معتقدات القوم الأصلية من كتبهم العتيقة القديمة، المخطوطة منها والمطبوعة، وأثبتنا فيه جهالات كثيرة للأسماء الكبيرة وللأشخاص المشهورة المعروفة وحتى من يتربع على زعامة الاسماعيلية ويدعى أنه من أكابرها. وهذا فى كتاب مستقل(١٣٢) ولأجل ذلك تجنبنا إطالة القول فى

---

(١٣١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٨.

(١٣٢) وسيصدر هذا الكتاب عما قريب ان شاء الله بعد صدور هذا الكتاب، وكنا ننوى اصداره قبل هذا حيث كنا قد جمعنا كل شىء عن الاسماعيلية ولكننا تأخرنا بعدما سمعنا بوجود بعض المخطوطات الأخرى التى لم نحصل عليها حتى الآن، فأردنا أن لا ينقصنا شىء من ذلك، ويكون

كتابنا هذا عنهم وعقائدهم ، واكتفينا بنقل الأقوال وسرد العبارات عمن كتب فى الفرق من الشيعة والسنة كيلا نخرج عن أصل الموضوع ولايطول بنا الحديث .

الدروز

ومن الفرق التى تفرعت وخرجت من الاسماعيلية ، ومنها أخذت أفكارها وعقائدها طائفة الدروز، وكانت نشأتها أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦ وكان عمره آنذاك أحد عشر عاما، واستقل به سنة ٣٩٠ بعد قتل أحد الأوصياء عليه(١٣٣) .

فاستغل صغر عمره وطموحه وشذوذه فى المأكل والمشرب والسكن والقيام والهالة المقدسة التى كانت تحيطه بعض دعاة الاسماعيلية الملاحدة مرسلوا الفرس والمجوس ، فأحاطوا به وزينوا له فكرة ألوهيته وبوبيته ، وكان من أبرزهم حمزة بن على احمد الزوزنى ومحمد بن اسماعيل الدرزى والحسن بن حيدرة الفرغانى وغيرهم المشهور بالأخرم أو الأجدع(١٣٤) .

فذهبوا شأوا بعيدا فى الانحراف والانحلال، ويقول المؤرخون : إن بداية الدعوة الى الوهية الحاكم كانت سنة ٤٠٨(١٣٥) .

ومن أهم عقائدهم ألوهية الحاكم كما ورد فى مصحف الدروز ميثاق للدروزيين أن يقولوا : آمنت بالله ، ربى الحاكم ، العلي الأعلي ،

البحث كاملا شاملا وجامعا مانعا قدر الاستطاعة وما ذلك على الله بعزيز.

واننا لنرى بأن هذا الكتاب سيثير ضجة كبرى فى الأوساط العلمية العالمية حيث اكتشفنا فيه بعض الحقائق المستورة التى لم يهتد اليها من اشتهر وعرف فى العالم بتخصصه من المستشرقين والمصريين . وحتى من الاسماعيلية أنفسهم ، كما كشفنا فيه النقاب عن بعض البديهيات التى خفيت على هؤلاء الفئة من الناس . فهناك وفيه الملتقى ان شاء الله بالتفصيل .

(١٣٣) انظ سمط النجوم العوالى ج ٢ ص ٤١٤ .

(١٣٤) انظ طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ٧٥ .

(١٣٥) أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين

رب المشرقين، ورب المغربين، واله الأصلين والفرعين، منشىء الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهورب الرجعى، وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن.

وآمنت بأولي العزم من الرسل، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميع الحدود، وأومن عاملا قائما بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم، وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي، ظاهرا وباطنا، علما وعملا، وأن أجاهد في سبيل مولانا، سرا وجهرا بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي، قولا وعملا، وأشهدت على هذا الاقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاربي.

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي، واني أقر بهذا، غير مكره أومنافق، وانني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هوفي السماء اله وفي الأرض اله، وأشهد مولاي هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين، حمزة بن علي بن أحمد، من به أشرقت الشمس الأزلية، ونطقت فيه وله سحب الفضل: انني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحدا في جميع أدواري»(١٣٦).

ومن عقائذهم: التناسخ والحلول:

كلما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد(١٣٧).

كما أن من أهم عقائدهم الغيبة والرجعة، ويقولون بأن الحاكم بأمر الله غاب عن الأبصار، وسيرجع فى آخر الزمان وسيحل عند الركن

(١٣٦) مصحف الدروز: عرف العهد والميثاق ص ١٠٧، ١٠٨.
(١٣٧) الدروز والثورة السورية لكريم ثاقب ص ٣٤.

اليمانى من الكعبة .

وغيره من العقائد المشتركة بينهم وبين الشيعة ، ولقد ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، هؤلاء والنصيرية ، فى جواب سائل سأله :

الدرزية هم أتباع هشتكين الدرزى ، وكان من موالى الحاكم أرسله الى أهل وادى تيم الله بن ثعلبة ، فدعاهم الى إلاهية الحاكم ، ويسمونه البارى ، العلام ، ويحلفون به ، وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله ، وهم أعظم كفرا من الغالية ، يقولون بقدم العالم ، وإنكار المعاد ، وانكار واجبات الاسلام ومحرماته ، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركى العرب ، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله ، أو مجوسا . وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ، ويظهرون التشيع نفاقا . والله أعلم» .

فقال شيخ الاسلام ردا عليه : كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك فى كفرهم فهو كافر مثلهم ، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين ، بل هم الكفرة الضالون ، فلا يباح أكل طعامهم ، وتسبى نساؤهم ، وتؤخذ أموالهم . فانهم زنادقة مرتدين لا تقبل توبتهم ، بل يقتلون أينما ثقفوا ، ويلعنون كما وصفوا ، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيره ، ويحرم النوم معهم فى بيوتهم ، ورفقتهم ، والمشى معهم ، وتشييع جنائزهم اذا علم موتها . ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأى شىء يراه المقيم المقام عليه»(١٣٨) .

فهذه هى الفرق التى افترقت وحدثت ونشأت بعد موت جعفر بن

---

(١٣٨) فتاوى شيخ الاسلام ج ٣٥ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

البــاقــر، وتفـرقت آراؤهم واختلفت أقـوالهم مع اتفـاقهم على توارث الأفكار السبئية.

فرق الشيعة أيام موسى الكاظم

ثم الـذين قالـوا بإمـامـة موسى بن جعفـر أيضـا تفـرقوا الى فرق عديدة، فى حياته وبعد مماته. كما ذكر النوبختى الشيعى:

ثم ان جماعة من المؤتمين بموسى بن جعفر لم يختلفوا فى أمره فثبتوا على إمامته إلى حبسه فى المرة الثانية، ثم اختلفوا فى أمره فشكوا فى إمامته عند حبسه فى المرة الثانية التى مات فيها فى حبس الرشيد فصاروا خمس فرق»(١٣٩).

وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة.

فالفرقة الاولى قالت:

انه مات فى حبس السندى بن شاهك وان يحيى بن خالد البرمكى سمـه فى رطب وعنب بعثهـما اليـه فقتله، وإن الإمام بعد موسى على بن موسى الرضا فسميت هذه الفرقة القطعية، لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفـر وعلى إمـامـة علىّ ابنـه بعـده ولم تشـك فى أمرها، ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول.

وقـالت الفـرقـة الثـانية: ان موسى بن جعفر لم يمت وانه حى ولا يمـوت حتى يملك شرق الأرض وغـربهـا ويملأهـا كلها عدلا كما ملئت جورا وأنـه القـائم المهدى. وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهارا ولم يعلم به، وأن السلطـان وأصحـابـه ادعـوا موتـه ومـوهوا على الناس وكذبوا، وأنه غاب عن الناس واختفى. ورووا فى ذلك روايات عن أبيه

(١٣٩) فرق الشيعة للنوبختى ص ١٠٠.

جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : هو القائم المخمبإ فان يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فانه القائم»(١٤٠).

وسميت هذه الفرقة بالموسوية لانتظارها موسى بن جعفر»(١٤١).

كما تسمى المفضلية :

لأنهم نسبوا الى رئيس لهم يقال له المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم(١٤٢).

ويقال لهم الممطورة :

لأنهم لما أظهروا هذه المقالة قال لهم قوم : والله ما أنتم الا كلاب ممطورة يعنى أنهم من الكلاب المبتلة بالمطر من غاية ركاكة هذه المقالة(١٤٣).

ولأن الناس يطردونهم ويتحرزون منهم(١٤٤).

وقد ذكرهم ابن حزم فى الفصل(١٤٥).

والفرقة الثانية قالت :

انه القائم وقد مات، ولا تكون الامامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعموا أنه قد رجع بعد موته الا أنه مختف فى موضع من المواضع حى يأمر وينهى، وأن أصحابه يلقونه ويرونه. واعتلوا فى ذلك بروايات عن أبيه أنه قال: سمى القائم لأنه يقوم بعد ما يموت»(١٤٦).

والفرقة الثالثة قالت :

انه قد مات وانه القائم، وان فيه شبها من عيسى بن مريم صلى

---

(١٤٠) أيضا ص ١٠١.

(١٤١) الفرق بين الفرق ص ٦٣.

(١٤٢) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ١٠١.

(١٤٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٤.

(١٤٤) التبصير ص ٤١.

(١٤٥) ج ٤ ص ١٧٩.

(١٤٦) فرق الشيعة ص ١٠١.

الله عليه وانه لم يرجع ولكنه يرجع فى وقت قيامه فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا، وان أباه قال: إن فيه شبها من عيسى بن مريم وإنه يقتل فى يدى ولد العباس فقد قتل»(١٤٧).

والرابعة قالت:

لا ندرى أهو حى أم ميت، لأنا قد روينا فيه أخبارا كثيرة تدل على أنه القائم المهدى فلا يجوز تكذيبها وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه وجده والماضين من آبائه عليهم السلام فى معنى صحة الخبر، فهذا ايضا مما لا يجوز رده وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله، ولا يجوز التوطؤ عليه، والموت حق والله عز وجل يفعل مايشاء، فوقفنا عند ذلك على إطلاق موته وعلى الاقرار بحياته، ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها حتى يصح لنا أمره وأمر هذا الذى نصب نفسه مكانه وادعى الامامة يعنون على بن موسى الرضا، فان صحت لنا إمامته كإمامة أبيه من قبله بالدلالات والعلامات الموجبة للإمامة بالاقرار منه على نفسه بإمامته وموت أبيه، لا بأخبار أصحابه سلمنا له ذلك وصدقناه»(١٤٨).

ومثل ذلك ذكر الرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين(١٤٩) والأشعرى فى مقالات الاسلاميين(١٥٠) والملطى فى التنبيه(١٥١) والاسفرائينى فى التبصير(١٥٢) والبغدادى فى الفرق بين الفرق(١٥٣) والمفيد فى الارشاد(١٥٤) والشهرستانى فى الملل والنحل(١٥٥).

---

(١٤٧) أيضا ص ١٠٢.
(١٤٨) أيضا ص ١٠٣، ١٠٤.
(١٤٩) ص ٥٤.
(١٥٠) ج ١ ص ٨٨.
(١٥١) ص ٣٨.
(١٥٢) ص ٤٢.
(١٥٣) ص ٦٤.
(١٥٤) ص ٣٠٢.
(١٥٥) ج ٢ ص ٣، ٤. الهامش.

وكـانت هنـاك فرقـة أخـرى سادسـة وهى : البشـريـة ، ذكـرهـا النـوبختى بقـوله : «البشرية» أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل الكوفه قالت ان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه حي غائب وأنـه القـائم المهـدي فى وقت غيبتـه استخلف على الأمـر محمد بن بشير وجعله وصيـه وأعطـاه خاتمـه وعلمـه جميع ما يحتاج اليه رعيته وفوض اليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الامام بعده وأن محمد بن بشير لما توفى أوصى الى ابنـه سميـع بن محمـد بن بشير فهو الامام ومن أوصى اليـه(سميـع) فهـو الامـام المفترض الطاعة على الامة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به الى الله عز وجـل فالفـرض عليهم اداؤه إلى هؤلاء إلى قيـام القائم ، وزعمـوا أن علي بن موسى ومن ادعى الامـامـة من ولد موسى بعده فغير طيب الولادة ونفوهم عن أنسابهم وكفروهم في دعواهم الإمامة ، وكفروا القـائلين بإمـامتهم واستحلوا دمـاءهم وأموالهم ، وزعموا أن الفرض من الله عليهم إقـامـة الصلوات الخمس وصـوم شهـر رمضان وأنكروا الزكاة والحـج وسـائـر الفـرائض ، وقـالـوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان ، واعتلوا فى ذلـك بقـول الله عز وجـل . اويزوجهم ذكرانا واناثا(٤٢ : ٥٠) وقـالـوا بالتنـاسـخ وأن الأئمة عندهم واحد إنما هم منتقلون من بدن الى بدن ، والمواساة بينهم واجبة في كل ما ملكوه من مال ، وكل شيء أوصى به رجل منهم فى سبيل الله فهو لسميع بن محمد واوصيائه من بعده»(١٥٦) .

ولقد ذكر محمد بن بشير هذا ، الكشى فى رجاله بقوله :

أن محمـد بشـير لما مضى أبـو الحسن«ع» ووقف عليـه الواقفة جاء

---

(١٥٦) فرق الشيعة ص ١٠٤، ١٠٥ .

محمـد بن بشـيرـ وكـان صاحب شعيذة ومخاريق معروفا بذلك فادعى أنه يقـول بالـوقف على موسى بن جعفـر«ع» هوكان ظاهرا بين الخلق يرونه جميعا يتراءى لأهل النور بالنور ولأهل الكدورة فى مثل خلقهم بالانسانية والبشرية اللحمانية، ثم حجب الخلق جميعا عن إداراكه، وهو قائم فيهم موجـود كما كان غير أنهم محجـوبـون عن إدراكـه كالـذى كانوا يدركونه.

وكـان محمـد بن بشـير هذا من أهـل الكـوفـة من موالى بنى اسـد ولـه أصحاب، قالوا: إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه غاب واستتر وهـو القـائم المهـدى، وانـه فى وقت غيبته استخلف على الامة محمد بن بشـير وجعله وصيـه واعطـاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج اليه رعيته فى أمر دينهم ودنياهم وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشير الامـام بعـده. . . وكـفـرو الـقـائلين بإمـامتهم واستحلوا دمـاءهم وأموالهم. . . . وزعموا أن كل من انتسب إلى محمد فهم ثبوت وطروق وأن محمـدا هورب حل فى كل من انتسب اليـه وأنـه لم يلد ولم يولـد وأنـه محتجب فى هذه الحجب. وزعمت هذه الفـرقـة والمخسمـة والعليـاويـة وأصحاب أبى الخطاب أن كل من انتسب إلى أنه من آل محمد فهو مبطل فى نسبتـه مفـتر على الله كاذب، وانهم الـذين قال الله تعـالى فيهم انهم يهود ونصارى فى قوله: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعـذبكم بذنـوبكم بل أنتم بشـر ممن خلق﴾ «محمـد» فى مذهب الخطابية و«على» فى مذهب العلياوية فهم ممن خلق. هذان كاذبون فيما ادعـوا إذ كان محمـد عنـدهم وعلى هورب لا يلد ولا يولـد ولا يستـولد، تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علوا كبيرا. وكان سبب قتل محمد بن بشـير لعنـه الله لانـه كان معه شعبذة ومخاريق فكان يظهر الواقفة انه ممن وقف على على بن موسى «ع» وكـان يقـول فى موسى بالـربوبية ويدعى

لنفسه انه نبى ، وكان عنده صورة قد عملها واقامها شخصا كأنه صورة ابى الحسن «ع» من ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبه صورة انسان ، وكان يطويها فاذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها فكان يقول لاصحابه : ان أبا الحسن «ع» عندى فان أحببتم أن تروه وتعلموا أنى نبى فهلموا أعرضه عليكم ، وكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه فيقول لهم : هل ترون فى البيت مقيما أوترون غيرى وغيركم؟ فيقول : فاخرجوا فيخرجون من البيت فيصير هووراء الستر بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينهم وبينه فينظرون الى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئا ويقف هو معه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة انه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره ، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئا ، وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها ، فكانت هذه حاله مدة حتى رفع خبره الى بعض الخلفاء - أحسبه هارون أوغيره ممن كان بعده من الخلفاء - أنه زنديق ، فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال له : ياأمير الؤمنن استبقنى فانى أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها ، فأطلقه فكان أول ما اتخذ له الدوالى فانه عمد الى الدوالى فسواها وعلقها وجعل الزيبق بين تلك الالواح ، فكانت الدوالى تمتلىء من الماء وتملى الالواح وينقلب الزيبق من تلك الالواح وينقلب الزيبق من تلك الالواح فيتسع الدوالى لذلك ، فكانت تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء فى البستان فأعجبه ذلك مع أشياء عملها ، يضاهى الله بها فى خلقه الجنة فقواه وجعل له مرتبة ، ثم انه يوما من الايام انكسر بعض تلك الالواح فخرج منها الزيبق فتعطلت فاستراب أمره ، وظهر عليه التعطيل والاباحات(١٥٧) .

(١٥٧) رجال الكشي ص ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧ .

هذا وقد ادعى الامامة فى عهده آخران من بنى عمومته . أحدهما حسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن على . وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ، فلقد ادعى الامامة أيام أبى موسى الهادى العباسى حفيد أبى جعفر المنصور[١٥٨] .

وبايعه على إمامته يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن بن بن الحسن ، وعبد الله الحسن الافطس ، وابراهيم بن اسماعيل الطباطبا ، وعمر بن الحسن بن على بن الحسن بن الحسين ، وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ، وعبد الله بن جعفر بن محمد ، وعبد الله بن جعفر بن الباقر ، وعبد الله وعمر ابنا اسحاق بن الحسن بن على زين العابدين وغيرهم[١٥٩] .

حتى قال الاصفهانى :

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين الا الحسن بن جعفر بن حسن المثنى فانه استعفاه ولم يكرهه .

وموسى بن حعفر بن محمد ـ الامام السابع المزعوم عند الشيعة ـ قال عنيزة القصبانى : رأيت موسى بن جعفر بعد عتمة وقد جاء الى الحسين صاحب فخ ، فانكب عليه شبه الركوع ، وقال : أحب أن تجعلنى فى سعة وحل من تخلفى عنك ، فأطرق الحسين طويلا لا يجيبه ، ثم رفع رأسه اليه ، فقال : أنت فى سعة»[١٦٠] .

وقد ذكر هذا الكلينى فى (كافيه) حيث قال :

حدثنا عبد الله بن المفضل مولى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال :

---

(١٥٨) انظر مروج الذهب والطبرى وابن كثير وغيرها من الكتب .
(١٥٩) انظر مقاتل الطالبيين للأصفهانى الشيعى ص ٤٤٦ و ٤٥٦ .
(١٦٠) أيضا ص ٤٤٧ .

لما خرج الحسين بن على المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر الى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفنى ما كلف ابن عمك أبا عبد الله، فيخرج منى مالا اريد كما خرج من أبى عبد الله مالم يكن يريد، فقال له الحسين: انما عرضت عليك أمرا فان أردته دخلت فيه، وان كرهته لم أحملك عليه والله المستعان»(١٦١).

والثانى الذى ادعى الامامة أيامه يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى. وقد ذكره الكينى أيضا حيث قال:

كتب الى موسى بن جعفر يدعوه: خبرنى من ورد علىّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك، . . . . . وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك، وقديما ادعيتم ماليس لكم وبسطتم أعمالكم الى ما لم يؤتكم الله، فاستهويتم وأضللتم وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه، فكتب اليه ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: من موسى بن جعفر. . . . ذكرت أنى ثبطت الناس عنك لرغبتى عما فى يديك. . . . واحذرك معصية الخليفة(١٦٢) وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أمانا قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروّح الى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله، فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى»(١٦٣).

فهذه هى الفرق الشيعية أيام موسى وبعده، وهذه هى عقائدهم وأفكارهم المثبتة من كتب الشيعة والسنة أيضا، والذى قيل: حمله الرشيد

(١٦١) الاصول من الكافى ج ١ ص ٣٦٦.

(١٦٢) انظر الى الصدق كيف يتطلع وحتى من الكذابين، امام معصوم للشيعة يمنع الناس عن معصية الخليفة العباسى والخروج عليه، فهل هناك شك بأنه لم يكن أولاد علي يدعون فى أنفسهم ما ينسب اليهم هؤلاء القوم.

(١٦٣) الاصول من الكافى ج ١ ص ٣٦٧.

من المدينـة وقد قدم اليها منصرفا من العمرة، ثم شحص هارون للحج وحمله معـه، ثم انصـرف على طريق البصـرة، فحبسـه عند السندى بن شاهـك فتـوفى فى حبسـه بغـداد لخمس ليـال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن خمس أو أربع وخمسين سنة، ودفن فى مقابر قريش»(١٦٤).

الشيعة أيام على بن موسى الملقب بالرضا

وحصـل الاختـلاف فى الشيعـة الـذين اجتمعـوا حول على بن موسى الرضا ختن المأمون على ابنته بعد وفاته.

ففرقة قالت بأن الامام بعده أخوه احمد بن موسى بن جعفر:

«أوصى اليه والى الرضا عليه السلام وأجازوها فى أخوين. فهى: المؤلفة، فقطعوا على امامة على بن موسى.

وفـرقـة منهم تسمى المحـدثـة، كانـوا من أهل الأرجاء وأصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بامامة موسى بن جعفر وبعده بامامة على بن موسى، وصـاروا شيعـة رغبة فى الدنيا وتصنعا، فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا الى ما كانوا عليه.

وفرقة كانت من الزيدية الأقوياء منهم والبصراء، فدخلوا فى امامة على بن موسى عليه السلام عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعا للدنيـا واستكـانـوا النـاس بذلـك دهـرا، فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا الى قومهم من الزيدية(١٦٥).

وفرقة اخرى قالت:

ان الامـامـة بعد على بن موسى عليه السلام لابنه محمد بن على

(١٦٤) فرق الشيعة ص ١٠٥،١٠٦.
(١٦٥) أيضا ص ١٠٧.

عليه السلام، ولم يكن لغيره[١٦٦].

وكـانت هنـاك فرق اخـرى غير هذه الفـرق اتبعت فريقـا من الطـالبيـين الذين ادعوا الامامة فى أيام الرضا ودعوا الناس اليهم، فمنهم محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن ابى طالب، وهو المعروف بابن الطباطبا.

ومحمد بن يحيى بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على.

ومحمد بن جعفر عم على الرضا.

وابراهيم بن موسى بن جعفر أخو على الرضا.

وحسين بن الحسن بن على بن على زين العابدين وغيرهم.

وقـد ذكـرهم جميعا ودعوتهم الناس اليهم وخروجهم على المأمون وتسلطهم على بعض المـدن والنـاطق، ومعـاركهم مع عساكر العباسيين من الشيعـة، الأصفهـانى فى مقاتل الطالبيين[١٦٧]، والمسعودى فى كتابه مروج الذهب. ولقد ننقل عنه خروج هؤلاء العلويين وادعاءهم الامامة بايجاز واختصار، فيقول:

وفى سنـة تسـع وتسعـين ومائة خرج ابو السرايا السرى بن منصور الشيبـانى بالعـراق، واشتد أمره، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالـب، وهو ابن طباطبا، ووثب بالمـدينـة محمـد بن سليـمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله، ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على عليهم السـلام، وزيـد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على، فغلبوا على البصرة.

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعو اليه ابو السرايا،

(١٦٦) أيضا ص ١٠٦.

(١٦٧) ص ٥١٣ وما بعد.

وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محد بن يحى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي.

وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله، وذلك في سنة مائتين، ودعا لنفسه، واليه دعت السبطية من فرق الشيعة وقالت بإمامته وقد افترقوا فرقا: فمنهم من غلا، ومنهم من قصر، وسلك طريق الإمامية، وقد ذكرنا في كتاب «المقالات في أصول الديانات» وفي كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبيين، وقيل: إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن ابراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا، فلما مات ابن طباطبا، وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه، وتسمى بأمير المؤمنين، وليس في آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق ممن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر هذا، وكان يسمى بالديباجة؛ لحسنه وبهائه. . . . وظهر في أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسين بن الحسن ابن علي بن علي بن الحسين بن علي، وهو المعروف بابن الأفطس، وقيل: انه دعا في بدء أمره الى ابن طباطبا، فلما مات ابن طباطبا دعا إلى نفسه والقول بإمامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي، فهرب داود، ومضى الناس الى عرفة، ودفعوا الى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس، وقد كان ابن الأفطس وافى الموقف بالليل، ثم صار الى المزدلفة والناس بغير إمام

فصلى بالنـاس، ثم مضى الى منى، فنحـر ودخـل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة إلا القباطي البيض فقط. (١٦٨).

والجدير بالذكر أن على بن موسى هو الذى جعل المامون العباسى فيه ولاية العهد بعده:

وأمر المامون الحسن بن سهل والفضل بن سهل وزيريه أن يعرضا ذلك عليه فامتنع منه فلم يزالا به حتى أجاب ورجعا إلى المامون فعرفاه إجـابتـه، فسـر بذلـك وجلس للخـاصة فى يوم خميس وخرج الفضل بن سهـل فأعلم برأى المـامـون فى على بن موسى عليـه السلام وانه قد ولاه عهده وسماه الرضا وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة، فلما كان اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القـواد والحجـاب والقضـاة وغـيرهم فى الخضرة، وجلس المامون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا(ع) عليهما فى الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المامون أن يبايع له أول الناس. . . . فبايعه الناس ووضعت البذر وقامت الخطبـاء والشعـراء، فجعلوا يذكـرون فضل الرضا عليه السلام وما كان عليـه من أمـره. . . . ثم قال المامون للرضا عليه السلام: اخطب الناس وتكلم فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ان لنا عليكم حقا برسول الله ولكم علينا حقا به، فاذا أنتم أديتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم، ولم يذكـر عنـه غير هذا فى ذلـك المجلس، وأمر المامون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام، وزوج اسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمـه اسحـاق بن جعفر بن محمد وأمره فحج بالناس وخطب للرضا عليه السلام فى كل بلد بولاية العهد» (١٦٩).

(١٦٨) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص٤٣٩، ٤٤٠.

(١٦٩) الارشاد للمفيد ص ٣١٠، ٣١١، اعلام الورى للطبرسى ص ٣٣٤.

ولكنه مات قبل أن ينال الخلافة ، فى حياة المامون .

«ولما توفى الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوما وليلة ثم أنفذ الى محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبى طالب الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه اليهم وبكى وأظهر حزنا شديدا وتوجعا وأراهم إياه صحيح الجسد، قال يعز على ياأخى ان أراك فى هذه الحال قد كنت أؤمل ان أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد، ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى الى الموضع الذى هو مدفون الآن ، فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة فى قرية يقال لها سناباد على قربة من نوقان بأرض طوس. وفيها قبر هارون الرشيد وقبر أبى الحسن عليه السلام بين يديه فى قبلته .

ومضى الرضا علي بن موسى عليهما السلام ولم يترك ولدا نعلمه إلا الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكانت سنه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرا»(١٧٠) .

وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمسة وخمسون سنة، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين .

الشيعة أيام محمد بن على
الملقب بالجواد أو التقى

ولقد حصل الاختلاف الشديد بين الشيعة فى امامة محمد بن على لأنه لم يكن بلغ الحلم عند وفاة أبيه، ولذلك اختلف الشيعة فى امامته وتفرقوا عنه كما مر وقالوا :

لايجوز الامام إلا بالغا ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ

(١٧٠) الارشاد للمفيد ص ٣٠٤، اعلام الورى للطبرسى ص ٣١٣، عيون أخبار الرضاج ٢ ص ٢٤٧ ، كشف الغمة ج ٣ ص ٧٢، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٣٩، منتهى الآمال ص ١٠٤٩ .

لجاز أن يكلف الله غير بالـغ فكـما لا يعقـل أن يحتمل التكليف غير بالغ فكـذلـك لا يفهم القضـاء بين النـاس ودقيقـه وجليله وغامض الأحكام وشـرائـع الـدين وجميع ما اتى به النبي صلى الله عليه وآله وما تحتاج اليه الامة الى يوم القيامه من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ ولو جاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجة لجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجتين وثلاثا وأربعا راجعا إاى الطفولية، حتى يجوز أن يفهم ذلك من طفل في المهد والخرق وذلك غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف.

ثم إن الذين قالوا بامامة ابي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام اختلفوا فى كيفية علمه لحداثة سنه ضروبا من الاختلاف: فقال بعضهم لبعض: الامـام لا يكـون إلا عالمـا وابـو جعفر غير بالغ وأبوه قد توفي فكيف علم ومن اين علم، فأجابوا:

فقـال بعضهم: لايجـوز أن يكـون علمه من قبل ابيه لأن أباه حمل إلى خرسـان وأبـو جعفـر ابن أربـع سنـين وأشهر ومن كان في هذه السن فليس فى حد من يستفرغ تعليم معرفة دقيق الدين وجليله ولكن الله عز وجـل علمـه ذلـك عند البلوغ بضروب مما يدل على جهات علم الإمام مثـل الإلهـام والنكت في القلب والنقـر في الأذن والرؤ يا الصادقة فى النوم والملك المحدث له ووجوه رفع المنار والعمود والمصباح وعرض الأعمال لأن ذلك كله قد صحت الأخبار الصحيحة القوية الاسانيد فيه التي لا يجوز دفعها ولا رد مثلها.

وقـال بعضهم: قبـل البلوغ هو إمام على معنى أن الامر له دون غيره إلى وقت البلوغ فاذا بلغ علم لا من جهة الالهام والنكت ولا الملك ولا لشيء من الـوجـوه التي ذكـرتهـا الفـرقة لأن الوحي منقطع بعد النبي صلى الله عليـه وآلـه بإجمـاع الامـة ولأن الالهـام انما هو ان يلحقك عند

الخاطر والفكر معرفة بشيء قد كانت تقدمت معرفتك به من الأمور النافعة فذكرته وذلك لا يعلم به الاحكام وشرائع الدين على كثرة اختلافها وعللها قبل أن يوقف بالسمع منها على شيء، لان أصح الناس فكرا وأوضحه خاطرا وعقلا وأحضره توفيقا لو فكر وهو لا يسمع بأن الظهر أربع والمغرب ثلاث والغداة ركعتان مااستخرج ذلك بفكره ولا عرفه بنظره ولا استدل عليه بكمال عقله ولا أدرك ذلك بحضور توفيقه ولا لحقه علم ذلك من جهة التوفيق أبدا، ولا يعقل أن يعلم ذلك إلا بالتوقيف والتعليم فقد بطل أن يعلم شيئا من ذلك بالالهام والتوفيق، لكن نقول: أنه علم ذلك عند البلوغ من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها ومارسم له فيها من الاصول والفروع، وبعض هذه الفرقة تجيز القياس في الاحكام للامام خاصة على الاصول التي في يديه لأنه معصوم من الخطأ والزلل فلا يخطيء فى القياس وانما صاروا الى هذه المقالة لضيق الأمر عليهم فى علم الامام وكيفية تعليمه إذ ليس هو ببالغ عندهم.

وقال بعضهم: الامام يكون غير بالغ ولو قلت سنه لأنه حجة الله فقد يجوز أن يعلم وإن كان صبيا ويجوز عليه الاسباب التي ذكرت من الالهام والنكت والرؤيا والملك المحدث ورفع المنار والعمود وعرض الاعمال كل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز ذلك عن سلفه من حجج الله الماضين، واعتلوا في ذلك بيحيي بن زكريا وأن الله آتاه الحكم صبيا وبأسباب عيسى بن مريم وبحكم الصبي بين يوسف بن يعقوب وامرأة الملك وبعلم سليمان بن داود حكما من غير تعليم وغير ذلك فانه قد كان في حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس»[١٧١].

وولد محمد بن على هذا سنة خمس وتسعين ومائة بالمدينة، وقبض

(١٧١) فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٠، ١١١، ١١٢.

ببغداد سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وأمه أم ولد يقال لها سميكة وكانت نوبية[١٧٢].

وكان متزوجا من ابنة المامون أم الفضل.

«فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن على بن موسى والأخرى تحت أبيه على بن موسى»[١٧٣].

وفى أيامه ادعى الإمامة واحد من الحسينيين وهو محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب[١٧٤].

«وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس، ثم حمله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه في أزج اتخذه في بستان بسر من رأى، وقد تنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل يقول: انه قتل بالسم، ومنهم من يقول: ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به، فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ومنهم خلق كثير يزعمون ان محمدا لم يمت، وأنه حي يرزق، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وأنه مهدي هذه الأمة، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان»[١٧٥].

(١٧٢) الارشاد للمفيد ص ٣١٦، اعلام الورى ص ٣٤٤،٣٤٥، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٤

(١٧٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١.

(١٧٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٧٧، أيضا الطبرى وابن الاثير وغيرهما.

(١٧٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥.

الشيعة فى أيام على بن محمد المكنى بأبى الحسن والملقب بالهادى أو النقى

ولما مات محمد بن على خلف ابنيه عليا وموسى، وكان الأكبر منهما لا يتجاز الثامنة من العمر حسب قول الشيعة، وكانا من الصغر بمكان حتى «أوصى أبوهما على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق إلى عبد الله بن المساور الى أن يبلغا[(١٧٦)] الحلم»[(١٧٧)].

فاختلف الشيعة فى أمرهما، فقوم قالوا بامامة محمد بن على، وقوم ذهبوا الى امامة أخيه موسى بن محمد[(١٧٨)].

النصيرية

وفى حياة على بن محمد الهادى المكنى بأبى الحسن ظهرت من الشيعة فرقة اخرى، فقالت :

بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميرى، وكان يدعى أنه نبى بعثه أبو الحسن العسكرى عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلو فى أبى الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك، وكان يقوى أسباب هذا النميرى محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، فلما توفى قيل له فى علته وقد كان اعتقل لسانه : لمن هذا الامر من بعدك؟ فقال: لأحمد، فلم يدروا من هو، فافترقوا ثلاث فرق، فرقة قالت :

(١٧٦) ولا ندرى كيف يعتمد على صبي فى أمور الدين من لم يعتمد عليه أبوه ـ وهو إمام معصوم عند الشيعة ـ فى أمر دنياه.

(١٧٧) الكافى ج ١ ص ٣٢٥.

(١٧٨) انظر فرق الشيعة ص ١١٣.

انه(احمد) ابنه، وفرقة قالت: هو احمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وفرقة قالت: احمد بن ابى الحسين محمد بن محمد بن بشير بن زيد، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء، وادعى هؤلاء النبوة عن أبى محمد فسمت النميرية أو النصيرية[١٧٩].

ولقد ذكر الشهرستانى النصيرية فى ملله، وذكر مذهبهم أنه يقولون :

إن الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص افضل من علي عليه السلام وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بأيديهم فعن هذا اطلق اسم الالهية عليهم، وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلى دون غيره لان كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الاسرار، قال النبى ﷺ انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وعن هذا كان قتال المشركين الى النبي ﷺ وقتال المنافقين إلى علي، وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا فى عيسى بن مريم وإلا لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا له شركة في الرسالة، اذ قال فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل، فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من ادل الدليل على ان فيه جزء آلهيا وقوة ربانية، اويكون هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيده وامر بلسانه، وعن هذا قالوا كان هو موجود قبل خلق السموات والارض، قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت في

(١٧٩) فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٥، ١١٦

هذا العالم او في ذلك العالم، وعن هذا قال انا من احمد كالضوء من الضوء يعني لا فرق بين النورين الا ان احدهما اسبق والثاني لا حق، به قال له وهـذا يدل على نوع شركـة، فالنصـير يـة اميـل الى تقرير الجزء الإلهي والاسحاقية اميل الى تقرير الشركة فى النبوة»(١٨٠).

وذكر الرازى أن هذه الطائفة موجودة فى حلب ونواحى الشام الى يومنا هذا(١٨١).

ونحن نقول: أنها موجودة حتي اليوم فى سوريا وتركيا، ويعرفون بالعلويين.

وأمـا النصـير يـة فيقـولون : إن محمد بن النصير النميرى لم يدع النبوة، بل انه كان بابا للامام الحادى عشر الحسن العسكرى»(١٨٢).

ويقولون: إنه كان ينافسه رجل اسمه ابويعقوب اسحاق بن محميد النخعى، فادعى هو الثانى هو الباب للحسن العسكرى

فالحاصل أن هؤلاء الذين يقولون ويصرحون بالوهية على، وكان رسول الله هو رسوله هو كما يقولون:

. ان عليـا أرسـل جابر بن يزيد الجعفى فى قضاء غرض له، فلما أن وصـل الى الـوضـع المقصود رأى على بن أبى طالب جالسا على كرسى من نور والسيـد محمـد (يعنى سيدنا محمدا) عن يمينه والسيد سلمان (يعنى الصحابى الجليل سلمان الفارسى) عن شماله، ثم التفت جابر الى ورائه فرآه هكـذا، ثم نظـر عن يمينـه فرآه هكـذا، ثم نظبر الى السماء فرآه فى السماء والملائكة حوله يسبحون بحمده ويسجدون له»(١٨٣).

(١٨٠) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢٥، ٢٦.
(١٨١) اعتقادات فرق المسلين والمشركين للرازى ص ٦١.
(١٨٢) تاريخ العلويين للطويل ص ٢٠٢
(١٨٣) الباكورة السليمانية ص ٨٧.

وقد دونوا لهم قرآنا مستقلا ، ومنها هذه الآيات : ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . . . . اشهد عليّ أيها الحجاب العظيم أشهد عليّ أيها الباب الكريم اشهد عليّ يا سيدى المقداد اليمين ، اشهد عليّ يا سيدى أبو الدر الشمال . . . . . بأن ليس إلهاً إلا علي بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد ، المحمود، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسى المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام، ولا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصبي الذي شرع الأديان في سائر البلدان ، أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية وهي الظاهرة بالنورانية وليس إله سواها وهي علي بن ابي طالب ، وأنه لم يحاط ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر ، أشهد بأني نصيري الدين جندبي الرأي جنبلاني الطريقة خصيبي المذهب جلي المقال ميموني الفقه وافر الرجعة البيضاء والكرة الزهراء وفي كشف الغطاء وجلاء العماء وإظهار ما كتم وإجلاء ما خفي وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس قابض على كل نفس ، الأسدَ من تحته وذو الفقار بيدء والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه والماء ينبع من بين قدميه والسيد محمد ينادي ويقول : هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه . هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه . إشهدوا علي يا أسيادي أن هذا ديني واعتقادي وعليه اعتمادي وبه أحيا وعليه أموت وعلي بن أبي طالب حي لا يموت بيده القدرة والجبروت ، إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤ ولا علينا من ذكرهم السلام»[١٨٤]

وغير ذلك من الخرافات .

«وتوفى على بن محمد.هذا بسرمن رأى فى رجب سنة أربع وخمسين

---

(١٨٤) الباكورة السليمانية ص ٢٦ .

ومـائتـين، وولـد سنة اثنتى عشرة ومائتين، وكان المتوكل قد أشخصه مع يحيى بن أكتم الى سرمن رأى، فأقام بها وأمه»(١٨٥).

هذا ولقد ادعى فى أيامه كثير من العلويين الامامة وبايعهم خلق من الشيعـة ومن أهـل بيت على رضى الله عنـه، منهم يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على زين العابدين(١٨٦).

فاستـولى على الكـوفة وما حولها، ولما قتل أيام المستعين العباسى رثاه كثير من الشعراء حتى قال الاصفهانى:

وما بلغنى أن أحدا ممن قتل فى الدولة العباسية من آل أبى طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه»(١٨٧).

ووافق على ذلك إبن الأثير فى تاريخه الكامل(١٨٨).

وكـذلـك ادعى الامـامـة حسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن المثنى:

ظهـر ببـلاد طهـرستـان وغلب عليهـما وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد(١٨٩).

وكذلك حسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على سنة احدى وخمسين ومائتين(١٩٠).

الشيعة فى أيام الحسن بن على العسكرى

ولما توفى ابو الحسن بن على الهادى افترقت الشيعة الى فرق

---

(١٨٥) الارشاد ص ٣٢٧، اعلام الورى للطبرسى ص ٣٥٥، كشف الغمة ج ٣ ص ١٦٦، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٥٤.

(١٨٦) مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٦٣٩، مروج الذهب ج ٤ ص ٦٣.

(١٨٧) مقاتل الطالبيين ص ٤٦٥، وبمثل ذلك فى مروج الذهب ج ٤ ص ٦٤.

(١٨٨) ج ٥ ص ٣١٥.

(١٨٩) مروج الذهب ج ٤ ص ٦٨.

(١٩٠) أيضا ص ٦٩، ومقاتل الطالبيين للاصفهانى ص ٦٦٥.

عديدة.

«ففرقة قالت بامامة ابنه محمد، وقد كان توفى فى حياة أبيه بسرمن رأى، وزعموا أنه حى لم يمت واعتلوا فى ذلك بأن أباه أشار اليه وأعلمهم أنه الامام من بعده، والامام لا يجوز عليه الكذب ولا يجوز البداء فيه فهو وان كانت ظهرت وفاته لم يمت فى الحقيقة ولكن أباه خاف عليه فغيبه وهو القائم المهدى، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب اسماعيل بن جعفر»(١٩١).

والجدير بالذكر أن محمدا هذا وهو المكنى بأبى جعفر كان وصى أبيه والخليفة بعده حسب تصريحات الشيعة ولكنه مات قبل أن يصل اليه الامامة وخلافة أبيه فشك القوم فى أمره وامامة أبيه، فقال أبوه على الهادى المكنى بأبى الحسن:

بدا الله فى أبى محمد بعد أبى جعفر عليه السلام مالم يكن يعرف له، كما بدا فى موسى بعد مضى اسماعيل ما كشف عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وان كره المبطلون، وأبو محمد ابنى الخلف من بعدى، عنده علم ما يحتاج اليه ومعه آلة الامامة»(١٩٢).

وفرقة قالت بامة جعفر بن على- وهو الملقب بجعفر الكذاب عند الشيعة، وقالوا:

أوصى اليه أبوه بعد مضى محمد وأوجب امامته وأظهر أمره وأنكروا امامة محمد أخيه وقالوا: انما فعل ذلك أبوه اتفاقا عليه ودفاعا عنه، وكان الامام فى الحقيقة جعفر بن على»(١٩٣).

وفرقة قالت بامامة الحسن العسكرى ابن على، وكان يكنى بأبى محمد(١٩٤).

وقال المفيد:

(١٩١) فرق الشيعة ص ١١٦، ١١٧.
(١٩٢) الاصول من الكافى، كتاب الحجة، باب الاشارة والنص على أبى محمد ج ١ ص ٣٢٧.
(١٩٣) النوبختى ص ١١٧، ١١٨.
(١٩٤) أيضا ص ١١٧.

وكـان الامـام بعد أبي جعفر عليه السلام ابنه أبو الحسن على بن محمـد(ع) لاجتـماع خصـال الامامة فيه وتكامل فضله وانه لا وارث لمقام أبيه سواه وثبوت النص عليه بالامامة والاشارة اليه من أبيه بالخلافة»(١٩٥).

وتوفى يوم الجمعة سنة ستين ومائتين، وكان مولده بالمدينة فى شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ودفن فى داره بسرمن رأى فى البيت الذى دفن فيه أبوه، وأمه أم ولد يقال لها خديثة(١٩٦).

وعمره يومئذ ثمانى وعشرون سنة.

وقال النوبختى:

قيل: يقال لامه اصفان، وقيل: سليل وقيل غير ذلك.

وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل.

وكـانت فى سنى امـامتـه بقية ملك المعتز أشهرا، ثم ملك المهتدى أحد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما، ثم ملك احمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل عشرين سنة وأحد عشر شهرا»(١٩٧).

وفى أيامه ادعى كثير من العلويين الامامة، منهم على بن زيد بن الحسين العلوى(١٩٨).

وكـذلـك الكثيرون الذين ذكرهم الاصفهانى فى مقاتل الطالبيين والمسعودى فى مروج الذهب. وأما من السنة فذكرهم جميع المؤرخين.

الشيعة بعد وفاة الحسن العسكرى

مات الحسن العسكرى بدون خلف ولا عقب كما نص على ذلك

(١٩٥) الارشاد ص ٣٢٧.
(١٩٦) ايضا ص ٣٣٥.
(١٩٧) اعلام الورى ص ٣٦٧.
(١٩٨) مقاتل الطالبيين ص ٦٧٥، مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٩٤.

النوبختى :

توفى ولم ير له أثـر، ولم يعـرف له ولـد ظاهـر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه)(١٩٩).

فأوجد موته خلافا شديدا فى شيعته لأن التشيع بعد تطوره يوجب على مدعى الامـامـة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذى قبله، وهو الذى يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يرى له أثر فالتجؤ وا لتأويل ذلك الى سخافات عديدة، كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهوون. فقال النوبختى :

فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة، ففرقة قالت: ان الحسن بن على حى لم يمت، وانما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من امام. . . .

وقـالت الفـرقة الثانية : ان الحسن بن على مات وعاش بعد موته وهو القائم المهدى لأننا روينا أن معنى القائم هو أن يقوم بعد امرت ويقوم ولا ولـد له، لأن الامـامة كانت تثبت لولده ولا أوصى الى أحد فلا شك أنه القائم. . . .

وقالت الفرقة الثالثة :

ان الحسن بن على توفى، والامـام بعـده أخـوه جعفر واليه أوصى الحسن. . . فلما قيل له ان الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعـادين طول زمـانهـما وقد وقفتم على صنائع جعفر وسوء معاشرته له فى حيـاتـه ولهم من بعـد وفـاتـه فى اقتسام مواريثه، قالوا : انما ذلك بينهما فى الظـاهـر، وأمـا فى البـاطن فكـان متراضيـين متصـافيـين لاخـلاف بينهـما. . . . وممن قوى امـامـة جعفـر وأمال الناس اليه على بن الطاهر الخـزاز، وكـان متكلما محجاجا وأعانته على ذلك اخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزوينى .

(١٩٩) فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٨، ١١٩.

وقالت الفرقة الرابعة:

ان الامام بعد الحسن جعفر وان الامامة صارت اليه من قبل أبيه، لا من قبل الحسن، وان الحسن كان مدعيا باطلا، لأن الامام لا يموت حتى يوصى ويكون له خلف، والحسن قد توفى ولا وصية له ولا ولد، والامام لا يكون من لا خلف له ظاهر، معروف مشار اليه، كما لا تجوز أن تكون الامامة فى الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر.

وأما الفرقة الخامسة: فانها رجعت الى القول بامامة محمد بن على أخى الحسن المتوفى فى حياة أبيه، وأما الحسن وجعفر فانهما ادعيا مالم يكن لهما لأن جعفرا فيه خصال مذمومة وهو بها مشهور، ظاهر الفسق وغير صائن لنفسه، معلن بالمعاصى، ومثل هذا لا يصلح للشهادة على درهم فكيف يصلح لمقام النبى صلى الله عليه وآله؟ وأما الحسن فقد توفى ولا عقب له. وقالت الفرقة السادسة:

ان للحسن بن على ابنا سماه محمدا وولد قبل وفاته بسنين، وزعموا أنه مستور، لا يرى خائف من جعفر. وقالت الفرقة السابعة:

بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر، وان الذين ادعوا له ولدا فى حياته كاذبون مبطلون فى دعواهم، لأن ذلك لو كان لم يخف غيره ولكنه مضى ولم يعرف له ولد، ولا يجوز أن يخفى ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائما ظاهرا ثابتا عند السلطان وعند سائر الناس، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفى أمره، فقد ولد له ابن بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو مستور لا يرى.

وقالت الفرقة الثامنة:

انه لا ولد لحسن أصلا لأنا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم

نجده ولو جاز لنا ان نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولدا خفيا لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابنا نبيا رسولا ، وكذلك في عبد الله بن جعفر بن محمد أنه خلف ابنا ، وأن ابا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير ابي جعفر احدهم الامام ، لأن مجيي الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجييء الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرا من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنا ولا كان للرضا اربعة بنين ، فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح فى سرية له وستلد ذكرا إماما متى ما ولدت فانه لا يجوز أن يمضي الامام ولا خلف له فتبطل الامامة وتخلو الارض من الحجة ، واحتج اصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا امرا قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى اضفتم اليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلا قائما فان كنتم اجتهدتم فى طلب الولد فلم تجدوه فانكرتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده فنحن في الولد أصدق منكم لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف فى الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه ، والامر الذي ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون اكثر من تسعة اشهر وقد مضى للحبل الذى ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وقالت الفرقة التاسعة : ان حسن بن على قد صحت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليهم السلام ، فكما صحت وفاتهم بالخبر الذى لا

يكـذب مثله فكـذلك صح أنه لا امام بعد الحسن . . . . . والأرض اليوم بلا حجة الا أن يشاء الله فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله فيحيي الارض بعـد موتهـا كما بعث محمـد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل .

وقالت الفرقة العاشرة : .

ان أبا جعفر محمد بن على كان امیت فی حياة أبيه وهو الذى كان الامام بوصية من أبيه ، ثم أوصى هو الى غلام له صغير كان فى خدمته يقال له نفيس ، ثم بعد وفاته نقل هذا الغلام الوصية الى جعفر.

وقالت الفرقة الحادية عشرة :

قد اشتبـه علينـا الامـر، ولا ندرى من هو الامام ، وان الأرض لا تخلو من حجة فنتوقف ولا نقدم على شىء حتى يصح لنا الأمر ويتبين .

وقالت الفرقة الثانية عشر:

ليس القول كما قال هؤلاء بل لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، ولو خلت لساخت الارض ومن عليها . وأما هو خائف مستور بستر الله لا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه ، وليس علينا البحث عن أمره بل البحث عن ذلك وطلبه محرم .

وقالت الفرقة الثالثة عشرة :

ان الحسن بن على توفى وانـه كان الامـام بعـد أبيـه وأن جعفر بن على الامام بعده ، كما كان موسى بن جعفر اماما بعد عبد الله بن جعفر للخـبر الـذى روى أن الامـامـة فى الأكبر من ولد الامام اذا مضى ، وأن الخبر الذى روى عن الصادق عليه السلام أن الامامة لا تكون فى أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره ، وانما ذلك اذا كان للماضى خلف من صلبــه فانهـا لا تخرج منـه الى أخيـه بل تثبت فى

خلفـه، واذا توفى ولا خلف له رجعت الى أخيـه ضرورة لأن هذا مغنى الحـديث عنـدهم، وكـذلـك قالـوا فى الحـديث الذى روى أن الامام لا يغسله الا امـام، وان هذا عنـدهم صحيـح لا يجوز غيره وأقروا أن جعفر بن محمـد عليهـما السلام غسله موسى وادعوا أن عبد الله أمره بذلك لأنه كان الامـام بعـده وانّ جاز أن لا يغسله لأنـه امـام صامت فى حضرة عبد الله، فهـؤلاء الفطحيـة الخلص الـذين يجيـزون الامامة فى أخوين اذا لم يكن الأكـبر منهـما خلف ولـدا والامـام عنـدهم جعفر بن علي على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرقة الرابعة عشرة فقالت:

ان الامام بعده ابنه محمد وهو المنتظر غير أنه مات وسيجىء ويقوم بالسيف ويملأ الارض قسطا وعدلا كم ملئت الارض ظلما وجورا(٢٠٠).

فهذه هى الفرق المشهورة للشيعة ذكرناها من كتب القوم أنفسهم مع سرد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضا تأييدا وتوثيقا، لا أصلا واستدلالا، غير أن هنالك فرقا شيعية اخرى ذكرها أصحاب الفرق من السنـة من البيـانيـة والجنـاحيـة والـرزاميـة والمقنعية والحلمانية والحلاجية والأزافـرة وغيـرهم، لم نذكـرهـا لانقـراضهـا ولعدم ورود ذكرها فى كتب الشيعة وكى لا يقول قائل:

يعلم الله أن هذه الاسماء كلها لم نسع بها ولم نرها فى كتب الشيعة ومـا هى الا مختلقـة لا يقصـد من ذكـرهـا غير التشنيع والتهجين، وهى أسـماء بلا مسميـات، ولم يذكرها أحد من المؤ رخين، ولا نقلها من كتب فى المـلل والنحــل من الشيعــة كالشيــخ أبى محمــد الحسن بن موسى النوبختى من أهل القرن الرابع فى كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر

---

(٢٠٠) ملخصا فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٩ وما بعد.

فرق الشيعة وغيره[٢٠١].

وبقيت هناك فرقة اخرى ألا وهى : الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الامامية فانها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التى افترقت بعد موت الحسن العسكرى، ولكن لما لها من أهمية، وان هذا السرد الطويل لم يكن الا لأجلها، لأنه عند اطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر الى الذهن الآن الا هذه الفرقة. فنخصص لها بابا مستقلا فى تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية وتوارثها جميع الأفكار الموجودة فى الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين، كما سنذكر الفرق التى تفرقت منها وهى موجودة حتى الآن.

ونلفت ههنا أنظار القراء والباحثين الى أمر هام يجب الانتباه اليه وهو أن كل فرقة من فرق الشيعة التى ذكرناها فى هذا الباب سيجد القارىء من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التى حملها اولئك، أن كل واحدة منها أخذ حظا وافرا من السبئية أبناء اليهود، واغترفت غرفا كثيرة من الأديان الباطلة الاخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم، كما أن الشيعة بعد تطور التشيع الاول فى جميع أدوارهم وعصورهم التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث كما أرسخها مؤسس القوم عبد الله بن سبأ وشلته الماكرة.

(٢٠١) أعيان الشيعة للسيد محسن أمين القسم الأول الجزء الأول ص ٢٤.

الباب السادس

الشيعة الإثنا عشرية

إن الطائفة الإمامية الذين قالوا بإمامة الموهوم الذى سموه محمد بن الحسن العسكرى، يقول فيهم السمعانى فى (الأنساب) :

الإمامية جماعة من غلاة الشيعة، وإنما لقبوا بهذا اللقب لأنهم يرون الإمامة لعلىّ وأولاده ويعتقدون أنه لابد للناس من إمام وينتظرون إماما سيخرج فى آخر الزمان[١] ».

وهى الطائفة التى تسمى بالاثنى عشرية لاعتقادهم إمامة الاثنى عشر من على بن أبى طالب والحسن بن على وإمامة أخيه الحسين وإمامة زين العابدين على بن الحسين وإمامة محمد بن على الباقر وإمامة جعفر بن محمد الصادق وإمامة موسى بن جعفر الكاظم وإمامة على بن موسى الرضا وإمامة محمد بن على الجواد وإمامة على بن محمد الهادى وإمامة الحسن بن على العسكرى وإمامة محمد بن الحسن المهدى وهو الإمام الثانى عشر[٢] ».

ويسمون أيضا : الجعفرية باعتبار أن مذهبهم فى الفروع هو مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ونسب مذهبهم فى الفروع إليه باعتبار أن أكثره مأخوذ عنه[٣] ».

(١) الانساب للسمعانى .

(٢) الشيعة فى التاريخ ص٤٥ -٤٦ .

(٣) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص٢٠ .

ويسمـون أيضـا : الرافضة أو الروافض لرفضهم مناصرة أئمتهم ومتابعتهم وغدرهم بهم وعدم وفائهم لهم كما وصفهم عليّ رضى الله عنه بقوله :

لو ميزت شيعتى لما وجدتهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد[٤] » .

وكما قال على بن الحسين الملقب بزين العابدين أنه لم يبق أحد من شيعة الحسين إلا ارتدّ تخاذلا وجبنا ورفضا لنصرتهم إياه ، أللهم إلا الخمسة : أبو خالد الكابلى ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطيع وجابر بن عبد الله وشبكة التى كانت زوجة الحسين[٥] » .

ورفضهم مناصرة أئمتهم وخذلانهم إياهم وتركهم أوحادا فى المعارك والحروب التى هم أسعروا نيرانها معروف ومشهور ، ولقد ذكرنا بعض الوقائع منها فيما سبق ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب (مقاتل الطالبيين) للأصفهانى ، فإنه ليجد هناك المئات من أولاد على بن أبى طالب الذين دعوا إلى الخلافة والحكم ، ثم خذلوا ورفضوا من قبل الشيعة وقيل إنهم سموا بالروافض لرفضهم زيد بن على بن الحسين على مدحه أبابكر وعمر فقال زيد :

رفضونا اليوم ، ولذلك سموا هذه الجماعة بالرافضة[٦] .

وذكر الرازى مثل ذلك حيث قال :

إنما سموا بالروافض لأن زيد بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك ، فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا

(٤) كتاب الروضة من الكافى ج٨ ص٣٣٨ .
(٥) مجالس المؤمنين ص١٤٤ ط . طهران .
(٦) ناسخ التواريخ للمرزه تقى خان الشيعى ج٢ ص٥٩٠ .

فارس. فقال لهم: ـ أى زيد بن على ـ رفضتمونى؟. قالوا: نعم، فبقى عليهم هذا الأسم(٧)».

وأما قول من قال:

الرافضة لقب ينبز به من يقدّم عليا عليه السلام فى الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام، وإذا هاجت هائجة العصبية لم يتوقف فى إطلاقه على كل شيعى(٨)».

فليس إلا مبنيا على الجهل أو التجاهل فرارا من العار الذى لصق بهم أبد الدهر لأنه ورد فى بخارى القوم:

عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال: قلت لأبى عبد الله جعفر ـ الإمام السادس المعصوم حسب زعم الشيعة ـ: جعلت فداك فإنا قد نبزنا نبذاً أثقل ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا فى حديث رواه لهم فقهاؤهم، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: الرافضة؟ قلت: نعم، قال: لا والله ماهم سموكم ولكن الله سماكم به(٩)».

ويسمون أنفسهم الخاصة وغيرهم العامة ـ فعل اليهود ـ(١٠).

فهذه هى الاسماء المشهورة لهذه الطائفة، فالقائلون بالغائب الموهوم يسمون بهذه الاسماء التى ذكرناها، ثم إنهم تحيروا فى إثبات وجوده وولادته قبل ثبوت إمامته للشيعة وزعامته التشيع، فاضطربت فيه أقوالهم وتضاربت فيه آراؤهم، فقائل يقول: بأن أباه مات ولم ير له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر(١١)».

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٥٢.
(٨) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص١٧.
(٩) كتاب الروضة من الكافى جـ٥ ص٣٤.
(١٠) أنظر أعيان الشيعة جـ١ ص٢٠.
(١١) فرق الشيعة للنوبختى ص١١٨ ـ١١٩.

وقائل قال :

كان منه الحمل فى جارية له ولكنه بطل ذلك الحمل أوسقط كما ذكره الكلينى فى رواية طويلة له عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال: إن الحسن العسكرى لما مات :

صارت سرّ من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن جارية هنا بها حمل ، فجعلت فى حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل[١٢] » .

وقائل قال منهم : بل ولد لحسن بعده بثمانية أشهر[١٣] » .

والآخرون قالوا : ولد ذلك الموهوم قبل وفاته بسنتين :

فأما مولده بسرّمن رأى فى ثالث وعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين[١٥] » .

وقال قائلهم : كان مولده فى سنة ست وخمسين[١٥] » .

وقال قائل : لا بل ولد قبل وفاته بخمس سنوات :

وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[١٦] » .

وهكذا اختلف فى اسم الجارية التى قالوا إنها ولدته ، فقال

---

(١٢) كتاب الحجة من الكافى ج١ ص١٢٦ .

(١٣) فرق الشيعة ص١٢٦ .

(١٤) كشف الغمة للاربلى ج٣ ص٢٢٧ .

(١٥) منتهى الآمال للعباس القمى ص١١٩٨ الفارسى .

(١٦) الارشاد للمفيد ص٣٤٦، اعلام الورى للطبرسى ص٤١٩ .

قائلهم : إن اسمها نرجس[١٧] » .

وقيل : اسمها صقيل أو صيقل[١٨] » .

وقيل : حكيمة[١٩] » .

وقيل غير ذلك .

وعلى ذلك قال ابن حزم :

وقالت القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بأن محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حى لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم المهدى المنتظر، ويقول طائفة منهم : إن مولد هذا الذى لم يخلق قط فى سنة ستين ومائتين سنة موت أبيه ، وقالت طائفة منهم : بل بعد موت أبيه بمدة . وقالت طائفة منهم : بل فى حياة أبيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن على بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه ويقرأ القرآن ، وان أمه نرجس ، وانها كانت هى القابلة ، وقال جمهورهم : بل أمه صقيل ، وقالت طائفة منهم : بل أمه سوسن . وكل هذا هوس ، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا انثى ، فهذا أول نوك الشيعة ومفتاح عظياتهم وأخفها وان كانت مهلكة[٢٠]

ثم القصص التى اختلقت واخترعت لولادة هذا المولود الذى لم يولد قط وعن اختفائه عن الأعين ، عن الخاصة والعامة وعن الأقارب والأباعد ، وعدم علم أهل البيت وأهل الدار وعدم معرفتهم به . ثم

(١٧) الارشاد للمفيد ص٣٤٦ .

(١٨) كشف الغمة ج٣ ص٢٢٧ .

(١٩) أيضــــا .

(٢٠) الفصل لابن حزم ج٤ ص١٨١ .

وكيفية بلوغه إلى درجة الإمامة والاحاطة بجميع العلوم التى هى من خواص الإمامة ولوازمها عند القوم ، كل ذلك جعل القوم ينسجون الاساطير ويبالغون فى الأكاذيب لإثبات مُدعاهم الذى لم يثبت ولن يثبت لأن حكاياتهم الجديرة أن توصف بأنها خرافات وخزعبلات هى نفسها تشهد على فشلهم وخذلانهم فى إيجاد اللاموجود . ونسردللقارىء بعض هذه الخرافات لكى يعرف ويعلم كذب القوم وحقيقتهم الأصلية . ولأهمية الموضوع أردنا بعض التفصيل وخاصة إنها - أى الاثنى عشرية - هى الطائفة الوحيدة التى تدّعى التشيع الأصلى وكونهم الشيعة الأصليين وعلى وجود معدومهم يتأسس مذهبهم وتقوم ديانتهم

ولقد ذكر مفسر الشيعة وعلم من أعلامهم ، الذى يلقبونه بأمين الإسلام ومن علمائهم فى القرن السادس من الهجرة أبوعلى الطبرسى فى كتابه نقلا عن صدوق الشيعة وأحد أئمتهم فى الحديث، الذى جعلوه فى الصحاح الأربعة لهم، ابن بابويه القمى :

فمن الأخبار التى جاءت فى ميلاده (ع) ما رواه الشيخ أبوجعفر بن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن رزق الله عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة (عن حكيمة بنت محمد بن على) بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام قال: حدثتنى حكيمة بنت محمد بن الرضا (ع) قالت : بعث إلى أبومحمد الحسن بن على (ع) فقال : ياعمة اجعلى إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان وإن الله تعالى سيظهر فى هذه الليلة الحجة وهو حجة الله فى أرضه ، قالت فقلت له : ومن أمه؟ . قال : نرجس ، فقلت له : جعلنى الله فداك ما بها أثر، فقال : هو ما أقول لك ، قالت : فجئت فلما سلمت وجلست

جاءت تنــزع خفى وقـالت لى : ياسيـدتى كيف أمسيت؟ . فقلت : بل أنت سيــدتى وسيــدة أهلى ، قالت : فأنكـرت قولى وقـالت : ما هذا ، فقلت لها : يابنية إن الله تعالى سيهب لك فى ليلتك هذا غلاما سيداً فى الـدنيـا والآخرة ، قالت : فخجلت واستحييت ، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعى فرقدت فلما كان فى جوف الليل قمت إلى الصــلاة ففـرغت من صلاتى وهى قائمـة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ، ثم انتبهت أخرى وهى راقدة ، ثم قامت فصلت ونـامت ، قالت حكيمـة : وخـرجت اتفقـد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحـان وهى نائمـة ، قالت حكيمة : فدخلتنى الشكوك فصـاح بى أبـو محمـد من المجلس فقـال : لا تعجلى ياعمة فإن الأمر قد قرب ، قالت : فجلست فقرأت (الم السجدة) و (يس) فبينا أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها ، فقلت : اسم الله عليك ، ثم قلت لها : تحسين شيئا؟ قالت : نعم ، فقلت لها : اجمعى نفسك واجمعى قلبك فهو ما قلت لك .

قالت حكيمـة : ثم أخـذتنى فترة وأخـذتهـا فترة فانتبهت بحس سيـدى فكشفت الثـوب عنهـا فإذا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمسـاجـده فضممتـه إلى فإذا أنـا به نظيف منظف ، فصاح بى أبو محمد هلمى إلى ابنى ياعمـة! فجئت به إليـه فوضـع يديـه تحت أليتيـه وظهره ووضـع قدميـه على صدره ، ثم أدلى لسـانـه فى فيـه وأمر يده على عينيه وسمعـه ومفـاصله ثم قال : تكلم يابنى فقـال : أشهـد أن لا إلـه إلا الله وأشهـد أن محمـداً رسول الله . ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة (ع) إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم .

ثم قال أبو محمد : ياعمة! اذهبى به إلى أمه ليسلم عليها وائتينى

به فذهبت به فسلم ورددته ووضعته فى المجلس .

ثم قال عليه السلام : ياعمة إذا كان يوم السابع فائتينا، قالت حكيمة : فلما أصبحت جئت لأسلم على أبى محمد وكشفت الستر لأتفقد سيدى فلم أره فقلت له : جعلت فداك ما فعل سيدى؟ . قال : ياعمة استودعناه الذى استودعت أم موسى ، قالت حكيمة : فلما كان يوم السابع جئت وسلمت على أبى محمد فقال : هلمى إلى ابنى فجئت بسيدى وهو فى الخرقة ففعل به كفعلته الأولى ثم أدلى لسانه فى فيه كأنما يغذيه لبناً أوعسلا ، ثم قال : تكلم يابنى فقال أشهد أن لا إله إلا الله وثنى الصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة حتى وقف على أبيه (ع) ثم تلا هذه الآية (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»[٢١] .

وروى مثل ذلك بزيادات كثيرة خاتمة محدثى الشيعة ملاباقر المجلسى عن الكلينى صاحب (الكافى)، وعن ابن بابويه القمى ، وعن شيخ الطائفة الطوسى ، وعن السيد مرتضى الذى لقبوه بعلم الهدى وغيرهم[٢٢] .

ومؤرخ الشيعة ورجاليّهم ومحدثهم عباس القمى فى منتهى الآمال[٢٣] .

وروى القوم عن كبار محدثيهم ، عن ابن بابويه القمى ، وعن شيخ الطائفة الطوسى بأسانيد معتبرة معتمدة كما ذكروا خرافات كثيرة يخجل الإنسان بذكرها ويمجّها العقل ويزدريها الفكر ولكن أنّى لشاتمى

(٢١) اعلام الورى للطبرسى ص٤١٨ ـ ٤٢٠ ، روضة الواعظين للفتال النيسابورى الشيعى ص٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٢٢) جلاء العيون فارسى ص٧٧٠ وما بعد .

(٢٣) ص ١٢٠٤ وما بعد .

أصحاب الرسول الحياء والخجل، ومما ورد فيه أن حكيمة تقول :

" بدأت أقرأ على نرجس : إنا أنزلناه فى ليلة القدر، فأجابنى الجنين من بطنها يقرأ بمثل ما أقرأ، وسلمّ علىّ، ففزعت لما سمعت، فصاح بى أبو محمد عليه السلام : لا تعجبى من أمر الله إن الله تعالى ينطقنا صغارا بالحكمة ويجعلنا حجة فى أرضه كبارا، فلم يستتم الكلام حتى غيّبت عنى نرجس، فلم أرها كأنه ضرب بينى وبينها حجاب فعدوت نحو أبى محمد (ع) وأنا صارخة فقال لى : ارجعى "ياعمة فإنك ستجدينها فى مكانها قالت : فرجعت فلم ألبث إلى أن كشف الغطاء الذى بينى وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصرى فإذا أنا بالصبى عليه السلام ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدى رسول الله (ص) وأن أبى أمير المؤمنين ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه فقال : اللهم أنجزلى وعدى وأتمم لى أمرى، وثبت وطأتى وأملأ الأرض بى عدلا وقسطا فصاح بى أبو محمد (ع) وقال : ياعمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه فلما مثلت بين يدى أبيه وهو على يدى فسلم على أبيه فتناوله الحسن (ع) منى والطير يرفرف على رأسه ويناوله لسانه فيشرب منه ثم قال : امض به إلى أمه لترضعه ورديه إلى قالت فناولته أمه فأرضعته ورددته إلى أبى محمد والطير يرفرف على رأسه فصاح طير منها فقال له : احمله واحفظه ورده إلينا فى كل اربعين يوما فتناوله الطير وطار به فى جو السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت أبا محمد يقول : أستودعك الذى اودعته أم موسى، فبكت نرجس فقال : اسكتى فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أم موسى وذلك قول الله عز وجل : ﴿فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن﴾، قالت حكيمة : قلت

فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم العلم قالت حكيمة: فلما أن كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن أخى فدعانى فدخلت عليه فإذا أنا بصبى متحرك يمشى بين يديه فقلت ياسيدى هذا ابن سنتين فتبسم عليه السلام ثم قال: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشئون بخلاف ما ينشأ غيرهم وان الصبى منا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وإن الصبى منا ليتكلم فى بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد الله تعالى عند الرضاع وتطيف به الملائكة وتنزل عليه بالسلام صباحاً ومساءاً قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبى فى كل اربعين يوماً إلى أن رأيته رجلا قبل مضى أبى محمد بأيام قلائل فلم اعرفه فقلت لابن اخى (ع) من هذا الذى تأمرنى أن أجلس بين يديه؟ فقال لى: هذا ابن نرجس وهذا خليفتى من بعدى وعن قليل تفقدوننى فاسمعى وأطيعى»[٢٤].

ومثل ذلك روى الطبرسى أيضا فى أعلام الورى[٢٥].

وزاد: حدثنى نسيم الخادم قال: قال لى صاحب الزمان وقد دخلت بعد مولده بليلة، فعطست فقال: يرحمك الله، قال نسيم: ففرحت بذلك فقال: ألا أبشرك بالعطاس؟ فقلت: بلى، فقال: هو أمان من الموت إلى ثلاثة أيام»[٢٦].

وابن الفتال قال:

لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد: ابعثوا إلى أبى عمرو، فبعث إليه فصار إليه، فقال له: اشتر أربعة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف

(٢٤) جلاء العيون للمجلسى ص٧٧٢، منتهى الآمال للقمى ص١٢٠٦، روضة الواعظين ج٢ ص٢٥٩.

(٢٥) ص٤٢٠.

(٢٦) اعلام الورى ص٤٢٠.

رطل لحم وفرقه واحسبه

قال على بن هاشم : وعق عنه بكذا وكذا شاة .

وروى أنه لما ولد السيد (ع) رأيت له نورا ساطعا قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيورا بيضا تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير، فأخبرنا أبا محمد بذلك فضحك، ثم قال: تلك ملائكة السماء نزلت للتبرك بهذا المولود، وهى أنصاره إذا خرج»(٢٧) .

ولعاقل أن يعقل ويسأل : ولماذا الخوف، ثم الدخول فى السرداب مادامت الملائكة حاميته وأنصاره؟ .

ثم ولماذا كان البحث والتفتيش والتنقيب عن مولود للحسن العسكرى مادام أنه كان موجودا وقد بلغ الرشد وشبّ وترعرع؟ .

ثم وكيف حاز تركة الحسن أخوه جعفر مع وجود من يكون وارثا له من أولاده؟ .

ورابعا : ولماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ولهما من مكانة ومنزلة لا تخفى على أحد؟ . كما أن الحسين حسب زعم القوم هو أب الأئمة الذين خلفوا بعده ومع وجود رسول الله آنذاك، فكان صبيا عندما غادر رسول الله الدنيا وحتى بروايات القوم، ثم ومن غير المعدوم نمى هذا النمو وترعرع وشبّ بهذه العجلة؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

خامسا : وهل يصدّق بهذه الأقاصيص التى لم يحسن واضعوها صناعتها وصياغتها شخص لديه شىء من التعقل وقليل من الفكر؟ .

وهل حكايات الطير وغياب النرجس إلا الأباطيل التى يسامر بها

---

(٢٧) روضة الواعظين ص٢٦٠ .

المسامرون ويحيون بها الليالى فى الأندية والمقاهى؟ .

ثم وكيف خفى كل هذا على الهاشميين والأسرة العلوية مع من فيهم من أم الحسن وأخيه وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن الطومار الذى كان لديه سجلّ يدوّن فيه مواليد العلويين. وعلى ذلك لما ادعى أحد من الأدعياء أنه محمد بن الحسن العسكرى سنة ٣٠٢ وصل خبره إلى الخليفة المقتدر العباسى، فأمر باحضار مشائخ آل أبى طالب ونقيبهم للبتّ فى أمره، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكرى لم يعقب، فحبس الدعىّ وضرب شهر بين الناس(٢٨) .

فهذه القصص وهذه الخرافات بنفسها تشهد على فشل القوم فى إثبات المدّعى .

هذا وزيادة على ذلك اختلاف الشيعة أنفسهم وذهاب أكثرهم إلى إمامة الآخرين، والآراء المتعددة، بعد يأسهم عن ولادة ابن الحسن العسكرى وعن وجوده بعده .

وأخيرا ننقل ذلك الخبر الموثوق، المعتمد لدى القوم والمنقول فى أصح كتبهم، فى (الكافى) ما هو فصل قاطع فى الموضوع، وذلك ما رواه الكلينى عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو شيعى مشهور معلن تشيعه وموالاته للحسن العسكرى أن الحسن العسكرى :

لما اعتل بعث السلطان إلى أبيه أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم

(٢٨) تاريخ طبرى ج١٣ ص٢٦ -٢٧ تحت حوادث سنة ٣٠٢هـ .

بالاختلاف إليه وتعاهده صباحا ومساء، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به فى دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلا ونهارا، فلم يزالوا هناك حتى توفى عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت فى حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك فى تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنو هاشم والقواد وأبى وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سرمن رأى يومئذ شبيها بالقيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبى عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بنى هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال :

هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وأمر بحمله من وسط داره ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبيه .

ولما دفن أخذ السلطان والناس فى طلب ولده وكثر التفتيش فى المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت

ذلك عند القاضى»[٢٩] .

وذكر هذا الخبر جميع مؤرخى الشيعة ومؤلفيهم ومحدثيهم من المفيد فى الإرشاد[٣٠] والطبرسى فى أعلام الورى[٣١] والأربلى فى كشف الغمة [٣٢] والملا باقر المجلسى فى جلاء العيون[٣٣] وصاحب الفصول فى الفصول المهمة[٣٤] والعباس القمى فى منتهى الآمال[٣٥] .

فهذا هو الخبر الذى رواه جميع مؤرخى الشيعة ومحدثيها قد يهدم ما أرادوا بناءه على الأساطير والقصص والحكايات والخرافات من ولادة الثانى عشر المعدوم ونشأته وإمامته .

ثم ولقد أقرّ بهذه الحقيقة الناصعة كبار القوم وزعماؤهم بأن الحسن العسكرى مات :

فلم يظهر ولده فى حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته ، وتولى جعفر بن على أخو أبى محمد (ع) وأخذ تركته ، وسعى فى حبس جوارى أبى محمد واعتقال حلائله . . . وحاز جعفر ظاهرا تركة أبى محمد عليه السلام واجتهد فى القيام عند الشيعة مقامه»[٣٦] .

ولماذا قالوا بولادة هذا المعدوم ؟

ثم ان القوم لم يضطروا إلى إيجاد هذا المعدوم واختلاق هذا الموهوم إلا فرارا من الاسئلة التى تطرح عليهم من قبل مخالفيهم وهربا من المآزق

(٢٩) كتاب الحجة من الكافى ص٥٠٥ .

(٣٠) ص٣٣٩ .

(٣١) ص٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

(٣٢) ج٣ ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٣٣) تحت ذكر المهدى .

(٣٤) أيضـــا .

(٣٥) أيضـــا .

(٣٦) الارشاد للمفيد ص٣٤٥، اعلام الورى للطبرسى ص٣٨٠، كشف الغمة ج٣ ص٢٠٥

التى كانوا يقعون فيها حسب الأسس التى اخترعوها والقواعد التى ابتدعوها والأصول التى أوجدوها هم أنفسهم لبيان أوصاف الإمام وخصائله والشروط التى توجد فيه واللوازم التى تلزمه إياه، فإنهم قالوا :

ان الإمام لا يموت حتى يوصى، ويكون له خلف(٣٧) .

وذكر الكلينى عن جعفر أنه قال :

لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده، فيوصى إليه»(٣٨) .

ثانيا : لا يكون إلا فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب كما روى الكلينى عن جعفر أنه قال :

لا تعود الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من على بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾، فلا تكون بعد على بن الحسين إلا فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب»(٣٩) .

وروى الكلينى عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال :

قلت لأبى عبد الله عليه السلام : إن كان كون ـ ولا أرانى الله ـ فبمن أئتم؟ فأومأ إلى ابنه موسى، قال: قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده، قلت: فإن حدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا فبمن أئتم؟ قال: بولده ثم واحدا فواحدا. وفى نسخة الصوافى: ثم هكذا أبدا»(٤٠) .

(٣٧) فرق الشيعة للنوبختى ص١٢٣ .

(٣٨) الأصول من الكافى كتاب الحجة، باب ان الإمام يعرف الإمام الذى يكون من بعده ج١ ص٢٧٧ .

(٣٩) أيضا، باب اثبات الإمامة فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب وانها لا تعود فى أخ ولا عم ج١ ص٢٨٦ .

(٤٠) أيضـــا .

وتوتيقا لهذه القاعدة وتأكيدا لها نقلوا عن على بن موسى الرضا أنه سئل :

أتكون الإمامة فى عمّ أو خال؟ فقال: لا ، قيل : ففى أخ؟ قال: لا ، قيل : ففيمن؟ قال: فى ولدى، وهو يومئذ لا ولد له»[٤١] .

ويقصد بذلك لابد أن يولد له ولد لأن وجوده من أحد الأدلة على صحة الإمامة .

ثالثا : ولا يكون إلا فى الكبير . كما روى الكلينى عن على بن موسى أنه قال :

للإمام علامات، منها أن يكون أكبر[٤٢] ولد أبيه»[٤٣] .

وكما رووا عن جعفر أنه قال :

ان الأمر فى كبير ما لم تكن فيه عاهة»[٤٤] .

ومثل ذلك قال على بن موسى بن جعفر حينما سئل عن دلالة صاحب هذا الأمر فقال :

الدلالة عليه الكبر»[٤٥] .

رابعا : قالوا : إن الإمام لا يغسّله إلا الإمام . كما نقلوا عن على الرضا أنه قال :

إن الإمام لا يغسّله إلا إمام من الأئمة عليهم السلام»[٤٦] .

خامسا : يستوى عليه درع رسول الله ﷺ كما رووا عن الباقر أنه بيّن علامات الإمام فقال: ومنها: وإذا لبس درع رسول الله صلى الله

(٤١) أيضـــا .

(٤٢) وهذا هو الدليل القوى والحجة القاطعة للاسماعيلية بأن الإمام كان بعد جعفر اسماعيل ابنه لأنه هو أكبر أبنائه .

(٤٣) الأصول من الكافى ج١ ص٢٨٤ .

(٤٤) الأصول من الكافى كتاب الحجة، باب الأمور التى توجب حجة الإمام ج١ ص٢٨٤ .

(٤٥) أيضـــا .

(٤٦) أيضا، باب ان الإمام لا يغسله إلا إمام ص٣٨٤ .

عليـه وآلـه كان عليه وفقا، وإذا لبس غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليهم شبرا»(٤٧) .

ومثـل ذلـك روى ابن بابـويـه القمى عن على بن موسى الرضا ـ الإمام الثامن للشيعة ـ أنه قال :

ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله»(٤٨) .

وبـذلـك استـدل جعفـر بن الباقر على إمامة موسى ابنه ـ حسب زعمهم ـ كما يروى عبد الرحمن بن الحجاج أنه قال لجعفر :

جعلنى الله فداك، قد عرفت انقطـاعى إليـك، فمن ولى الناس بعدك؟ فقال : إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه»(٤٩) .

سادسـا : ويكـون عنـده سلاح رسـول الله كما روى الكلينى عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

والسـلاح فينـا بمنزلة التابوت فى بنى اسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيث ما كان»(٥٠) .

وبمثل ذلك قال جعفر :

يعـرف صاحب هذا الأمـر بثلاث خصال : لا تكون إلا فيه : هو أولى الناس بالذى قبله وهو وصيه وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله»(٥١) .

سابعـا : لا يكـون الإمـام إلا من يكـون أشجـع النـاس وأعلم الناس، كما روى الكلينى عن أبى الحسن أنه قال :

(٤٧) أيضا، باب مواليد الأئمة ج١ ص٣٨٩ .
(٤٨) عيون أخبار الرضا، باب ما جاء عن الرضا فى علامات الإمام ج١ ص٢١٣ .
(٤٩) الأصول من الكافى ج١ ص٣٠٨ .
(٥٠) أيضـا ص٢٨٤ .
(٥١) أيضـا ص٣٧٩ .

نحن فى العلم والشجاعة سواء»[٥٢] .

وكما روى الحر العاملى عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

الإمام أحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من الفضل الوهاب»[٥٣] .

وروى ابن بابويه القمى أيضا عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

للإمام علامات، يكون أعلم الناس وأشجع الناس»[٥٤] .

ثامنا : إن الإمام لا يحتلم ولا يجنب كما رووا ذلك عن على بن موسى بن جعفر»[٥٥] .

تاسعا : إن الإمام يعلم بما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليه شىء، وعنده جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل ويعرفها على اختلاف ألسنتها[٥٦] .

وأشياء كثيرة كثيرة .

ولقد ذكر ابن بابويه القمى عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

للإمام علامات : يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد مختوناً، ويكون مطهرّاً، ويرى من خلفه كما يرى من بين

(٥٢) أيضا ص٢٧٥ .

(٥٣) الفصول المهمة، باب يجب أن يكون الإمام أعلم الناس ص١٤٢ ط. قم. إيران .

(٥٤) كتاب الخصال لابن بابويه القمى ج٢ ص٥٢٨ ط. طهران .

(٥٥) أنظر عيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٣، كتاب الخصال ج٢ ص٥٢٨ .

(٥٦) الكافى للكلينى، كتاب الحجة ج١ ص٢٢٧، ٢٦٠، الفصول المهمة للحر العاملى ص١٥٥ .

يديه، ولا يكون له ظلٌّ، وإذا وقع على الأرض من [بطن] أُمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه. ويكون محدَّثاً ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يرى له بول ولا غائط لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه. ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى الناس منه بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم، وأُمّهاتهم، ويكون أشدَّ الناس تواضعاً لله عزَّ وجلَّ، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به وأكفَّ الناس ع ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى لو أنّه دعا على صخرة لانشقّت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذ الفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة وهى صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتّى أرش الخدش وحتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام

وفى حديث آخر إنَّ الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله ع وجلَّ عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلّما احتاج إليه لدلالة اطّلع عليه»(٥٧)

وأخيرا عن جعفر أنه قال :

لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»(٥٨)

وقال :

(٥٧) كتاب الخصال للقمى ص٥٢٧، ٥٢٨

(٥٨) الأصول من الكافى، باب ان الأرض لا تخلو من حجة ج١ ص١٧٩

لو لم يبق من الأرض إلا اثنان فأحدهما الحجة»(٥٩) .

هذه هى الأسس الكبيرة التى وضعوا عليها بناء إمامة أئمتهم ، ولما وجدوا أن أكثر الذين يعتقدون فيهم الإمامة ولا تنطبق عليهم هذه الصفات ولا يصدق عليهم هذه الشروط حيث إن بعضهم ليس بأكبر ولد أبيه مثل موسى الكاظم والحسن العسكرى ، وبعضهم لم يغسّله إمام مثل على بن موسى بن جعفر ، فإن ابنه محمد الجواد لم يتجاوز الثامنة من عمره آنذاك .

وكذلك موسى بن جعفر فإن ابنه على الرضا لم يغسّله لغيابه عنه عندئذ .

والجدير بالذكر أن محمد بن الرضا ـ الإمام الثامن من عندهم ـ كان بالمدينة حين وفاته(٦٠) .

وكذلك الحسين بن على لم يثبت أنه غسّله ابنه على زين العابدين لملازمته الفراش ولحيلولة عساكر ابن زياد دون ذلك .

وبعضهم لا يستوى عليه درع رسول الله مثل محمد بن على الرضا ، فإنه لم يتجاوز الثامنة عند وفاة أبيه ، وكذلك ابنه على بن محمد مات عنه وهو صغير .

ومنهم مَن لم يكن عنده سلاح رسول الله ، ولو كان عنده لما نازعه فى الأمر أخوه زيد ، وكموسى بن جعفر حيث نازعه عبد الله الأفطح وغيره .

ومنهم من لم يكن أعلم الناس ، فكيف يكون الصبى أعلمهم ، وقد نقل عن القوم أنفسهم بأن من يظنونه إماما من الصبيان قد وكل أمرهم إلى الآخرين إلى أن يستأنس منهم الرشد والعلم ، وكذلك فقد

(٥٩) أيضـــا
(٦٠) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٤٩ .

شكّ كبار الشيعة وزعماؤهم حتى فى علم جعفر بن الباقر، فهذا هو زرارة بن أعين كبير رواة القوم، الذى قال فيه جعفر نفسه :

رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبى»[٦١] ..

فهذا زرارة قال عن جعفر وأبيه :

رحم الله أبا جعفر، فإن فى قلبى عليه لفتة»[٦٢] .

وقال فيه أيضا : وصاحبكم أيضا ليس له بصر بكلام الرجال»[٦٣]

ومثل ذلك حكموا فى علم ابنه موسى ، والقائل هو أبو بصير المرادى أحد الأركان الأربعة فى رواية الحديث الشيعى ، وأبو بصير هذا هو الذى بشره جعفر بن محمد بالجنة[٦٤] .

فلقد ذكر الكشى عن شعيب الأقرقوفى أنه ذكر أبا الحسن عنده، فقال أبو بصير : أظن صاحبنا ماتناهى حكمه بعد، وفى رواية أظن صاحبنا ما تكامل علمه»[٦٥] .

وأما الشجاعة فبعد الحسين بن على لم يكن واحد منهم معروفا بهذا الوصف بين الناس حسب روايات الشيعة، بل كل ما نقل عنهم يدل على عكس ذلك، فلم يخرج واحد منهم ضد الحكام ولا السلاطين، بل خلاف ذلك، كان منهم من أقرّ بعبوديته لهم، ومنهم متخاذل عن نصرة بنى عمومته الخارجين على الأمراء والولاة، ومنهم متجنب محترز محتاط ومنهم داع إلى التزام الولاء والإطاعة لهم كما ذكرنا كل ذلك فى الباب السابق .

(٦١) رجال الكشى ص١٢٤ .

(٦٢) أيضا ص١٣١ ، تحت ترجمة زرارة ابن أعين .

(٦٣) أيضا ص١٣٣ .

(٦٤) أنظر رجال الكشى ص١٥٢ تحت ترجمة ابى بصير المرادى .

(٦٥) أيضا ص١٥٤ .

وهذا كله حسب روايات القوم أنفسهم، وما فعله الحسن وما قالوه له وفيه فمعروف ومشهور.

ومنهم من جاء النص بأنه كان يجنب ويحتلم كعلى بن أبى طالب والحسن والحسين، ورووا النص عن رسول الله ﷺ أنه قال:

لا يحل لأحد يجنب فى هذا المسجد إلا أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين»(٦٦).

وأما العلم بما كان وما يكون فلو كان كذلك لم يختلف أجوبتهم على السائلين لعلمهم أنهم من مخلصى شيعتهم، لأنهم عند ذاك علموا بأنهم ليسوا من المخالفين كما ذكر ذلك النوبختى:

«عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها بجواب، ثم عاد إليه فى عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبى جعفر: هذا خلاف ما أجبتنى فى هذه المسألة العام الماضى، فقال له: ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشكك فى أمره وإمامته فلقى رجلا من أصحاب أبى جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له: انى سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابنى فيها بجواب ثم سألته عنها فى عام آخر فأجابنى بخلاف جوابه الأول، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: فعلته للتقية، وقد علم الله أنى ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتينى به وقبوله والعمل به فلا وجه لاتقائه إياى وهذه حالى فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه؟ فقال: ما حضر مجلسه فى واحدة من المسألتين غيرى لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به فى العام الماضى فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال: لا يكون إماماً

(٦٦) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٦٠.

من يفتى بالباطل على شىء»(٦٧) .

ومثل ذلك ذكر الكلينى فى (الكافى) عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر قال :

سألته عن مسألة فأجابنى ، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى ، فلما خرج الرجلان قلت :

ياابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال : يازرارة ، ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم ، ولو أجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

قال : ثم قلت لأبى عبد الله عليه السلام : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال : فأجابنى بمثل جواب أبيه»(٦٨) .

وكذلك لو كانوا يعلمون الغيب لما قتل البعض منهم ومات الآخرون مسمومين حسب روايات القوم ، فانهم قالوا :

لم يكن إمام إلا مات مقتولا أو مسموما(٦٩) .

لأنهم عند ذلك علموا بذلك .

وأما التكلم بجميع اللغات فليس إلا من الأساطير التى اختلقها القوم للضحك على عقول الناس .

فهذه هى الأشياء التى جعلت الشيعة فى موقف حرج ومأزق لا يرجى منه الخروج .

(٦٧) فرق الشيعة للنوبختى ص٨٠ ـ ٨١ .
(٦٨) الأصول من الكافى ، كتاب العلم باب اختلاف الحديث ج١ ص٦٥ .
(٦٩) الأصول من الكافى ج١ ص٣٧٥ ، عيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٤ .

وعندما لم يولد مولود للحسن العسكرى رأوا أن جميع قواعدهم قد انهارت، وأسسهم قد انهدمت، ولم يبق مجال للتأويل الذى كانوا يتأولون به فى السابق والسابقين، ورأوا أنه لا مخلص ولا منجى منه إلا أن يوجدوا معدوما ليتخلصوا به فى المستقبل عن جميع الاسئلة التى تنجم عن عدم وجود تلك الأوصاف التى وضعوها كالعلامات للإمام، هذا وزيادة على ذلك كانت إمامة الحسن العسكرى معرضة للخطر حيث لم تنطبق عليه علامات كثيرة، منها أنه لم يعقب ولم يخلف .

ثم ولم يوص إلى من بعده .

ولم يغسّله إمام كذلك .

ولم يستو بعده على أحد درع رسول الله .

ومن لا يكون موجودا كيف يحكم عليه بأنه عالم وشجاع .

وأخيرا خليت الأرض من حجة، وبقيت بلا إمام ولم تسخ .

فحاروا واضطربوا ولم يجدوا جوابا لأن عدم وجود المولود للحسن العسكرى لم يكن ليقضى على إمامة الحسن العسكرى فحسب، بل كان يتخطى إلى هدم إمامة الآخرين أيضا حيث إنهم هم الذين رسخوا هذه القواعد التى ـ طالما انكسرت وانعدمت فى الكثيرين منهم ـ لأنه بذلك يخطى نبوءاتهم ويغلط أقاويلهم وهم معصومون عن الخطأ والزلل، لا ينطقون إلا بما يُلهَمون، فهذا هو النوبختى وهو الشيعى المتعصب المشهور، من أكابر هذه الطائفة وعظماء هذه السلالة، متكلم فليسوف إمامى الاعتقاد(٧٠) يصرّح بعبارة واضحة لا غبار عليها بأن الشيعة تحيّروا بعد موت الحسن وذهبوا إلى آراء مختلفة متعددة، وتفرقوا فرقا كثيرة متنوعة :

(٧٠) مجالس المؤمنين للتسترى ص١٧٧ .

ففرقة قالت : إن الحسن حىّ لم يمت وإنما غاب وهو القائم - وسبب هذا القول؟ - ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من إمام .

وفرقة قالت : إن الحسن بن على مات وعاش بعد موته . . . ولو كان له ولد لصحّ موته ولا رجوع ، لأن الإمامة تثبت لخلفه وما أوصى لأحد .

وفرقة قالت : إن جعفر هو الإمام لا الحسن ، وتوفى الحسن لا عقب عليه ، وإن الإمام لا يموت حتى يوصى ، ويكون له خلف .

وفرقة قالت : إن الإمام بعد على لم يكن جعفراً لأن فيه خصالا مذمومة وهو بها مشهور ، ولا الحسن لأنه قد توفى ، ولا يجوز أن يموت الإمام بلا خلف ، ولذلك الإمام بعد على هو ابنه محمد المتوفى فى حياة أبيه .

وفرقة قالت : إن الإمام بعد على الحسن وبعد الحسن أخوه جعفر ، وأما ما روى عن جعفر بأنه لا تكون الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين عندما يكون للماضى خلف من صلبه ، وإذا لم يكن رجعت إلى أخيه ضرورة .

وأقاويل كثيرة .

فعند ذلك اضطروا إلى أن يقولوا إن للحسن ابنا ، كيف يكون امام قد ثبتت إمامته ووصيته وجرت أموره على ذلك وهو مشهور عند الخاص والعام ، ثم يتوفى ولا خلف له .

وفرقة منهم ردّت عليهم وقالوا :

لا ولد للحسن أصلا لأنا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم نجده ولو جاز لنا أن نقول فى مثل الحسن وقد توفى ولا ولد له أن له ولداً

خفياً لجاز مثل هذه الدعوى فى كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك فى النبى صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابناً وأن أبا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير أبى جعفر أحدهم الإمام لأن مجىء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجىء الخبر بأن النبى صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكراً من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنا ولا كان للرضا اربعة بنين فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح فى سرية له وستلد ذكراً إماما متى ولدت فانه لا يجوز أن يمضى الإمام ولا خلف له فتبطل الإمامة وتخلو الأرض من الحجة .

وردّت عليهم طائفة فقالوا : واحتج أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا أمراً قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلا قائماً فإن كنتم اجتهدتم فى طلب الولد فلم تجدوه فانكرتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم فاستقصينا فى ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده فنحن فى الولد أصدق منكم لأنه قد يجوز فى العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف فى الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه والأمر الذى ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون اكثر من تسع أشهر وقد مضى للحبل الذى ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وفرقة قالت : ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر، وان الذين ادعوا ولدا فى حياته كاذبون مبطلون فى دعواهم ، لأن ذلك لو كان لم يخف ولكنه مضى ولم يعرف له ولد ، وقد كان الحبل فيما مضى قائما ظاهرا ثابتا عند السلطان وعند سائر الناس ، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك

حتى بطل بعد ذلك عند السلطان وخفى أمره فقد ولد بعد وفاته بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو مستورا لا يرى .

وأخيرا قالت الفرقة الثانية عشرة وهم الإمامية : ليس القول كما قال هؤلاء كلهم بل لله عز وجل حجة من ولد الحسن بن على ، ولا تكون الإمامة فى الاخوين بعد الحسنين ، ولو جاز ذلك لصحّ قول أصحاب إسماعيل بن جعفر ومذهبهم ، ولثبت إمامة محمد بن جعفر ، وأيضا لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها .

وعلى ذلك نحن مقرّون بوفاة الحسن ، معترفون أن له ولدا قائما من صلبه وأنه مخفىّ ، وليس للعباد أن يطالبوا آثار ما سترت عنه ، ولا يجوز ذكر اسمه ، ولا السؤال عن مكانه ، وطلبه محرّم لا يحل ولا يجوز»(٧١) .

فهذه هى الحقيقة الناصعة التى تنبىء عن ضرورة إيجاد المولود للحسن العسكرى مستغنية عن التعليق والتعقيب عليه .

بماذا أثبتوا إمامة أئمتهم؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن القوم لم يثبتوا إمامة أئمتهم مع ادعائهم النص والإشارة بأنه لا يكون الشخص إماما إلا حينما يكون منصوصا عليه من قبل إمام قبله وهو يشير إليه بأنه هو المنصوص ، ولقد بوّب القوم فى كتبهم أبوابا مستقلة فى هذا المعنى مثل الكلينى وغيره فإنهم بوّبوا بعنوان «باب الإشارة والنص» لكل واحد من أئمتهم المزعومين ، ولكنه من العجائب أن أئمتهم أنفسهم من قبلهم لم يثبتوا إمامتهم بهذا حسب روايات القوم ولا بالشروط التى ذكروها من الوصية

(٧١) ملخص ما كتبه النوبختى فى كتابه (فرق الشيعة) ص١١٩ وما بعد .

والكبر واستواء درع الرسول عليهم ووجود سلاح رسول الله عندهم وغسلهم آباءهم، وكونهم الأعلم والأشجع وإحاطتهم علم الغيب وغير ذلك من الأوصاف والخصائل التى جعلوها علائم للإمامة وشروطا لها، والتى ذكرناها آنفا، بل عكس ذلك إلتجئوا لإثبات مدعاهم إلى الشعبذات والنيرنجيات وفنون من السحر حسب زعم الشيعة، ولو عندهم الوصية وعليهم النص وإليهم الإشارة لما التجئوا إليها. فمثلا يذكرون أن على بن الحسين الملقب بزين العابدين جاءت إليه امرأة من شيعة على والحسن والحسين، وقد بلغت من الكبر عتيا، فقالت :

أتيت على بن الحسين عليهما السلام وقد بلغ بى الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعا وساجدا أو مشغولا بالعبادة فيئست من الدلالة فأومأ إلىّ بالسبابة فعاد الىّ شبابى »[٧٢].

ومثل ذلك ذكروا لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى على بن الحسين وقال له :

. قتل أبوك رضى الله عنه وصلى على روجه ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك، وولادتى من على عليه السلام فى، سنّى وقديمى أحق بها منك فى حداثتك، فلا تنازعنى فى الوصية ولا الإمامة ولا تحاجّنى . . . فردّ عليه على بن الحسين ـ انطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكمّ عليه ونسأله عن ذلك، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال على بن الحسين لمحمد بن الحنفية : ابدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل وسله أن ينطق لك الحجر، ثم سل، فابتهل محمد فى الدعاء وسأل الله، ثم دعا الحجر فلم يجبه . . . ثم دعا الله على بن الحسين عليهما السلام . .

(٧٢) الكافى فى الأصول، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل فى أمر الإمامة ج١ ص٣٤٧ .

فتحـرك الحجـر حتى كاد أن يزول عن موضعـه، ثم أنطقـه الله عز وجل بلسان عربى مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة إلى على بن الحسين»(٧٣) .

وكـما نقلوا عن موسى بن جعفـر أنـه لما حصل بينه وبين أخيه عبد الله ـ وكان أكبر ولد جعفر ـ خلاف فى الإمامة :

أمـر موسى بجمـع حطب فى وسط الدار وأرسل إلى أخيه عبد الله يسألـه أن يصـير إليـه، فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الإمامية، فلما جلس موسى أمر بطرح النار فى الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمرا، ثم قام موسى وجلس بثيابه فى وسط النار وأقبـل يحدث النـاس ساعـة، ثم قام فنفض ثوبـه ورجع إلى المجلس، فقـال لأخيـه عبـد الله : ان كنت تزعم أنـك الإمام بعد أبيك فاجلس فى ذلك المجلس»(٧٤) .

وذكـر الكلينى قصة أخرى لإثبات إمامة موسى بن جعفر وأحقيته بها من موسى وإسـماعيـل وغـيرهما من إخوته الكبار بأن شخصا جاء إلى موسى بن جعفر فسأله عن الإمام من هو؟ . فقال :

إن أخــبرتـك تقبـل؟ . قال: بلى جعلت فداك؟ قال: أنـا هو، قال: فشيىء أستدل به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة ـ وأشار بيده إلى أم غيـلان ـ فقـل لها: يقـول لك موسى بن جعفر: أقبلى، قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدّ الأرض خدّا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت»(٧٥) .

وكـذلـك أثبتـوا إمـامـة محمد بن على الرضا أنه جاء إليه شخص

---

(٧٣) أيضا ج١ ص٣٤٨، اعلام الورى للطبرسى ص٢٥٨ ـ٢٥٩ .

(٧٤) كشف الغمة للأربلى ج٣ ص٣٧ .

(٧٥) الأصول من الكافى ج١ ص٢٥٣، اعلام الورى للطبرسى ص٣٠٢ .

فقـال: والله إنى اريـد أن أسألـك مسألة وانى والله لاستحيى من ذلك، فقال لى: أنـا أخـبرك قبل أن تسألنى، تسألنى عن الإمام؟ فقلت: هو والله هذا، فقــال: أنـا هو، فقلت علامـة؟ فكـان فى يده عصـا فنطقت وقالت: إن مولاى إمام هذا الزمان وهو الحجة»(٧٦).

وبهـذا عارضـوا أصولهم وأساسهم بأن الإمامة لا تثبت إلا بالنص والاشارة، ولا يكون الإمام إلا منصوصا، مشار إليه من الإمام الذى قبله حيث إن أئمتهم حسب روايـاتهم لم يختلفـوا مع أئمتهم ولم يحصل النزاع بينهم إلا لعدم وجود النص والوصية والإشارة وعدم شهرتها حتى بين أبناء أب واحد وإلا لما اضطروا إلى هذه الخزعبلات.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى النص الذى جعلوه مثبتا لإمامة أئمتهم ليس إلا مجرد الـدعـوى ولا دليـل قائم معـه كما ذكـر ابن حزم فى فصله رادّا على الشيعة وعلى ادعائهم النص:

ان عمدة احتجاجكم فى ايجاب إمامتكم التى تدعيها جميع فرقكم انما هى وجهان فقط، أحدهما النص عليه باسمه والثانى شدة الفاقة إليه فى بيـان الشـريعـة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد، فأخبرونى بأي شيء صار محمـد بن على بن الحسـين أولى بالإمامة من إخوته زيد وعمر وعبد الله وعلى والحسين فان ادعوا نصاً من أبيه عليه أو من النبى ﷺ أنه البـاقـر، لم يكن ذلـك ببدع من كذبهم ولم يكونوا أولى بىنك الدعوى من الكيسانية فى دعواهم النص على ابن الحنفية، وان ادعوا أنه كان أفضل من اخوته كانت أيضاً دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره، وكذلك يسألون أيضاً ما الذى جعل موسى بن جعفر أولى بالإمامة من أخيه محمد

(٧٦) الأصول من الكافى ج١ ص٣٥٣.

أو اسحاق أو على؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلا، وكذلك أيضاً يسألون ما الذى خص على بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكراً؟ فلا يجدون شيئاً غير الدعوى، وكذلك يسألون ما الذى جعل محمد بن على بن موسى أولى بالإمامة من اخيه على بن على وما الذى جعل على بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد وما الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن على؟ فهل هاهنا شىء غير الدعوى الكاذبة الذى لا حياء لصاحبها، والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد الله بن الحسن أو لأخيه الحسن بن الحسن أو لابن أخيه على بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة أو لأخيه إبراهيم أو لرجل من ولد العباس أو من بنى أمية أو من أى قوم من الناس كان لساواهم فى الحماقة، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين، ولو قلت أو رقعة من الحياء، فبطل وجه النص»(٧٧).

وعلاوة على ذلك يقول الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الروافض ـ كما سماهم الله ـ ان الإمام لا يكون إلا معصوما من الاخطاء ومنصوبا من قبل الله عز وجل، ولا يكون فى عنقه بيعة أحد غيره.

أما كونه معصوما من قبل الله عز وجل فلا يخلو كتاب من كتبهم التى تذكر مسألة الإمامة إلا وقد ذكروا فيه هذا، وهذا أمر مشهور مستغن عن ذكر مصدره ومرجعه.

وأما أن الإمام لا يكون فى عنقه بيعة أحد فكما ذكر الكلينى أن هشام بن سالم دخل على موسى بن جعفر بعد وفاة أبيه وهو باك حيران لا يدرى إلى أين يتوجه ولا من يقصد، إلى المرجئة؟. إلى القدرية؟. إلى

(٧٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤ ص١٠٢ ـ١٠٣

الزيدية؟ . إلى المعتزلة؟ . إلى الخوارج؟ . فقال له :

جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ . قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قال: قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ . ما أقول ذلك، قال: قلت فى نفسى : لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له : جعلت فداك عليك إمام؟ قال: لا ، فداخلنى شىء لا يعلم إلا الله عز وجل إعظاما له وهيبة أكثر مما كان يحلّ بى من أبيه إذا دخلت عليه»(٧٨) .

وقد ورد مثل ذلك فى كثير من كتب الشيعة بأن الإمام لا يكون إماما وفى عنقه بيعة أحد .

هذا وإكمالا للبحث وإتماما للفائدة نلقى نظرة عابرة حول هذه الأوصاف ولوازم الإمامة الثلاثة ليشمل البحث جميع الجوانب المهمة فى هذا المبحث، فنقول :

إن العصمة التى جعلوها من خواص الإمام ولوازمه ، واحتجوا بها على إمامة أئمتهم بأنه لم يكن أحد معصوما غيرهم(٧٩) .

فإنها لم تثبت لهم أيضا ، وأحوالهم وأقوالهم تشهد على ذلك ، فان عليا رضى الله عنه ـ وهو الإمام المعصوم الأول حسب زعم الشيعة ـ اختلف معه ابنه الأكبر حسن السبط ـ وهو الإمام الثانى المعصوم عند القوم ـ فى مسألة أخذه البيعة من الناس بعد استشهاد عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، وكما اختلف معه أيضا فى خروجه لمحاربة مطالبى دم عثمان كما مرّ ذكره فى الباب الثانى من هذا الكتاب . ويلزم من ذلك أن واحدا منهما كان مصيبا والثانى مخطئا أعنى الإمام الأول وهو على ، أو الإمام الثانى وهو الحسن ، لأن واحدا منهما يرى رأيا والثانى يخالفه فلابد

(٧٨) الأصول من الكافى ، كتاب الحجة ، باب ما يفصل به بين دعوة الحق والمبطل فى أمر الإمامة ج١ ص٣٥١ ـ٣٥٢ .

(٧٩) أنظر منهاج الكرامة للحلى ص٧١ وغيره .

من أن يكون أحدهما على صواب والآخر على خطأ .

ثم ولقد ثبت فى التاريخ أن عليا رضى الله عنه صوّب رأى الحسن بعد كارثة الجمل وتأسف على عدم أخذه برأى الحسن وتقيده به .

وثانيا : لقد أقر بصدور خطأ وامكان الوقوع فيه، على رضى الله عنه نفسه حيث قال :

لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنى لست آمن أن أخطىء[٨٠]

وثالثا : لقد ذكر المؤرخون أن الحسن رضى الله عنه لما أراد الصلح مع معاوية خالفه فى ذلك مع من خالفه أخوه الحسين ـ وكلاهما إمامان معصومان عند الشيعة ـ لكن الحسن لم يلتفت إلى رأى الحسين وصالح معاوية وكان الحسين يبدى الكراهة من صلح الحسن مع معاوية ويقول :

لو جزّ أنفى كان أحب إلىّ مما فعله أخى»[٨١] .

والظاهر أن واحدا منهما كان مصيبا والآخر مخطئا .

هذا ومثل هذا كثير .

وأما كونه منصوبا من قبل الله عز وجل فأيضا ليس إلا دعوى مجردة عن الدليل، ولم ينزل الله به من سلطان، ولكل أن يدعى بأن الله هو الذى نصبه مادام أن الوحى منقطع ونزول جبريل على أحد مسدود .

وأما أن الإمام لا يكون إماما إلا ولا يكون فى عنقه بيعة أحد فهذا لم يتحقق ولا فى واحد من أئمة القوم من على رضى الله عنه إلى الحسن العسكرى، اللهم إلا أن يقال فى ذلك الموهوم المعدوم الذى لم يولد، لأنه

(٨٠) الكافى فى الأصول نقلا عن أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج١ ص١٣٦ .
(٨١) أعيان الشيعة الجزء الأول ـ القسم الأول ص٦٥ .

قد ثبت تاريخيا ومن كتب القوم أنفسهم بأن كل واحد منهم بايع أئمة زمانهم وخلفاءهم .

فإن الإمام الأول المعصوم حسب زعم الشيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه بايع أبابكر ثم عمر ثم عثمان[٨٢] .

كما بايع الحسن وهو الإمام المعصوم الثانى لدى الشيعة معاوية رضى الله عنه[٨٣] .

وكما بايعه الحسين أيضا وهو الإمام الثالث المعصوم[٨٤] .

وبايع على بن الحسين يزيد وأقرّ بعبوديته له حسب رواية الشيعة - وهو الإمام المعصوم الرابع عند القوم[٨٥] .

وهلمّ جرا .

فهذه هى حقيقة شروط القوم اللازمة للائمة، المنفية فى أئمتهم باعترافهم وإقرارهم وثبوتهم من كتبهم أنفسهم .

لماذا أوجبوا إمامة أئمتهم؟

إن الشيعة يقولون :

ان الإمامة واجبة وانها رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبى (ص)، وإنما وجبت لأنها لطف واللطف واجب كما تقدم فى النبوة، وانما كانت لطفا لأن الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحملهم على الخير ويردعهم عن الشر كانوا أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وهو اللطف، فالدليل

(٨٢) أنظر لتفصيل ذلك النصوص الثابتة من كتب القوم أنفسهم فى كتابنا «الشيعة وأهل البيت». ط. لاهور- باكستان .

(٨٣) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج٢ ص٤٣١، رجال الكشى ١٠٢ .

(٨٤) رجال الكشى ص١٠٢ .

(٨٥) الكافى الكلينى، ج٨ ص٢٣٤ -٢٣٥ .

الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة»[٨٦] .

ويقول السيد الزين :

أما الإمامة فهى واجبة . . . لأن الإمام نائب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حفظ الشرع الإسلامى وتيسير المسلمين على طريقه القويم ، وفى حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان والإمام موضح للمشكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ»[٨٧] .

وقال الحلىّ :

إن الإمام يجب أن يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحى بموت النبى صلى الله عليه وآله وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة ، فلابد من إمام منصوب من الله تعالى وحاجة العالم داعية إليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه . . . وأما الحاجة فظاهرة أيضا لما بيناه من وقوع التنازع بين العالم ، وأما انتفاء المفسدة فظاهر أيضا لأن المفسدة لازمة لعدمه ، وأما وجوب نصبه فلأن عند ثبوت القدرة والداعى وانتفاء الصارف يجب الفعل»[٨٨] .

فقالوا بهذه الأقوال إثباتا لإمامة أئمتهم مع أن الوجوه والأسباب والعلل التى بيّنوها لوجوب الإمامة هى التى تنفى إمامة أكثر أئمتهم ، بل إمامة جميعهم غير علىّ رضى الله عنه حيث إن أئمتهم الاثنى عشر المزعومين لم يملكوا الرئاسة العامة فى أمور الدين والدنيا ولم يملكوا ردع الظالم عن ظلمه وحمل الناس على الخير وردعهم عن الشر طبق روايات القوم أنفسهم ، فان واحدا منهم لم يولد على القول الصحيح ، ولو

(٨٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص٦ .

(٨٧) الشيعة فى التاريخ ص٤٤ ـ٤٥ .

(٨٨) منهاج الكرامة للحلى ص٧٢ ـ٧٣

سلمّت ولادته تنازلا لم يملك الظهور خوفا على حفظه وبقائه فضلا عن حفظ الشرع الإسلامى وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان، والبعض الآخر مثل الإمام الحادى عشر والعاشر كانوا أطفالا صغارا حتى احتاج آباؤ هم أن يجعلوا القيّمين عليهم وعلى أموالهم وودائعهم حتى يبلغوا الحلم لعدم قدرتهم على حفظ تركة الآباء وإرثهم، فمن لا يكون حافظا على تركته وماله وأمور دنياه أجدر أن لا يكون حافظا على أمور الآخرين، أمور دنياهم ودينهم .

ثم قد ثبت من كتب القوم أنفسهم أن أئمتهم كانوا يفتون حتى خاصتهم وشيعتهم خلاف ما أنزل الله وما بيّنه الرسول وخلاف ما كانوا يرونه فى قلوبهم صيانة على أنفسهم وحفاظا على حياتهم كما مرّ سابقا عن جعفر وأبيه الباقر (وطالما كانوا يحلون الحرام ويحرّمون الحلال لهذا الغرض) وكما رواه الكلينى فى كافيّه عن موسى بن أشيم قال :

كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول، فدخلنى من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبى يشرح بالسكاكين، فقلت فى نفسى : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطىء فى الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطىء هذا الخطأ كله فبينا أنا كذلك إذا دخل آخر فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبرنى وأخبر صاحبى»(٨٩) .

وكما رواه أيضا عن محمد بن مسلم قال :

دخلت على أبى عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له : جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لى : يا ابن مسلم هاتها، ان

(٨٩) الكافى فى الأصول ج١ ص٦٦ .

العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبى حنيفة، فقلت: رأيت كأنى دخلت دارى وإذا أهلى قد خرجت على فكسرت جوزا كثيرا ونثرته على فتعجبت من هذه الرؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتحاول أن تنال مالك فى مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة.

قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت له: جعلت فداك انى كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسوءك الله فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطىء؟ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ»(٩٠).

وأخيرا ننقل ما نقلناه سابقا وما رواه الكلينى:

عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فأجابنى، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى، ثم جاء رجل آخر فسأله فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى، فلما خرج الرجلان قلت: يابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يازرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم.

قال: ثم قلت لأبى عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال: فأجابنى بمثل جواب أبيه»(٩١).

فهل عن مثل هؤلاء يقال إنهم يحفظون ويحرسون الأحكام عن

(٩٠) كتاب الرضة من الكافى ج٨ ص٢٥٢.

(٩١) الأصول من الكافى، باب اختلاف الحديث ج١ ص٦٥.

الـزيادة والنقصان، ثم والبقية الأخرون مثل الحسن تنازلوا عن رئاستهم الدنيوية علنا وجهرا رغم أنوف المنكرين، وسلّموا إليهم أُمورهم وأُمور غيرهم الـدنيـويـة، وقـد اعـترف بعضهم بعبـوديتهم للآخرين حسب روايـات القـوم عن على بن الحسين الملقب بزين العابدين، وبعضهم لم ينلها أى الرئاسة الدنيوية مع جدّه وجهده لنيلها وإدراكها كحسن السبط رضى الله عنه حسب تصريحات القوم، فهذه حقيقة معتقدهم فى الإمامة ووجوبها، وعلى ذلك قال ابن حزم :

وأما وجه الحاجة إلى الإمامة فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيـان لشىء مما اختلف فيـه الناس وما بايديهم من ذلك شىء إلا دعـاوى مفتعلة قد اختلفـوا أيضـاً فيهـا كما اختلف غيرهم من الفـرق سواء، إلا أنهم اسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلد إنساناً كاصحاب أبى حنيفـة لأبى حنيفـة وأصحـاب مالـك لمالـك وأصحـاب الشـافعى للشـافعى وأصحـاب أحمد لأحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحاباً مشاهير نقلت عنهم اقـوال صاحبهم ونقلوهـا هم عنـه ولا سبيل إلى اتصال خبر عنـدهم ظاهـر مكشوف يضطر الخصم إلى ان هذا قول موسى بن جعفر ولا انه قول على بن موسى ولا انه قول محمد بن على بن موسى ولا انه قول على بن محمـد ولا انـه قول الحسن بن على وأما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة، واما من قبل موسى بن جعفر فلو جمع كل ما روى فى الفقـه عن الحسن والحسـين رضى الله عنهما لما بلغ عشـر اوراق، فما ترى المصلحـة التى يدعـونهـا فى إمـامهم ظهـرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم، ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا أحد ولا أمر منهم احد قط بمعـــروف معلن، وقـد قرأنـا صفـة هؤلاء المخـاذلـين المنتمـين إلى

الإمامية، القائلين بان الدين عند أئمتهم، فما رأينا إلا دعاوى باردة وآراء فاسدة كأسخف ما يكون من الأقوال، ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من ان يكونوا مأمورين بالسكوت أو مفسوحاً لهم فيه، فان يكونوا مأمورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء فى الضلال وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الإسلام وهذا كفر مجرد، وهم لا يقولون بهذا، أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم، وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الأئمة إلى أن ادعوا الالهام فى ذلك فإذا قد صاروا إلى هذا الشغب فإنه لا يضيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن ان يدعوا أنهم ألهموا بطلان دعواهم. . . . ثم أن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين، فنسألهم من أين علم هذا الصغير جميع علوم الشريعة وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره، فلم يبق إلا ان يدعوا له الوحى، فهذه نبوة وكفر صريح»(٩٢).

الشيخية

ثم افترقت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة من أهمها الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى البحرانى المولود سنة ١١٦٦هـ(٩٣) المتوفى سنة ١٢٤٣هـ(٩٤).

وسماه الخوانسارى «ترجمان الحكماء المتألهين ولسان العرفاء والمتكلمين، غرة الدهر وفيلسوف العصر، العالم لأسرار المباني والمعانى» وكتب فى ترجمته :

لم يعد فى هذه الأواخر مثله فى المعرفة والفهم، والمكرمة والحزم،

(٩٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤ ص١٠٣-١٠٤.
(٩٣) دائرة المعارف الإسلامية الاردية ج٢ ص٨٢ ط. جامعة بنجاب - باكستان.
(٩٤) روضات الجنات للخوانسارى ج١ ص٩٤.

وجودة السليقة، وحسن الطريقة، وصفاء الحقيقة، وكثرة المعنويّة، والعلم بالعربية، والأخلاق السنّية، والشيم المرضيّة، والحكم العلميّة والعمليّة، وحسن التعبير والفصاحة ولطف التقرير والملاحة، وخلوص المحبّة والوداد؛ لأهل بيت الرسول الأمجاد، بحيث يرمى عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالافراط والغلوّ؛ مع أنّه ـ لاشكّ ـ من أهل الجلالة والعلوّ.

ورد بلاد العجم فى أواسط عمره، وكان بها فى نهاية القرب من ملوكها وأربابها. وكان أكثر مقامه فيها بدار العبادة يزد. ثمّ انتقل منها إلى إصبهان، وتوقّف فيها أيضاً برهة من الزمان.

ولّما أراد أن يرجع إلى أصله الذى كان فى وصل الحسين عليه السلام وورد بلدة قرميسين ـ التى هى واقعة فى البين ـ استدعى منه الوقوف بها أميرها العادل الكبير المغوار المغيار محمد على ميرزا بن السلطان فتحعلي شاه قاجار. فأجابه إلى ذلك ـ لما استلزمه من المصالح أوصرف المهالك ـ إلى أن توفّى الوالى المذكور فى سفر منه إلى حرب بغداد، وآل الأمر فى تلك المملكة إلى الفتنة والفساد.

فارتحل منها إلى أرض الحائر الشريف، ليصرف فيها بقيّة عمره الطريف، ويجمع أمره على التصنيف والتأليف، والقيام بحقّ التكليف...

وقد يذكر فى حقّه أيضاً أنّه كان ماهراً فى أغلب العلوم، بل واقفاً على جملة من الحرف والرسوم، وعارفاً بالطبّ والقرائة والرياضىّ والنجوم، ومدّعياً لعلم الصنعة والأعداد والطلسمات ونظائرها من الأمر المكتوم»(٩٥).

(٩٥) أيضا ص٨٨ـ٨٩، ٩١.

ويذكر ان له من المؤلفات ما يقارب المائة(٩٦).

وقيل: أكثر من ذلك(٩٧).

وذكر عنه تلميذه السيد كاظم الرشتى:

إن مولانا رأى الإمام الحسن عليه السلام ذات ليلة وضع لسانه المقدس فى فمه. فمن ريقه المقدس ومعونة الله، تعلم العلوم. وكان فى فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من زائحة المسك، ولما استيقظ أصبح فى خاصته محاطا بأنوار معرفة الله، طافحا بأفضاله، منفصلا عن كل ما هو مغاير لله، وزاد اعتقاده فى الله فى نفس الوقت الذى ظهر فيه استسلامه لارادة العلى. وبسبب ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التى استولت على قلبه نسى الأكل واللبس الاما يسدّ به حاجته الضرورية»(٩٨).

فالأحسائى هذا كان له بجانب الكتب والمؤلفات دروس فى كربلاء وطوس وغيرها من البلاد الشيعية، وفيها ينشر أفكاره وعقائده ومعتقداته، فانه كان يقول:

إن الله تجلى فى على وفى أولاده الأحد عشر. وإنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهيه والنعوت الربانية، وهم أئمة الهدى، مختلفون فى الصورة متفقون فى الحقيقة»(٩٩).

وكان يقول:

إن الأئمة هم العلة المؤثرة فى وجود المخلوقات، وهم مظهر الإرادة الالهية والمعبرون عن مشيئة الله، ولولاهم ما خلق الله شيئا. ولذلك فهم

(٩٦) دائرة المعارف الإسلامية، اردوج٢ ص٨٣.

(٩٧) هداية الطالبين لحاجى محمد كريم خان.

(٩٨) مطالع الأنوار للزرندى البهائى ص٣، نقلا عن كتاب دليل المتحيرين وارشاد المسترشدين للسيد كاظم الرشدى.

(٩٩) مقدمة نقطة الكاف للمستشرق الانجليزى براؤن ص يح الفارسية ط. ليدن.

الغـايـة من الخلق، وكـل ما يفعله الله فهويفعله بواسطتهم، ولكن ليس لهم من ذاتهم قوة، وهم مجرّد وسائط .

ولمـا كانت ذات الله لا تدرك وكـانت لا تحيـط بها أفهـام جميـع المخلوقات، فإن الإنسان لا يستطيع معرفتها إلا بتوسط الأئمة الذين هم فى الحقيقـة محال للذات العليـة، ومن أخطأ فى حقهم أخطأ فى حق الله، واللوح المحفـوظ هو قلب الإمـام المحيط بكل السماوات وكل الأرضين، والأئمة هم أول المخلوقات والسابقون على كل شىء»(١٠٠) .

ثم كان يعتقد فى الغائب المزعوم الثانى عشر :

أولا : أنه ميت، كما كان يقول :

إن المهـدى الغـائب المنتظر ظهوره عند الشيعة هو الآن من سكان العالم الروحانى غير هذا العالم الذي يسمونه بجابلقاء وجابر ساء»(١٠١) .

وإن الإمـام روحى له الفـداء لما خاف من أعـدائـه خرج من هذا العالم ودخل فى جنة الهورقلياء»(١٠٢) .

ثانيا : كان يقول إن الراجع لا يكون ذلك ابن الحسن العسكرى بل يكون أحد غيره الذى حلّ فيه روحه، كما قال :

وسيعـود فى هذا العـالم بصـورة شخص من أشخـاص هذا العـالم يعنى بطريق ولادة عامة الناس»(١٠٣) .

ثالثا : يكـون ذلـك الشخص هونفس الإمـام محمـد بن الحسن العسكرى ولو ولد من أب وأم آخرين جديدين :

---

(١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية لأحمد الشنتاوى ج١٤ ص١٢ ط. طهران .

(١٠١) دائرة المعارف للبستانى ج٥ ص٢٦ .

(١٠٢) الكواكب الدرية ص٢٠ الفارسى. ط. القاهره .

(١٠٣) أيضـا ص ٢٠ .

انـه المهـدى بعينـه وان ذلك الجسم اللطيف الروحانى قد ظهر فى هذا الجسم الكثيف المادى»(١٠٤) .

رابعا : يطلق عليه اسم القائم :

لانه يقوم بعدما يموت .

ولما سئل : أيقوم من القبر؟ .

أجـاب : يقـوم من قبره أى من بطن أمـه ، وقـال : ان جابلسا وجابلقا منزل الموعود ومحل المنتظر فى السماء لا فى الأرض كما يعتقدو يظن أكثر الناس»(١٠٥) .

وكـان ينكـر المعـاد والبعث الجسمانى مطلقا لأن الجسم يتكون من العناصر الأربعة وبعد خروج الروح تنحل الأجزاء والعناصر، ولا تبقى لها أثر، فتصير إلى الفناء الابدى .

والشىء الذى يبقى ويعود هو الجسم اللطيف الروحانى هو جوهر الجـواهـر عنـده ، والـذى يسمونه الجسم الهورقليائى تبعا للمصطلحات الكيماوية القديمة .

«فجـوهـر الجـواهـر هو الجسم الهـورقليـائى الـذى يحشـر ويعاد ، والعناصر الباقية التى هى أعراض ولواحق فهى تنتشر وتنحل وتندمج فى أصلهـا كالمـاء فى الماء والطين فى الطين ، والروح البالية أيضا تفنى ويبقى الجسم الأصلى الذى يظهر فى عرض الجسم من الأبعاد الثلاثة»(١٠٦) .

ومن العقـائـد التى نشـرهـا بين النـاس أن الإمام المهدى يتجلىّ ويظهـر فى كل مكـان فى صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل أو الباب أو

---

(١٠٤) دائرة المعارف للبستانى ج٥ ص٢٦ .

(١٠٥) الكواكب ص٢٠ ـ٢١ .

(١٠٦) دائرة المعارف الإسلامية للاردية نقلا عن مجلة (يغما) الفارسية رقم ١٦٢ ص٨٢

الولى، ولابد من الإيمان به .

فالأركان الأربعة التى هى أصل الدين وأصوله عندهم هى :

(١) التوحيد .

(٢) النبوة .

(٣) والإمامة .

(٤) والاعتقاد بالرجل الكامل(١٠٧) .

ولقد حلت هذه الشخصية فى عصر الأحسائى فى جسمه، ولأجل ذلك يسمى ركنا رابعا أو الباب فالباب فى رأيه شخص حلّ فيه روح الباب، والمهدى الذى حل فيه روح المهدى، والإمام والنبى كذلك، وهم مع ذلك مختلفون فى الصورة متحدون فى الحقيقة كما ذكرنا سابقا لأن الله تعالى هو المتجلى فى الجميع على اختلاف المراتب والمناصب .

وكان ينكر المعراج الجسمانى والروحى، بل كان يقول ان رسول الله موجود فى كل مكان فى كل آن، وعلى ذلك لا معنى لهذا القول انه كان فى الأرض وعرج به إلى السماء لأنه ليس بمقيّد فى مكان وزمان، فمن رآه فى السماء رآه واللواحق السماوية وعوارضها ملتصقة به»(١٠٨) .

وبعد أن مات الأحسائى تولىّ زعامة الشيخية ومنصبه، تلميذه السيد كاظم الرشتى سنة ١٢٤٢هـ ونهج منهجه وسلك مسلكه، وصار ركنا رابعا للشيخية غير أنه زاد الطين بلّة حيث قال :

حل فيه روح الأبواب كما حلّ فى الأحسائى ولكن آن الآوان لانقطاع الأبواب ومجىء المهدى نفسه»(١٠٩) .

ويقول الشيخية :

(١٠٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة احسائى، والعقيدة والشريعة لجولد زيهر ص١٠٣ .

(١٠٨) فهرست لأبى القاسم إبراهيمى شيخ الشيخية ص١٩٦ . ط. إيران .

(١٠٩) انظر الكواكب ص٢٤ ط. فارسى .

العالم قديم بالزمان حادث بالذات، لأن الأعراض لا يمكن أن توجد بدون الجوهر، والصور لا يمكن أن توجد بدون محلها. والأعراض حادثة زائلة توجد تارة وتنعدم تارة، تأتى من العدم وتعود إلى العدم. أما الجوهر فليس شيئا حادثا زائلا، وعلى هذا فإن المادة فى ذاتها حادثة. هى موجودة أبدا فى المستقبل لا فى الماضى وإلا لكان للحياة الأخرى نهاية وفنيت الجنة والنار، والجنة هى محبة أهل البيت، أهل بيت النبى عليه السلام، الأئمة. والجنة والنار تحدثان بسبب أفعال الإنسان»(١١٠).

ولقد ذكره الخوانسارى فى كتابه بقوله:

ان تلميذه العزيز، وقدوة أرباب الفهم والتمييز، بل قرّة عينه الزاهرة، وقوة قلبه الباهرة الفاخرة، بل حليفه فى شدائده ومحنه، ومن كان بمنزلة القميص على بدنه، أعنى السيد الفاضل الجامع البارع الجليل الحازم، سليل الأجلة السادة القادة الأفاخم الأعاظم، ابن الأمير سيد قاسم الحسينى الجيلانى الرشتى، الحاجّ سيد كاظم، النائب فى الأمور منابه، وإمام أصحابه المقتدين به بالحائر المطهّر الشريف إلى زماننا هذا»(١١١).

وروّج هذا الرشتى أفكار شيخه وأدخل الكثيرين فى مذهبه ومذهب الأحسائى، وصارت فرقة مستقلة حتى دخل فيه الكثيرون من شيعة إيران وعربستان والعراق وآذربائيجان والكويت(١١٢) ثم خلف الرشتى محمد كريم خان الكرمانى ابن ظهير الدولة حاكم كرمان، ثم ابن محمد كريم خان محمد خان، وبعده أخوه زين العابدين، ثم ابن زين العابدين قاسم خان ابراهيمى.

(١١٠) دائرة المعارف العربية ج١٤ ص١٣ لأحمد الشنتاوى ط. طهران.

(١١١) روضات الجنات للخوانسارى ج١ ص٩٢.

(١١٢) فهرست ج١ ص٢١٧.

ومن الجديـر بالذكر أن الباب على محمد الشيرازى أيضا كان من تلامذة السيد كاظم الرشتى ومن المعتنقين بأفكار الشيخية وكل من قبلوا دعوته كانوا من الشيعة الشيخية أيضا(١١٣) .

ومن الطـرائف أن عامـة الشيعـة الاثنى عشرية فى باكستان والهند يعتقـدون نفس الاعتقـادات التى روّجها الأحسائى والرشتى ولوأنهم لا ينسبـون أنفسهم إلى الشيخيـة ، فإنهم شيخيـة اعتقادا ولو أن بعضا من علمائهم تجاهروا بالقول إنهم يعتقدون اعتقادالشيخية ، وفتحوا مراكز لها فى مختلف المـدن ، وفى باكستـان لهم مركـز كبير فى ملتـان وفى كراتشى أيضـا ، وأن أكثر المسـاعدات والإمدادات كتبا ومالا تأتى إليهم من دولة الكـويت . ونكتفى بهذا القـدر من البيـان عن الشيخيـة مع أننـا ننـوى اصدار كتاب مستقل ولوفى المستقبل البعيد ان شاء الله حول هذه الطائفة لما عمّ صيتها وكثر معتنقوها من الشيعة أنفسهم .

النوربخشـــية

وهنـاك طائفـة أخـرى توجـد فى وديـان هملايا وكوهستان بلتستان المتصلة بتبت الصينيـة ، يدعى الشيعـة الاثنا عشرية بأنها فرقة من فرقهم لأنهم يسمـون أنفسهم الشيعـة النـوربخشيـة نسبة إلى محمد نوربخش القوهستانى من مواليد سنة ٧٩٥هـ ، ويقولون :

أنه ولد فى قاوين قصبة قوهستان ، وكان أبوه هاجر من الأحساء ، وقيل : إن أباه عبد الله ولد فى الأحساء وجدّه محمد ولد فى القطيف»(١١٤)

وكـان محمـد نوربخش مريـدا لخواجـه اسحـاق الختـلانى تلميذ السيد على الهمدانى الذى أعجب بقابلياته حتى لقبه بنوربخش بمعنى

(١١٣) انظر لذلـك كتـابنـا (البـابيـة) ط . ادارة ترجمـان السنـة لاهـور باكستـان ، وكذلك كتابنا (البهائية) . ط . باكستان .

(١١٤) أنساب بيوتات سكان قاين ص١٥٩ ط . طهران ١٣٦٩ .

واهب الأنوار» (١١٥) .

ويقولون : إن نسبه اكتشف عن طريق الكشف الصوفي بأنه علوى» (١١٦) .

ثم ادعى محمد نوربخش هذا بأنه هو المهدى الذى أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بمجيئه فى آخر الزمان لأن اسمه يواطىء اسمه، واسم أبيه يواطىء اسم أبيه فهو محمد وأبوه عبد الله، وكذلك كنيته حيث سمى أحد أبنائه القاسم، ولقبه أنصاره بالإمام والخليفة على كافة المسلمين (١١٧) .

وكان يقول : لقد كنت أخفى حالى ولكن وجب إظهارها لتقوم الحجة على الناس كافة على صورة تعرّفهم بمظهر الكل والهادى إلى السبيل» (١١٨) .

وقد قام بالثورة العلنية الكبيرة ضد حكومة إيران آنذاك وقبض عليه، ولما اطلق سراحه ذهب إلى كردستان وبدأ يبثّ دعوته فيها فانقاد إليه سكانها، وضرب النقود باسمه» (١١٩) .

ثم ألقى القبض عليه وأعلن على منبر هرات وهو فى قيده يوم الجمعة سنة ٨٤٠هـ تنازله عن دعوى الخلافة وما يستتبعها، ثم سيرّ إلى كيلان، ومن هناك إلى الريّ، وتوفى هناك سنة ٨٦٩هـ (١٢٠) .

وكان أتباعه موجودين آنذاك بكثرة فى بلاد العراق وإيران .

ويظهر من هذا السرد الموجز السريع أن محمد نوربخش لم يكن

---

(١١٥) طرائق الحقائق للحاج معصوم على ج٢ ص١٤٣ .

(١١٦) مجالس المؤمنين للتسترى ص٣١٤ .

(١١٧) هامش ديوان شمس تبريزى، نقلا عن الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص٣٣٥ .

(١١٨) أيضا ص٣٣٦ .

(١١٩) مجالس المؤمنين ص٣١٤ .

(١٢٠) ملخص ما ذكره كامل مصطفى الشيبى فى الفكر الشيعى ص٣٣٣ .

اثنى عشريا لأن الاثنى عشرية لا يرون المهدى إلا ابن الحسن العسكرى المزعوم، وهذا عكس هؤلاء يعدّ نفسه مهديا وأكثر من ذلك أنه ردّ فى كتابه على من يزعم أن ابن الحسن العسكرى هو المهدى الموعود، فقال :

وزعم بعض الناس أن محمد بن الإمام العسكرى عليهما السلام هو المهدى الموعود وليس كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى محمد المهدى الموعود: يواطىء اسمه اسمى وكنيته كنيتى واسم أبيه اسم أبى، وقيل: اسم أمه اسم أمى، وفى هذا المهدى لا يواطىء شيئا منهم إلا اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[١٢١] .

«والحقيقة أن محمد نوربخش لم يكن شيعيا اثنى عشريا، بل كان صوفيا من أصحاب وحدة الوجود، عرض لانتقال الولاية من آدم والأنبياء إلى أقطاب التصوف وأخرجها من التناسخ واصطلح لها اسم البروز بدلا منه، فكان وصول الروح إلى الجنين فى الشهر الرابع عنده معاذا إنسانيا يصل الوجود الإنسانى بالوجود الحقيقى وجود الله، وربما كانَ فى هذا عنصر يفيد صدور النوربخشية عن الفلسفة الاشراقية كما يفترض الدكتور محمد على أبوريان دون أن يجد مبررا واضحا يصحح افتراضه. وقد جاء فى غزل نوربخش شعر يتصل بوحدة الوجود قال فيه ما ترجمته :

سواء أكنا هادين أم مهديين
فنحن بالمقارنة بالقدم أطفال مهديون
قطرة نحن من محيط الوجود
ولا عبرة بمدى طاقتنا من الكشف والشهود

(١٢١) مشجر الاولياء ص١٦٤ ط. باكستان .

فيا إلهي متى أعــود من القطـــرة

ويا إلهي أبلغني بحر النور

وذكر نوربخش العشق على الصورة التى عبر عنها محمد بن عربى
ى قوله :

دين بديـن الحب انـى توجهت ركـائبه، فالحب دينى وإيمانى

ولكنه أخذ الجانب السلبى من المسألة وعبر عنها بأبيات لطيفة منها
ا ترجمته :

منذ اليوم الذى استجليت فيه طلعة حبيبى

غدوت متميزا من الخلائق أجمعين

وذلك أني صرت مبرأ من العقيدة والمذهب

والملة كلية وأصبحت ولا دين لى

وذكـر استغـراقـه فى هذا العشق إلى الحـد الذى اضاع معه كيانه
شخصى فجعل يتساءل: أأنا نوربخش نفسه أم من أنا؟»[١٢٢].

نعم لاشـك فى ذلـك أن الصفويين لما تسلطوا على إيران وأجبر وا
ـاس على اعتنـاق التشيـع على حد السيف أعلن النـوربخشيـة
يعهم، ولذلك لما فتح إسماعيل الصفوى التستر كان يسأل الناس عن
نيـدتهم، فمن قال: نحن على مذهب نور الله الشيـخ نوربخشى لم
ن يتعرض لهم»[١٢٣].

وفرّ كثير من مريدى هذا الصوفى الوجودى إلى شبه القارة الهندية
نئوا إلى الجبال ومناطق منعزلة، فبقوا هناك على طريقتهم الصوفية .

وأكـبر دليـل على كون القـوم غير الاثنى عشـريـة أن لهم فقهـا
صـا، وكـذلك كيان مستقل ومدارس مستقلة ولو أنهم يقومون ببعض

١٢٢) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص٣٣٩ ـ ٣٤٠

١٢٣) مجمع الأوصياء ص٣٠٢، نقلا عن الفكر الشيعى ص٣٤١ .

الأعمال التي يقوم بها الشيعة الاثنا عشرية من المآتم على الحسين، وغير ذلك ولكنهم يختلفون معهم فى أشياء كثيرة أيضا، ومنها الإغراق فى التصوف والسلسلة الصوفية التى تصل إلى السهروردى وجنيد البغدادى والسرّى السقطى، وكل هؤلاء ليسوا من الشيعة، وقد ذكر محمد نوربخش سلسلته الصوفية بعنوان السلسلة الذهبية، وننقلها من كتابه كما ذكرها :

محمد نوربخش. خواجه اسحاق الختلانى. حضرة امير الكبير السيد على الهمدانى. حضرة الشيخ محمد المزدقانى. حضرة الشيخ علاء الدولة السمنانى. حضرة الشيخ عبد الرحمان الاسفرانى. حضرة الشيخ أحمد الذاكر الجوزقانى. حضرة الشيخ على اللالا. حضرة الشيخ نجم الدين الكبرى. حضرة الشيخ عمار ياسر البديسى. حضرة الشيخ أبو النجيب السهروردى. حضرة الشيخ أحمد الغزالى. حضرة الشيخ أبوبكر النساجى. حضرة الشيخ أبو على الكاتبى. حضرة الشيخ أبو على الرودبارى. حضرة الشيخ جنيد البغدادى. حضرة الشيخ سرّى السقطى. حضرة الشيخ معروف الكرخى. حضرة الإمام علىّ الرضا»(١٢٤)

ثم ولقد ذكر محمد نوربخش هذا فى كتابه عبارة صريحة تدّل على عدم تشيعه وهو يذكر الوقائع التى حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ فدا أبواى وروحى فقال :

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع الأنصار والمهاجرون أبابكر رضى الله عنه على الإمارة بالاتفاق لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أمره بإمامة الصلاه الفريضة أيام مرضه

(١٢٤) مشجر الاولياء ص٢ ط. باكستان.

فبايع أصحابه كله على أبى بكر اتباعا لأمره صلى الله عليه واله وسلم لأن الصلاة عماد الدين وقوامه كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض ليالى وأياما ينادى بالصلاة، فيقول عليه السلام: مروا أبابكر يصلى بالناس .

فلما قبض رسول الله عليه الصلاة وآله وسلم نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديننا فبايعناه .

وذلك أن عليا عليه السلام لما رأى النزاع بين الصحابة بسقيفة بنى ساعدة فى الخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه وقد نزع خاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من يده المباركة، ففوّض الخاتم إلى أبى بكر رضى الله عنه وقال: فاذهب إلى الناس وأدركهم واجمعهم على إمارتك فذهب إليهم أبوبكر ومعه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فكلّم الناس عمر فى إمارة أبى بكر ورضوا بإمارة أبى بكر رضى الله عنه واتفقوا كلهم ببركة خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبتدبير علىّ المرتضى عليه السلام»(١٢٥) .

وعلى كل فهذه هى الطائفة الأخرى التى اختلف(١٢٦) . فى تشيعها، ونظن أن هذا القدر كاف فى هذا الموضوع .

---

(١٢٥) أيضا ص٥١ ـ٥٢ .

(١٢٦) لقينى كثير من علماء الشيعة فى باكستان فسألتهم عن النوربخشية فالأكثر قالوا بأنهم ليسوا من الاثنى عشرية ولكنهم يدعون التشيع الاثنى عشري لجلب الأموال وحصول المنافع من شيعة الخليج والدول العربية الاثنى عشريين وشيعة إيران أيضا ولقد رضى علماء الشيعة الايرانيين بادعائهم هذا لاستكثار عدد الشيعة، والا فهم ليسوا من الامامية الاثنى عشرية .

وقال البعض : انهم من الشيعة الاثنى عشرية ولكنهم من الفرقة التى ابتعدت عن الاثنى عشرية الخلصّ بنزعاتها الصوفية وبأفكارها المناوئة المختلفة للتشيع الاثنى عشرية .

الأخبارية والأصولية

وهنـاك اختلاف آخر حدث بين الاثنى عشرية فى القرون المتأخرة وهو اختلاف ما يسمى باختلاف الأخباريين والأصوليين ، فافترقت الاثنا عشـريـة إلى فرقتـين متحـاربتين متعاديتين حملت إحداهما على الأخرى وشنعت الأخـرى على الأولى ، وكثـر النـزاع حتى اتهم الأخباريـون الأصوليين بالخروج عن التشيع الحقيقى الأصلى ، وكتبت الكتب وألفت الـرسـائـل وتحزبت الأحزاب ، فقال الأخباريون : نعتقد بظاهر ما ورد به الأخبــار، متشـابهـة كانت أم غير متشـابهـة فنجـرى المتشـابهـات على ظواهرها ونقول فيها ما قاله سلفنا»(١٢٧) .

وبعبارة صريحة أكثر :

إن الأخبـاريـين هم الـذين يتمسكون بظواهر الحديث مقابل الأصوليين الذين يرون الأدلة العقلية من الأدلة الشرعية(١٢٨) .

ومعنـــاه أن الأخبـــاريـين لا يرون الأدلـة الشـرعيـة إلا الكتـاب والحـديث. والمعـروف أن الحـديث عنـد الشيعة ما نقل عن أحد أئمتهم المعصومين حسب زعمهم الاثنى عشري ومن رسول الله أيضا ، فكل ما نقـل عن هؤلاء فهـو حديث عنـدهم وهـو حجة لأنه منقول عن معصوم وحجـة ، ومـا نقـل عن الحجة حجة على اليقين ، ثم لا ينظر عندهم أن هذا الحديث ما منزلته وشأنه مادام وجد فى الأصول الأربعمائة ونقل منها ، والأصول عند القوم الكتب التى ألّفها وجمعها أصحاب الأئمة(١٢٩) .

فمادام أصحـاب الأئمـة نقلوا هذه الـروايـات من الأئمـة فإنها لا

---

(١٢٧) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية للشيخ التهانوى ج١ ص٩٣ ط. خياط. بيروت .

(١٢٨) لغت نامه دهخدا ص١٤٨٥ ط. طهران ١٣٢٦ .

(١٢٩) أعيان الشيعة الجزء الأول، القسم الثانى ص٩٣ .

تحتاج إلى النظر والبحث والتحقيق والتفتيش، لا عن السند لأنها من صاحب الإمام ولا عن المتن لأنه من الإمام، وعقول الناس قاصرة عن إدراك كنه ما يقوله الإمام حسب رواية الإمام المعصوم الخامس عند الشيعة محمد الباقر:

إن حديث آل محمد صعب مستعصب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدّث أحدكم شىء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر»(١٣٠).

وقد نقلوا عن موسى الكاظم - الإمام السابع المعصوم حسب زعمهم - أنه قال لأحد شيعته على بن سويد السائى:

ادع إلى صراط ربك فينا من رجوت إجابته ولا تحصر حصرنا، ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا: هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدرى لم قلناه، وعلى أى وجه وصفناه، آمن بما أخبرتك ولا تكشف بما استكتمتك»(١٣١).

وعلى ذلك فإن الرجوع إلى دليل آخر من الأدلة العقلية ليس إلا جهل وضلال فى نظر هؤلاء وإذا لم يوجد فى المسألة شىء فعليه الارجاء حتى يأتى فيه خبر عن إمام من الأئمة كما رووا عن جعفر بن الباقر أنه سئل عن رجل اختلف عليه رجلان فى دينه من أمر كلاهما يرويه، أحدهما يأمر بأخذه والآخر ينهاه عنه كيف يصنع؟ فقال: يرجئه حتى

(١٣٠) الأصول من الكافى ج١ ص٤٠١، باب ما جاء أن حديثهم صعب مستعصب.

(١٣١) رجال الكشى ص٣٨٦ ط. كربلاء.

يلقى من يخبره فهو فى سعة حتى يلقاه»(١٣٢) .

وذكر ابن بابويه القمى عن على بن موسى - الإمام الثامن المعصوم عنده - أنه قال :

وما لم تجدوه فى شىء من هذه الوجوه فردّوه علينا، فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا»(١٣٣) .

وإن رجع إلى شىء آخر ضلّ وأضلّ كما نقلوا عن موسى الكاظم عن محمد بن حكيم أنه قال :

قلت لأبى الحسن موسى عليه السلام : جعلت فداك فقّهنا فى الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى إن الجماعة منا لتكون فى المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم، فربّما ورد علينا شىء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شىء فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به؟ .

فقال : هيهات هيهات فى ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم، قال: ثم قال: لعن الله أبا حنيفة»(١٣٤) .

وأيضا :

عن سمعة بن مهران عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله إنا نجتمع فنتذاكر ما عندنا فلا يردّ علينا شىء إلا وعندنا فيه شىء مسطر وذلك مما أنعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشىء الصغير ليس عندنا فيه شىء فينظر بعضنا إلى بعض، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟

(١٣٢) الأصول من الكافى، كتاب فضل العلم ج١ ص٦٦ .
(١٣٣) عيون أخبار الرضا للقمى - نقلا عن الكافى فى الأصول، الهامش ص٦٦ .
(١٣٤) الكافى فى الأصول ج١ ص٥٦ .

فقـال : ومـالـكم وللقيـاس؟ إنـما هلك من هلك من قبلكم بالقياس، ثم قال: إذا جاءكم ما تعلمون، فقولوا به ، وان جاءكم مالا تعلمـون فيهـا ـ وأهـوى بيـده إلى فيه ـ ثم قال: لعن الله أبا حنيفة كان يقـول: قال على وقلت أنـا ، وقـالت الصحـابـة وقلت، ثم قال: أكنت تجلس إليــه؟ فقلت: لا ولكن هذا كلامـه ، فقلت: أصلحـك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بما يكتفون به فى عهده؟ .

قال : نعم وما يحتاجون إليه يوم القيامة ، فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا هو عند أهله»[١٣٥] .

هذا هو مذهب الأخبارية من الإمامية ، أى العمل بالأخبار المنقولة عن المعصومين حسب زعمهم أو المنسوبة إليهم بدون النظر إلى شيء آخر .

وأمـا الأصـوليـين فرأوا أن هنـاك دليل العقل ومنه البراءة الأصلية والاستصحاب وغيرها ، ومثل للبراءة الأصلية السيد محسن أمين فى كتابه بقوله :

الـبراءة الأصليـة فيـما لا نص فيه بوجوب ولا تحريم بعد الفحص لاستقـلال العقـل بقبـح العقاب بلا بيان ، ومنه قولهم عدم الدليل على كذا فيجب انتفاءه وهذا يكون مع الشك فى الوجوب ، ومثل له المحقق فى المعتبر بقولنا: ليس الوتر واجبا لأن الأصل براءة العهدة ، ومنه أن يختلف الفقهــاء فى حكم بالأقـل والأكثـر فنقتصـر على الأقـل كما يقـول بعض الأصحـاب فى عين الـدابـة نصف قيمتها ، ويقول الآخر: ربع قيمتها ، فيقـول المستـدل: ثبت الـربـع إجمـاعـا ، فينتفى الزائد نظرا إلى البراءة الأصلية ويكون مع الشك فى التحريم كالشك فى حرمة التدخين وحرمة

(١٣٥) أيضـــا ص٥٧ .

شرب قهوة البنّ، فيقال: لم يقم دليل على التحريم والأصل براءة الذمة»(١٣٦).

ثم ذكر الأخباريين ومذهبهم بقوله:

الأخبارية الإمامية أنكروا البراءة الأصلية وأوجبوا الاحتياط فى مواردها للأخبار الآمرة بالاحتياط الحاثة عليه المحمولة على الاستحباب أو مورد العلم بالتكليف والشك فى المبرىء المعارضه بقولهم عليهم السلام: كل شىء فيه حلال وحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام منه فتدعه وأمثاله»(١٣٧).

وكذلك ذكر مغنية «أن الأخباريين ينكرون الاستصحاب فى الحكم الشرعى الكلى»(١٣٨).

واتهم الأخباريون الأصوليين:

ان الباعث لهم على الاختراع هذه القواعد الأصولية والأدلة الأربعة الشرعية هو أنسهم بكتب المخالفين للإمامية بلا ضرورة داعية إليه وبدون قيام حجة حاكمة»(١٣٩).

فألف كل فئة كتبا كثيرة لتأييد مسلكهم، فمن الأخباريين ألف محمد أمين بن محمد شريف الاسترا آبادى كتابه المشهور (الفوائد المدنية).

وردّ عليه نور الدين العاملى بكتابه (الفوائد المكية فى مداحض حجج الخيالات المدنية ونقض أدلة الأخبارية)(١٤٠).

(١٣٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص١٨.
(١٣٧) أيضا.
(١٣٨) علم أصول الفقه فى ثوبه الجديد لمحمد جواد مغنية ص٣٥٤ ط. دار العلم. بيروت.
(١٣٩) الفوائد المدنية فى الرد على القائل بالاجتهاد والتقليد فى الاحكام الالهية لمحمد امين ط. طهران.
(١٤٠) انظر لذلك كتاب الذريعة للطهرانى ج١٦ ص٣٥٩.

وردّ عليه أيضا السيد دلدار على اللكهنوى بكتاب سمّاه (أساس الأصول)، وهذا الكتاب موجود بين أيدينا طبع فى الهند، وذكره صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة[١٤١].

ثم ردّ عليه ميرزه محمد عبد النبى النيسابورى الهندى الشهير بالأخبارى بكتاب سمّاه (معاول العقول لقلع أساس الأصول) ودافع فيه عن (الفوائد المدنية) وعنّف القول على مؤلف الأساس، وهذا الكتاب موجود مطبوع أيضا، وقد ذكره صاحب الذريعة فى كتابه[١٤٢].

ثم ردّ عليه السيد نظام الدين حسين والسيد أحمد على وغيرهم بكتاب (مطارق الحق واليقين لكسر معاول الشياطين) وقد ذكر هذا الكتاب الطهرانى فى موسوعته[١٤٣].

فهاتان هما فرقتان أخريان انبثقتا عن الشيعة الاثنى عشرية أيضا، ويعدّ مِنْ أعيان الطائفة الأخبارية الحر العاملى صاحب (وسائل الشيعة)، والنورى الطبرسى صاحب (مستدرك الوسائل). ومحمد حسين كاشف الغطاء، ونعمت الله الجزائرى وغيرهم.

ومن أعيان الطائفة الثانية فى الآونة الأخيرة السيد دلدار على، والطباطبائى، ومحسن الحكيم، والخوئى، وشريعت مدارى، والخمينى، وغيرهم.

أهم كتب الشيعة الاثنى عشرية ورجالاتهم

وأهم كتب الشيعة الاثنى عشرية فى الحديث:

(الكافى) للكلينى - وهذا الكتاب يشتمل على أقسام ثلاثة: الأصول والفروع والروضة: القسم الأول يشتمل على العقائد،

(١٤١) ج٢ ص٥٠٤.
(١٤٢) ج٢١ ص٢٠٧.
(١٤٣) ج١ ص٣٨.

والقسم الثانى على الأحكام، والثالث على الخطب والمكاتيب وعلى الحكم والآداب، ويقولون : فيه ١٦١٩٩ حديثا .

الثانى : (من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمى، وفيه ٦٥٩٣ حديثا .

الثالث : (تهذيب الأحكام) لابى جعفر الطوسى، وفيه ١٣٥٩٠ حديثا .

الرابع : (الاستبصار) وهذا أيضا للطوسى، وفيه ٦٥٣١ حديثا .

وهذه هى كتب الحديث الأربعة التى يطلق عليها الصحاح الأربعة الشيعية .

وهناك كتب أخرى فى الحديث منها :

(الأول) : الوافى تأليف الشيخ محمد بن مرتضى المدعو بملا محسن الكاشى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة من أحاديث الأصول والفروع ورتبها وبوبها وشرح بعض ما يلزمه الشرح والتفسير من المهمات وبين بعض وجوه الجمع بين المتعارضات وله نحو مائتى مصنف .

(الثانى) : وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة تأليف الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة وغيرها فى الفروع خاصة من ثمانين كتابا كانت عنده وسبعين نقل عنها بالواسطة ورتبه وبوبه على ترتيب كتب الفقه أحسن ترتيب وشرح بعض المهمات وجمع المتعارضات فصار كتابه هذا هو المعول والمرجع ولم يرزق الوافى ما رزقته الوسائل من الحظ لان ترتيبها أسهل مع ان تفسيرات الوافى اوفى وله مع ذلك الحظ الوافى لكن حظ الوسائل اوفى وبقية الكتب الأربعة يرجع إليها أيضا(١١٠٤) .

(الثالث) : بحار الأنوار فى أحاديث النبى والأئمة الاطهار تأليف الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقى المعروف بالمجلسى فى ستة وعشرين مجلداً ضخما كثير منها وحده عشرات المجلدات ويستغرق نسخه فقط العمر فضلا عن تأليفه جمع فيه فنوناً من العلم جلها فى غير الأحكام الفرعية وقليل منها فى الفروع ومن جملتها تواريخ النبى والزهراء والأئمة الاثنى عشر صلى الله عليه وعليهم، وأحوالهم ومناقبهم وما أثر عنهم من المواعظ والحكم والآداب جمعه من كل ما عثر عليه بدون انتقاء كما هو شأن البحار، ولم ينقل فيه من الكتب الأربعة المتقدمة إلا قليلا لان غرض مؤلفيها الأهم الفروع وغرضه الأهم غيرها فهو أجمع كتاب فى فنون الحديث وأنواع العلوم ومتفرقات الأخبار يستمد منه العالم والمؤلف والواعظ وتستخرج منه الدرر والجواهر، فالمحمدون الثلاثة الأولون مع المحمدين الثلاثة الآخرين هم الذين حفظوا اخبار أهل البيت وآثارهم من الضياع وجمعوها ورتبوها والأولون منهم انتقوها واختاروها بحسب أسانيدها وكذا الأولان من الآخرين (١١١٠) .

(الرابع) : العوالم فى الحديث تأليف المحدث المتبحر المولى عبد الله بن نور الله البحراني فى مائة مجلد ولم يرزق من الحظ ما رزق البحار (اوائل المائة الثانية) .

(الخامس) : الشفا فى حديث آل المصطفى جامع كبير يشتمل على عدة مجلدات للمتضلع فى الحديث الشيخ محمد الرضا بن الفقيه الشيخ عبد الله التبريزى فرغ منه (١١٥٨) .

(السادس) : جامع الأحكام فى الحديث تأليف السيد عبد الله الشبرى فى خمسة وعشرين مجلداً كباراً مؤلفه من أكثر الناس تأليفا (١٢٤٢) .

(السابع) : مستدركات الوسائل تأليف المحدث المتتبع البصير بالحديث والرجال الميرزا حسين النوري المعاصر جمع فيه ما فات صاحب الوسائل ورتبه على أبوابها فى قريب من مجلداتها لكنه أدرج فيه الفقه الرضوى الذى لم يثبت أنه تصنيف الإمام الرضا (ع) وكثيراً مما هو من هذا القبيل مما لم يكن معتبر الاسناد عند صاحب الوسائل فليس هو فى الحقيقة استدراكا عليه فى كثير مما فيه وأفاد فى آخره فوائد رجالية لا توجد فى غيره والظاهر ان معظمها مأخوذ من جامع الرواة للحاج محمد الاردبيلى معاصر المجلسى (١٣٢٠)[١٤٤].

ويدعى الشيعة أن الكتب التى تشتمل على الأحاديث المروية من المعصومين حسب زعمهم تزيد على ستة آلاف وست مائة كتاب[١٤٥].

وأما شيخهم المفيد فقال :

صنف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبى محمد الحسن العسكرى أربع مائة كتاب تسمى الأصول، قال: فهذا معنى القول: له أصل»[١٤٦].

هذا فى الحديث، وأما فى الرجال فلهم (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى، والمعروف برجال الكشى ـ من علماء القرن الرابع .

والثانى : (كتاب الرجال) لأبى العباس أحمد بن على النجاشى المتوفى سنة ٤٠٥هـ، المعروف برجال النجاشى .

والثالث : (كتاب الرجال) لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسى المتوفى سنة ٣٦٠، والمعروف برجال الطوسى .

(١٤٤) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص١١٣ ـ١١٤ .

(١٤٥) أيضا ص٩٣ .

(١٤٦) أيضا .

والرابع : (كتاب الفهرست) للطوسى أيضا .

وهذه الكتب الأربعة هى الأصول، وعليها المعول عند القوم[١٤٧]

وهناك كتب أخرى : مثل (معالم العلماء) لابن شهر آشوب المازندرانى المتوفى سنة ٥٨٨ .

و (خلاصة الأقوال فى الرجال) للحسن بن مطهر الحلى المتوفى ٧٢٦هـ .

و (منهج المقال) للمامقانى .

و (روضات الجنات) للخوانسارى .

و (الكنى والألقاب) للقمى ، وغيرها .

ومن كتبهم فى التفسير المشهورة :

(تفسير العياشى) .

و (تفسير فرات بن إبراهيم الكوفى) .

و (تفسير القمى) .

و (تفسير مجمع البيان) للطبرسى .

و (تفسير البرهان فى تفسير القرآن) .

و (تفسير الصافى) .

و (نور الثقلين) للحويزى .

و (منهج الصادقين) لملا فتح الله الكاشانى .

ومن أهم كتبهم فى الفقه :

(شرائع الإسلام) لجعفر بن الحسين الحلّى .

(جامع المقاصد) لعبد العالى الكركى المتوفى ٩٣٧هـ .

و (المسالك) لزين الدين العاملى .

(١٤٧) انظر مقدمة رجال الكشى لأحمد الحسينى ص٤ .

وكذلك (شروح اللمعة الدمشقية) .

ومن أهم كتبهم فى التاريخ :

(تاريخ اليعقوبى) .

و (مروج الذهب) و (أخبار الزمان) للمسعودى .

و (ناسخ التواريخ) لمبرزه تقى خان معاصر ناصر الدين القاجارى .

وأهم كتبهم (نهج البلاغة) الذى يعدّونه أقدس كتاب عندهم ويدعون أنه كتاب مشتمل على خطب ومكاتيب على رضى الله عنه، جمعه شريف الرضى، ومن شروحه الهامة :

شرح ابن أبى الحديد المعتزلى الشيعى، وشرح ابن الميثم وغيرها من الشروح .

وأما أعيانهم فهم مؤلفو هذه الكتب التى ذكرناها آنفا، وقد ذكرنا تراجمهم فى هذا الكتاب وفى الكتب الأخرى التى ألفناها حول هذه الطائفة من الناس .

وبهذا يعرف الشيعة الاثنا عشرية بالإيجاز والاختصار، وفيما أوردناه كفاية لمن أراد ذلك .

ونلحق هذا الباب بابا آخر لبيان صلة الاثنى عشرية بالعقائد السبئية وغيرهم من المنحرفين الضالين، والمؤامرين الماكرين ضد الإسلام ومؤسسى الفرقة والاختلاف بين المسلمين .

الباب السابع

الشيعة الإثنا عشرية والعقائد السبائية

إننا ذكرنا السبئية وقائدها عبد الله بن سبأ فيما مضى بالتفصيل، نضطر إلى أن نعيد ذكر السبئية والأفكار التى حملوها والعقائد التى روّجوها بين الناس وعارضها علىّ وأولاده الطيبون منهم رضوان الله عليهم، وردّوا عليها، وقاوموها بكل عنف وشدة، ولكنها تسرّبت فيما بعد بين الذين يزعمون أنهم شيعتهم والموالون لهم باسم حب أهل البيت ـ وأهل البيت منها براء .

نضطر إلى إعادتها لوضع النقاط على الحروف ولإثبات أن الشيعة وخصوصا الاثنى عشرية منهم الذين يعدّون أنفسهم معتدلين، وقد يخدع بهم الكثيرون من المغفلين من الناس، ليسوا الّا ورثة أولئك القوم الذين ضلوّا وأضلوّا، ولا يوجد فى أيديهم إلا تركتهم التى تركوها للفرقة والاختلاف بين المسلمين ولإبعاد بعض الناس عن العقائد الصحيحة التى نزلت من السماء وجاء بها جبرئيل، وبلغّها رسول الله ﷺ، وكلام الله، القرآن، وسنة رسول الله الثابتة، خالية من ذكرها وتذكرتها .

ونحاول فى هذا الباب أيضا أن لا نكون إلا منصفين، ولا نلزم

القـوم مالا يلتـزمون به، ولا ننسب إليهم مالا يثبتونه في كتبهم أنفسهم كما تعوّدنا ذلك بفضل الله، وكما لاحظ القارىء في هذا الكتاب وفي غيره .

وتجنبا لسرد العبارات التى سقناها من قبل ـ نلخص ما كان يقو به من المخططـات ويـروّجـه عبد الله بن سبأ وما كانت تنشره السبئية م عقائد وآراء، ثم نقارن تلك العقائد والآراء بأفكار الشيعة الاثنى عشر الموجودين حاليا وعقائدهم، وهل هى موجودة فيهم أم لا؟ . فنقول :

أولا : قيـام السبئيـة بتكوين جمعيات سرّية يهودية باسم الإسلا تحت راية عبد الله بن سبأ .

ثانيـا : إظهـار الحب والـولاء والمشـايعـة والمـوالاة لعلى وأولا والانضمام إلى شيعتهم .

ثالثـا : الحقـد والبغض لأصحـاب رسـول الله ﷺ والـبراءة م أبى بكر وعمر وعثمان خلفاء نبى الله فى أمته، الثلاثة الراشدين المهديين والطعن فيهم وتفسيقهم وتكفيرهم .

رابعـا : تأليب النـاس وتحريضهم على عثمان واتهامه بتهم باط لإيقـاع الفـرقـة بين الأمة الواحدة والشقاق فى المسلمين، والتشنيع عا العـمال، وتشـويه سمعة الحكام، وخصوصا الذين قادوا المعارك الحاسـ وفازوا فيها .

خامسـا : ترويـج العقـائـد اليهـوديـة والنصـرانية والمجوسية ب المسلمـين، التى لا تمت إلى الإسـلام بصلة، لا قريبـة ولا بعيـد والكتـاب المنـزل من السـماء على محمد ﷺ خال منها، وكذلك تعليما الـرسـول الناطق بالوحى نزيهة وبريئة من التلوث بها مثل قولهم بالوص والـولايـة والعصمة والرجعة وعدم الموت وملك الأرض والحلول والا

وتأليه الخلق واتصافهم بصفات الله وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول الوحى .

فهذه هى الأفكار السبئية التى اقتبسناها من عبارات الشيعة وأئمتهم حول عبد الله بن سبأ والعقائد التى دعوا إليها وروجوها بين المسلمين، والعبارات والنصوص التى سردناها فى الباب الثانى حيث ذكرنا عبد الله بن سبأ والسبئية بالتفصيل . وهذه هى خلاصة أقوالهم التى قالوها والأعمال التى قاموا بها، والآن لنضع النقاط على الحروف ونقول :

أما الأول : أى تكوين اليهود جمعيات تحت قيادة عبد الله بن سبأ للدس والفتنة فلا نحتاج لاثباتها إلى أى شىء بعدما أثبتناها من أئمة الشيعة فى الفرق والرجال والتاريخ والنقد، غير السنة، وتصريحاتهم بعدما أطنبنا القول فيه فيما مرّ .

والثانى : أى أظهار الحب والولاء والموالاة لعلى وأولاده، فهذا هو الذى جعله الشيعة شعارا لهم وما أكثر ما قالوه فى هذا وتقوّلوا به على علىّ وأولاده - كذبا وزورا - حتى جعلوا الدين كله موالاة لعلى وأولاده دون الإيمان بالقرآن والسنة، بل ودون الإيمان بالله ورسوله والامتثال لأوامرهما والتجنب عن النواهى، وبدون العمل الصالح والسعى إلى المكارم والفضائل والحسنات، فلقد قالوا فيما قالوا وما أكثره وما أشنعه .

عن أبى جعفر أنه قال :

هل الدين إلا الحب»[1] .

فالحب هو الدين، لا الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الصوم ولا غير ذلك من العبادات التى أمر الله باتيانها وأدائها، ولا الأمر بالمعروف

(١) كتاب الروضة من الكافى للكلينى، باب وصية النبي لأمير المؤمنين ج ٨ ص ٨٠ ط طهران .

والنهي عن المنكـر، ولا التجنب للبغي والفحشـاء، ولا التقيـد بالقيود في
المعاملات، ولا المراعاة التى أمر بها الإنسان للتعايش مع ذويه وعشيرته
وجـيرانــه ومجتمعــه، ولا الحقـوق ولا الفـرائض، ولا الـواجبـات ولا
المحرمات، فإن الدين هو الحب وحده .

وهـو الإيـمان أيضـا كما نقلوه عن أبى جعفـر محمـد الباقر ـ الإمام
الرابع المزعوم :
حبّنا إيمان وبغضنا كفر»(٢) .

لا الإيـمان بالله ولا بالـرسل ولا بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ولا
بالكتاب المنزل عليه ولا بالتعاليم التى منحها لأصحابه وتلاميذه لأنه م
أرسـل الـرسـل ومـا نزلت الكتب ولم يأت الأنبيـاء إلا للدعـوة إلى علي
وأولاده وحبهم والموالاة لهم .

ولقد ذكر المفسر الشيعى الكبير البحرانى فى مقدمة تفسيره الكبير
عن واحد من أصحاب علىّ، حبة العوفى أنه قال :

قال أمـير المؤمنـين عليـه السلام : إن الله عز وجل عرض ولايتي
على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، » أقرّ بها من أقر بها وأنكرها من
أنكرها، أنكرها يونس فحبسه فى بطن الحوت حتى أقر بها»(٣) .

وذكر عن (البصائر) عن محمد بن مسلم أنه قال :

سمعت أبـاجعفـر عليـه السلام يقول : إن الله أخذ ميثاق النبيين
على ولاية على، وأخذ عهد النبيين على ولاية على»(٤) .

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك كما قال :

وفى كنـز الفـوائـد نقـلا من خط الشيخ الطوسى من كتاب مسائ

(٢) الاصول من الكافى ج ١ ص ١٨٨ .
(٣) بصائر الدرجات ج ٢ ص ١٠ ط ايران نقلا عن تفسير البرهان، مقدمة ص ٢٥ .
(٤) ايضا ص ٢٦ .

البلدان عن جابر الجعفى عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال دخل سلمان على علي، فسأله عن نفسه؟ فقال: ياسلمان! أنا الذى دعيت الأمم كلها إلى طاعتى فكفرت فعذبت فى النار وأنا خازنها عليهم حقا أقول ياسلمان انه لا يعرفنى أحد حق معرفتى إلا كان معى، أخذ الله على الناس الميثاق لى فصدق من صدق وكذب من كذب، قال سلمان: لقد وجدتك يا أمير المؤمنين فى التوراة كذلك وفى الإنجيل كذلك بأبى أنت وأمى ياقتيل كوفة! أنت حجة الله الذى تاب به على آدم، وبك أنجى يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب، وسبب تغير نعمة الله عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتدرى ما قصة أيوب؟. قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين، قال: لما كان عند الانبعاث للمنطق شك أيوب فى ملكى فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم، فقال الله: ياأيوب! أتشك فى صورة أقمته انا، إنى ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بأمرة المؤمنين فانت تقول خطب جليل وأمر جسيم فوعزتى لاذيقنك من عذابى أو تتوب إلى بالطاعة لأمير المؤمنين ثم ادركته السعادة بى يعنى انه تاب واذعن بالطاعة لعلى عليه السلام»(٥).

وغير هذا أيضا:

ففى سرائر ابن ادريس من جامع البزنطى عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

ما من نبى ولا من ادمى ولا من إنسى ولا جنى ولا ملك فى السماوات والأرض إلا ونحن الحجج عليهم، وما خلق الله خلقا إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر جاحد حتى

(٥) تفسير البرهان للبحرانى، مقدمة ص ٢٧.

السماوات والأرض»[٦].

وتتمة هذا الخبر فى مناقب ابن شهر آشوب عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عرض الله امانتى على السموات السبع بالثواب والعقاب فقلن ربنا لاتحملنا بالثواب والعقاب لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وان الله عرض ولايتى وأمانتى على الطيور فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقا فلعنهما الله من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تطير بالنهار لبغض الطير له، وأما العنقا فغابت فى البحار لا ترى، وان الله عرض أمانتى على الأرض فكل بقعة آمنت بولايتى جعلها طيبة زكية وجعل نباتها وثمرها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالا وكل بقعة جحدت إمامتى وأنكرت ولايتى جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً وعلقماً وجعل ثمرها العوسج والحنظل وجعل ماءها ملحاً اجاجاً»[٧].

وأما بخاريهم الكلينى فروى فى صحيحه عن أبى عبد الله جعفر - الإمام السادس عندهم - أنه قال:

ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبيا قط إلا بها»[٨].

وعن أبيه أبى جعفر - محمد الباقر - أنه قال:

والله إن فى السماء لسبعين صفا من الملائكة، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، وانهم ليدينون بولايتنا»[٩].

وعنه أيضا أنه قال:

---

(٦) ايضا ص ٢٦.

(٧) ايضا.

(٨) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٣٧.

(٩) ايضا ص ٤٣٧.

ان الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ»[١٠] .

وأخيراً روى الكلينى عن إمامه المعصوم، عن أبى الحسن أنه قال :

ولاية على عليه السلام مكتوبة في صحف جميع الأنبياء»[١١] .

وكما روى أيضا عن سالم الحناط قال :

قلت لأبى جعفر عليه السلام : أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين، قال: هى الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام»[١٢] .

وكذلك سئل أبو جعفر عن قول الله عزوجل : ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم، قال: الولاية»[١٣] .

وابنه جعفر قال :

ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى»[١٤] .

وروى الكلينى عن الصومالى :

عن أبى جعفر عليه السلام قال : أوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله : فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم، قال: إنك على ولاية علىّ، وعلىّ هو الصراط المستقيم»[١٥] .

وإن لم يأت العبد بولاية على لم يسأله عن شىء، وأمر به إلى

---

(١٠) ايضا ص ٤٣٨ .
(١١) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٣٧
(١٢) ايضا، باب فيه نكت من التنزيل فى الولاية ج ١ ص ٣١٢.
(١٣) ايضا ص ٤١٣ .
(١٤) ايضا ص ٤١٨ .
(١٥) ايضا ص ٤١٧ .

النار

وعلى ذلك قال البحرانى مفسر الشيعة :

إن الله لم يبعث نبيا قط إلا بعد ما أقر بالولاية لأهل البيت، وإن بعثة الأنبياء كانت لذلك أيضا»[١٦] .

وإن هذه الموالاة هى سبب دخول الجنة والنجاة من النار. لا الأعمال ولا الحسنات، فمن والى عليا وأولاده فهو من أهل الجنة، وغيره يدخل النار ولو صام وصلى كما نقلوا عن أبى جعفر أنه قال :

سواء على من خالف لنا أهل البيت لا يبالى صلى أوصام، أو زنى أو سرق، إنه فى النار، إنه فى النار»[١٧] .

وكذبوا على رسول الله أنه قال لعلىّ رضى الله عنه :

من أحبّك كان مع النبيين فى درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالى مات يهوديا أو نصرانيا»[١٨] .

وكذلك روى صدوقهم - وهو كذوبهم :

قال رسول الله (ص): يا على إن الله تعالى قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبى شيعتك ومحبّى محبّى شيعتك، فابشر»[١٩] .

وذكر العياشى فى تفسيره عن أبى عبد الله جعفر أنه قال :

المؤمنون بعلىّ هم الخالدون فى الجنة وإن كانوا فى أعمالهم مسيئة»[٢٠] .

«حب علي حسنة لا تضر معها سيئة[٢١] وبغضه معصية لا تنفع

---

١٦) انظر البرهان فى تفسير القرآن للسيد هاشم البحرانى، مقدمة ص ٣٣٩ ط ايران.

(١٧) ايضا، الفصل الثانى فى بيان فرض ولاية أهل البيت ص ٢١ .

(١٨) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٨ . ط طهران.

(١٩) ايضا ج ٢ ص ٤٧ .

(٢٠) تفسير العياشى ج ١ ص ١٣٩ .

(٢١) ويجب الانتباه أنه لم يرو هذه الروايات الا الوضاعون الدجالون من الشيعة الذين ينقلون عن

معها حسنة»(٢٢) .

وأخيرا ما كذبوه على رسول الله ﷺ أنه قال :

سمعت الله عز وجل يقول :

علي بن أبي طالب حجتي على خلقي ، ونوري في بلادي وأميني على علمي ، لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني ، ولا أدخل الجنة من أنكره وان اطاعني»(٢٣) .

فالقضية واضحة بأن طاعة الله ليست بطاعة ، ومعصية الله ليست بمعصية مادام الحب والولاء لعلي وأولاده موجود ، وهذا ما كان يقصده اليهودية البغضاء لابعاد أمة محمد ﷺ عن الشريعة السماوية التي لا تفرق بين شخص وشخص ، ولا تجعل مدار العز والشرف إلا على العمل والتقوى كما قال جل من قائل :

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٢٤) .

وقال : ﴿أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين﴾(٢٥) .

وقال : ﴿لقد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم

دجاجلة كذابين مثلهم ، وقد وردت هذه الروايات بطرق الشيعة الكذابين أيضا في بعض كتب السنة الذين لم يلتزموا بايراد الروايات الصحيحة ، ولم يلزموا أنفسهم تنقيد الرواة وتنقيح أحوالهم ، فلا يعتمد على تلك المرويات لأنها منقولة ومروية من الشيعة لترويج باطلهم ونشر أباطيلهم . ولله الحمد والمنة ان عند السنة معيارا قويا ومحكا صالحا لتنقية هذه الروايات وتنقيحها لتمييز الحق من الباطل ، كما عندهم أصول وضوابط وقواعد لنقد الرجال جرحا وتعديلا ، فلا تقبل الروايات والرواة عندهم الا الصادقة عن الصدوق ، ولا يلتفت الى الضعاف والضعفاء والوضع والوضاع ، والى الأكاذيب والكذبة .

(٢٢) منهج الصادقين ج ٨ ص ١١٠ .

(٢٣) البرهان ، مقدمة ص ١٣ .

(٢٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢٥) سورة الشعراء الآية ٩٠ .

لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾(٢٦).

وقال: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرة يره﴾(٢٧).

وقال: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(٢٨).

وقال: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى. وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾(٢٩).

وقال: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين. فى جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم فى سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخاضعين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾(٣٠)

نعم الشريعة التى لم تفرق بين شخص وشخص لحسبه ونسبه، فلم تفرق بين أبى لهب بأنه يدخل الجنة لأنه عم النبى ﷺ، ولم تقتصر على البيان بأنه من أهل النار بل قرن ذكره باللعن فى الكتاب الذى يبقى أبد الدهر حيث قال:

﴿تبت يدا أبى لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. فى جيدها حبل من مسد﴾(٣١).

ولم تفرق تلك الشريعة السمحاء بين بلال وغيره لأنه حبشى وغير

---

(٢٦) سورة المؤمنون الآية ١ الى ١١.
(٢٧) سورة الزلزال الآية ٧، ٨.
(٢٨) سورة الأنعام الآية ١٦٤.
(٢٩) سورة الليل الآية ٩.
(٣٠) سورة المدثر الآية ٣٨ الى ٤٨.
(٣١) سورة تبت.

عربى وقرشى وغير مكى، جاء مكة وهو مملوك لغيره، بل بُشر بالجنة بلسان الناطق بالوحى لأن أعماله أهلته لذلك .

وهم الذين كانوا يرون الإيمان بالله وبالرسول وبالكتاب الذى نزل عليه والأعمال الصالحة حسب أوامر الله وأوامر الرسول ﷺ سببا لدخول الجنة كانوا يقومون ليلا ويصومون نهارا، ويرفعون رأيات الجهاد، وينزل عليهم النصر من فوق السماء، ويؤيدهم ملائكة الرب وجنود الرحمان، وهم الذين كانوا يرون الجنة تحت ظلال السيوف لإحقاق الحق وإبطال الباطل ولإظهار دين الله على الدين كله، وهم الذين كانوا يقهرون سلاطين الأمم وملوكها وجبابرة الأرض وطغاتها، وهم الذين اندحرت أمامهم فلول اليهودية وجيوش النصرانية وعساكر المجوسية، وهم الذين أريد بهم وبأخلافهم أن يبعدوا عن هذه الشريعة الحية المحيية الأموات، والباعثة فيهم الأرواح، أرادوا إماتة هذه الأمة المقدامة لردهم عن دينهم وإبعادهم عن تعاليم الإسلام الحقيقية، عن الإيمان والعمل والجد والجهد والجهاد، فقالوا : لا يحتاج لدخول الجنة وإرضاء الرب إلى كل هذه المشقة والعناء، بل يكفى لها حب أشخاص والولاية لهم، ففازوا فى مقاصدهم الخبيثة بعض الفوز وانطلت مكايدهم على بعض السذج الغفلة من الناس، والمغرورين والمخدوعين بأسماء أشخاص لم يكونوا إلا عباداً لله المتقين، العاملين المؤمنين. فبدل أن يكون أمام أعينهم أن أول ما يسأل العبد عنه الصلاة، كى يصلوا ويجتهدوا فى التقرب إلى الله بالركوع والسجود والقيام إليه قالوا :

قال أبو الحسن عليه السلام ـ الإمام الثامن عندهم ـ: أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»(٣٢) .

(٣٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦٥، ايضا البرهان، مقدمة ص ٢٢ .

وعلى ذلك جعلت الولاية أهم من الصلاة والزكاة وعن كل شيء كما ذكرناه آنفا، وكما ورد في الكافي للكليني عن أبي جعفر أنه قال :

بني الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»[٣٣] .

بل وهي المقصود كما كذبوا على النبي ﷺ أنه قال :

أتاني جبريل عليه السلام وقال : يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول : فرضت الصلاة ووضعتها عن المريض، وفرضت الصوم ووضعته عن المريض والمسافر. وفرضت الحج ووضعته عن المقل المدقع، وفرضت الزكاة ووضعتها عن من لا يملك النصاب، وجعلت حب علي بن أبي طالب عليه السلام ليس فيه رخصة»[٣٤] .

ولذلك جعلوها مدار الكفر والإيمان كما هو ظاهر من هذه الروايات وكما بيناه آنفا .

وأما من قال من الشيعة المعاصرين[٣٥] بأن الاعتقاد بالولاية ليس بالضروري وأنه بعدم الاعتقاد بها لا يخرج عن كونه مسلما ليس إلا خداعاً وتزويراً، ولا يتفوه بمثل هذه الكلمات إلا في كتب الدعاية ولإيقاع السذج من المسلمين في شراكهم وحبائلهم وإلا فهم لا يعتقدون بمثل هذه الاعتقادات كما ذكر، وصرح به أئمة الشيعة .

ولقد ذكر السيد البحراني عن عديد من أئمة الشيعة بأن هذه العقيدة اليهودية التي أوجدها وأنشأها عبد الله بن سبأ اليهودي لتعطيل الشريعة وإبعاد المسلمين عنها هي مدار الإيمان وهي مدار النجاة، والمنكر

(٣٣) الكافي في الاصول، باب دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٨ .

(٣٤) البرهان، مقدمة ص ٢٢ .

(٣٥) ألا وهو الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وفروعها) ص ١٠٣، ١٠٤ الطبعة التاسعة بيروت ١٩٦٠م، وكذلك السيد محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) ج ١ ص ٦٩ .

بها لا يعد مؤمنا. ونذكر ههنا عن إمامهم وشيخهم المفيد أنه ذكر في كتاب المسائل :

اتفقت الإمامية على أن من ينكر إمامة إمام وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض طاعته فهو كافر ضال مستحق الخلود في النار. . . وقال: لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفا للحق في الولاء، ولا يصلى عليه»(٣٦) .

ونقل مثل ذلك عن بابويه القمي شيخ الطائفة الطوسي، والملا باقر المجلسي، والسيد شريف المرتضى وغيرهم من الكثيرين مثله .

وأما البغض والحقد لأصحاب النبي ﷺ والطعن فيهم والعيب عليهم وشتمهم فصار من لوازم مذهب الشيعة، وقلما يوجد كتاب من كتبهم إلا وهو مليء بالطعن والتعريض بهم، بل ولقد خصص أبواب مستقلة لتكفير وتفسيق أصحاب النبي ﷺ، ولا يذكرهم أحد من القوم إلا ويسبق ذكرهم بالشتيمة ويلحق بالسباب. ولقد مثلنا لهذا في كتابنا (الشيعة والسنة) في الباب الأول منه، كما فصلنا القول في هذا الخصوص في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) في الباب الثاني منه ولا نريد أن نعيد ما ذكرناه هناك تجنبا للإطالة. فليرجع القارىء في معرفة ذلك إلى هذين الكتابين. ونقتصر على ما كتبه إمام شيعة اليوم السيد الخميني في كتابه (كشف الأسرار) وهو مع كونه رجلا سياسيا ـ والسياسة تتطلب بعض الملاينة والمهادنة والمراعاة للآخرين ـ يذكر بكل صراحة ووضوح :

أن أبابكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله ﷺ، بل وأكثر من ذلك أنهم غيروا أحكام الله وحللوا حرام الله، وظلموا أولاد الرسول، وجهلوا قوانين الرب وأحكام الدين(٣٧) .

(٣٦) البرهان، مقدمة ص ٢٠ .
(٣٧) ملخص ما قاله السيد الخميني في كتابه (كشف الاسرار) ص ١١٠ وما بعد ط فارسي.

وبعـد ذلـك يذكر عقيدته وعقيدة الشيعة فى الإمامة ، فيقول تحت عنوان : لماذا لم يذكر اسم الإمام فى القرآن صريحا :

ولقد ظهر مما ذكر أنِ الإمامة أصل من الأصول المسلمة الإسلامية بحكم العقـل والقـرآن ، وأن الله قد ذكر هذا الأصل المسلم فى عديد من مواضـع القـرآن ، فيمكن أن يسأل سائـل : مادام هذا فلماذا لم يذكر اسم الإمام فى القرآن لكى لا يقع خلافات وحروب حوله كما وقعت ، فالجواب على ذلك بوجوه ، وقبل حل هذا الإشكال نريد أن نقول جهرا : إن كل الخلافات التى حلت بين المسلمين فى جميع أمورهم وشئونهم لم تقع بينهم إلا من أثـر يوم السقيفـة ، ولـو لم يكن ذلـك اليـوم لم يكن بين المسلمـين خلاف فى القوانين السماوية ، فنقول : لو ذكر اسم الإمام فى القرآن فرضا لم يكن يرفـع النـزاع بين المسلمـين لأن الـذين لم يدخلوا فى الإسـلام إلا طمعا فى الرئاسة وتجمعوا وتحزبوا لنيلها لم يكونوا مقتنعين بنصوص القرآن وآيـاتـه ، ولم يكونوا منتهين عن أطماعهم وأغراضهم ، بل كان من الممكن أن يزدادوا فى مكرهـم ويصلوا إلى هدم أساس الإسلام لأن الطامعين فى الـرئـاسة والطالبين لها لو رأوا مقصودهم لا يحصل باسم الإسلام لشكلوا آنـذاك حزبـا معـارضـا للإسـلام ومخـالفه ، وآنذاك لم يكن لعلى بن أبى طالب أن يسكت فكان من نتيجة ذلك أن يحصل النزاع والخلاف الذى يقلع جذرة الإسـلام ويقطـع دابـره ، وعلى ذلـك كان ذكر اسم على بن أبى طالب فى القرآن خلاف مصلحة أصل الإمامة .

وأيضـا لو كان اسم الإمـام مذكـورا فى القرآن لم يكن مستبعدا من الـذين لم يكن علاقتهم بالإسـلام والقـرآن غير الـدنيـا والرئاسة ، الذين جعلوا القـرآن وسيلة لاجـراء نيـاتهم الفـاسـدة لم يكن مستبعدا منهم أن يحذفوا تلك الآيات من القرآن ويحرفوا كتاب الله ويبعدوه عن أنظار الناس

إلى الأبد .

وأيضا لو لم يحدث من هذا شيء على الفرض والتقدير لم يكن من غير المتوقع من ذلك الحزب الطامع الحريص على الرئاسة أن يختلقوا حديثا كاذبا على رسول الله أنه قال قبيل وفاته إن الله خلع على بن أبى طالب من منصب الإمامة وجعل الأمر شورى بينكم .

ولا ينبغى لأحد أن يقول : لو ورد ذكر الإمام فى القرآن لما استساغ الشيخان أن يخالفاه، ولو خالفاه فرضا لم يقبله المسلمون وقاموا ضدهما، فنحن نقول: إنه لا ينبغى القول بهذا، لاننا نعرف أنهما خالفا صريح القرآن جهرا وعلنا والناس لم يردوا عليهما، بل قبلوا مخالفتهما للقرآن»(٣٨)

ثم مثل بأمثلة كثيرة حسب زعمه لإثبات مخالفة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما القرآن بعنوان «مخالفة أبى بكر النصوص القرآنية» و«مخالفة عمر قرآن الرب»(٣٩) .

وأخيرا قال بعد ذكر هذه المخالفات المزعومة :

ويعلم بهذا كله مخالفة أبى بكر وعمر القرآن فى حضور المسلمين ولم يكن هذا الأمر ذا بال عندهم، بل كانوا هم معهما وفى حزبهما مناصرين مساعدين لهما فى نيل المقصود، ويعرف بهذا كله أنه لو ورد ذكر الإمام فى

(٣٨) كشف الاسرار للسيد الخمينى(*) ص ١١٢، ١١٣، ١١٤ ط فارسى .

(٣٩) انظر ص ١١٤ و١١٧ ـ كشف الاسرار.

(*) والمفروض أن يسمى هذا الكتاب كشف أسرار الخمينى، لا كشف الأسرار للسيد الخمينى لأنه فعلا يكشف الأسرار عن هذا الرجل زعيم الشيعة ومصلح الأمة كما يزعمه بعض المغفلين والسذج من أهل السنة فى مختلف بقاع الأرض من العالم الاسلامى وغير الاسلامى . وأتمنى أن يقوم بترجمة هذا الكتاب أحد من العارفين، يكون له معرفة باللغة الفارسية فينقله إلى اللغات العالمية الأخرى حتى تكون أسرار السيد الخمينى مكشوفة عندهم .

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لازال يطبع فى إيران ويوزع من قبل الحكومة الإيرانية فى الداخل والخارج بدون أي تغيير وتبديل فيه، وواعجبا للموجدين للأعذار، الذين يختلقونها من عند أنفسهم، والكاتب المؤلف حي لا ينطق ببنت شفة فى هذا الموضوع، وكيف ينطق وهذه هى العقائد التى يبتنى عليها مذهبه ومسلكه، وهذه هى الأسس التى يقوم عليها دينه وموقفه، وإن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

القرآن لم يكونوا تاركين للرئاسة لقول الله عز وجل، ولا معطين له أى اهتمام، وكما أن أبابكر الذى كان خداعه ظاهرا وزائدا استطاع أن يحرم ابنة رسول الله من ارثها الثابت بالقرآن والعقل باختلاق حديث مكذوب، لم يكن مستبعدا من عمر أن يقول بأن الله أو جبريل أو الرسول أخطأوا فى ذكر إسم الإمام فى القرآن وآياته، ولذلك لا ينظر إليه ولا يعمل به، وآنذاك قام حزب السنة وتابعوه على قوله وتركوا القرآن مهجورا، كما أنهم تابعوه فى جميع التغييرات التى أتى بها فى دين الإسلام ورجحوا قوله على القرآن وآياته وقدموه على أحاديث رسول الإسلام وأقواله»(٤٠).

وهناك كثير وكثير من هذا القبيل.

فهذه هى عقيدة القوم فى أبى بكر وعمر وعثمان وفى أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عنهم ورضوا عنه، قد ذكرناها من رجل سياسى بارز يعد نائب الإمام الغائب عند الشيعة، ومصلح الأمة عند بعض السنة طبق ما توراثه من السبئية وعبد الله بن سبأ، وعليها يقاس عقيدة الآخرين من القوم الذين لم يمارسوا السياسة ولم يستلموا الزعامة الدينية والدنيوية ولم يتسلطوا على البلاد التى يسكنها كثير من السنيين الذين لا يحتاجون إلى المداهنة والمراعاة.

وأما الطعن فى عثمان ذى النورين رضى الله عنه، واللعن عليه وعلى عماله فإنها أمور لا تحتاج إلى البيان وخصوصا بعد ما ذكرنا فى الباب الأول والثانى من المثالب والمطاعن المنقولة من كتب القوم أنفسهم بذكر الصفحات والمجلدات، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليهما وإلى كتابنا (الشيعة والسنة) و (الشيعة وأهل البيت).

والجدير بالذكر أن كتب الشيعة الاثنى عشرية لا يخلو كتاب من

(٤٠) كشف الأسرار ص ١١٩، ١٢٠.

كتبهم سواء كان فى التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السيرة او الرجال او الكلام أو العقائد أوغير ذلك من نفس المطاعن التى كان يرددها السبئيون ضد عثمان رضى الله عنه وحكومته وعماله، لا فرق بين هؤلاء وأولئك إلا الاضافات والزيادات التى اختارها شيعة اليوم ولم تكن معروفة أيام السبئية .

وأما الوصاية والغيبة والرجعة التى نادى أول من نادى بها عبد الله بن سبأ وشلته، وكذلك العقائد الأخرى المنافية للإسلام، والأجنبية على المسلمين، والمروجة من قبل اليهودية والمجوسية من اتصاف الخلق بأوصاف الخالق وتأليه العباد، والحلول، والاتحاد، والتناسخ، وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول الوحى على أحد، وإتيان الكتاب وغيرها من الأمور هى عين تلك العقائد التى انتقلت إلى شيعة اليوم وإلى الشيعة الاثنى عشرية خاصة .

وعلى ذلك قال كبير الشيعة فى الرجال المامقانى فى كتابه (تنقيح لمقال) :

إن ما كان يعد يومئذ غلوا صار يعد الآن من ضروريات لمذهب»(٤١) .

وصحيح ما قاله المقامانى، فإنه لم يكن يعرف هذه الأمور فى لتشيع الأول لدى الشيعة الأولى فإن القوم أخذوها من السبئية وجعلوها بقائد لهم ومعتقدات، وملئوا بها كتبهم ورسائلهم فقالوا : إن عليا رضى له عنه كان وصى رسول الله ﷺ واختلقوا لذلك روايات موضوعة ثيرة. منها ما رواه الكلينى فى كافيه عن جعفر أنه قال :

كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبى صلى

(٤١) تنقيح المقال للمامقانى نقلا عن هامش المنتقى للذهبى ص ١٩٣ .

الله عليـه وآلـه حضـرتها فاطمة بنت أسد إمرأة أبى طالب فلم تزل معه
حتى وضعت فقالت أحدهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟. قالت: هذ
النـور الـذى قد سطـع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل
عليهـما أبـو طالب فقـال لهما: مالكـما من أى شىء تعجبـان؟. فأخبرتا
فاطمة بالنور الذى رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى،
فقال: أما انك ستلدين غلاما يكون وصى هذا المولود»(٤٢).

وأيضا ما اختلقوه بأنه لما نزل قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين:

دعاهم رسول الله (ص) فأكلوا ولم يبين فى الطعام الا أثر أصابعهم
وكـانـوا نحـوا من أربعـين رجـلا وشربوا شنة من قدح كفاهم جميعا وزا
عنهم. فلما فرغــوا قال لهم فى آخـر كلامـه: انى والله ما أعلم شابـا من
العـرب جاء قومـه بأفضـل مما جئتكم به فأيكم يؤزرانى على أمرى هذ
على أن يكـون أخى ووصى وخليفتى فيكم؟ فسكتـوا جميعا، فقام علي
(ع) وقال: أنا يارسول الله أؤ ازرك عليه، فأخذ رسول الله (ص) برقبته
وقال: ان هذا أخى ووصي وخليفتى فيكم فأسمعوا له وأطيعوا، فقام
يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»(٤٣).

ثم قالـوا بنفس ما قالـه عبـد الله بن سبأ وبألفـاظه كذبا على أبى
جعفر محمد الباقر أنه قال:

وأيم الله لقـد نزل الـروح والملائكة بالأمر فى ليلة القدر على آدم
وأيم الله ما مات آدم إلا ولـه وصى وكـل من جاء بعـد آدم من الأنبياء ق

---

(٤٢) الروضة من الكافى للكلينى ج ٨ تحت عنوان اخبار أبى طالب بولادة علي وأنه وصى النـ
ص ٣٠٢.

(٤٣) الارشاد المفيد ص ١١، اعلام الورى للطبرسى ص١٦٢، الصافى ج ٢ ص ٢٢٧، تفسـ
القمى ج ٢ ص ١٢٤، نور الثقلين ج ٤ ص ٦٧، منهج الصادقين ج ٦ ص ٤٨٧، أعيان الشيعة الجـ
الأول القسم الأول ص ٢٠٩.

ناه الأمر فيه ووضع له وصياً من بعده، وأيم الله إن كان النبى ليؤمر فيما
تيه من الأمر فى تلك الليلة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله أن
رص إلى فلان»(٤٤) .

وعن جعفر أنه قال :

أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن
ن إلى ولده هارون. . . فلم تزل الوصية فى عالم بعد عالم حتى دفعوها
ى محمد صلى الله عليه وآله .

فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله، أسلم له العقب
ن المستحفظين وكذبه بنو اسرائيل ودعا إلى الله عز وجل وجاهد فى
بيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك، فقال: رب
العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب ولم يبعث إليهم نبى ولا يعرفون
ـل نبوات الأنبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يؤمنون بى إن أنا
برتهم بفضل أهل بيتى، فقال الله جل ذكره: ولا تحزن عليهم وقل
لام فسوف تعلمون فذكر من فضل وصيه ذكراً فوقع النفاق فى
يهم، فعلم رسول الله صلى الله علي وآله ذلك ما يقولون، فقال الله
ى ذكره: يامحمد ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فإنهم لا
ذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بغير
جة لهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم ويستعين
ضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئا فى فضل وصيه حتى نزلت
ه السورة، فاحتج عليهم حين أعلم بموته، ونعيت إليه نفسه، فقال
جل ذكره: ﴿فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب﴾ يقول: إذا

٤٤) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٢٥٠ ط ايران .

فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيك فأعلمهم فضله علانية، فقال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ـ ثلاث مرات ـ ثم قال: لابعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار يعرّض بمن رجع، ويجبّن أصحابه ويجبّنونه، وقال صلى الله عليه وآله: على سيد المؤمنين، وقال: على عمود الدين، وقال: هذا هو الذى يضرب الناس بالسيف على الحق بعدى وقال: الحق مع على أينما مال»[٤٥].

وعنه أيضا أنه قال:

ان الوصية نزلت من السماء على محمد كتابا، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يامحمد هذه وصيتك فى أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أى أهل بيتى ياجبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعلى عليه السلام وذريتك من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم، قال: ففتح على عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها، ثم فتح الحسن عليه السلا الخاتم الثانى ومضى لما أمر به فيها، فلما توفى الحسن ومضى فتح الحسي عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوا للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عليه السلام، فلما مضى دفعها إلى على بن الحسين عليه السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الراب فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلما توفى ومضى دفعه إلى محمد بن على عليه السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فس كتاب الله تعالى وصدق أباك وورث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الل

(٤٥) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٢٩٣، ٢٩٤.

عز وجل وقل الحق فى الخوف والأمن ولا تخش إلا الله، ففعل، ثم دفعها إلى الذى يليه»(٤٦).

وأخيرا ما رواه عن أبى جعفر قال:

لما أن قضى محمد نبوته، واستكمل أيامه، أوحى الله تعالى إليه أن يامحمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذى عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة فى أهل بيتك عند على بن أبى طالب، فانى لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء»(٤٧).

هذا عين ما قاله عبد الله بن سبأ والسبئية: أن يوشع بن نون وصى موسى وعلى وصى رسول الله، وإن إمامة على لفرض من الله عز وجل(٤٨).

الغيبة

وأما القول بالغيبة والرجعة فلقد تلقفه الشيعة من السبئية منذ تطور التشيع وانقراض الشيعة الأولى فلقد قالوا فى كل من زعموا إمامته من على رضى الله عنه إلى الغائب الموهوم الذى لم يولد، ولقد ذكرنا فيما مر أقوالهم فى واحد واحد من أئمتهم ونقتصر ههنا على ما يقوله الشيعة الاثنا عشرية فى غائبهم الموهوم، فيقولون: إنه ولد للحسن العسكرى ولد، على اختلاف مقولاتهم فى ذلك كما سبق ذكره فى الباب السابق، ثم يقولون: أنه غاب عن الأعين، وله غيبتان: الغيبة الصغرى والغيبة

(٤٦) ايضا، باب ان الأئمة لم يفعلوا شيئا ولا يفعلون الا بعهد من الله ج ١ ص ٢٨٠.

(٤٧) ايضا، باب الاشارة والنص على أمير المؤمنين ج ١ ص ٢٩٣.

(٤٨) انظر لذلك رجال الكشى ص ١٠٩ ط كربلاء ـ العراق، فرق الشيعة للنوبختى ٤٤،٤١ ط النجف ـ العراق، تنقيح المقال للمامقانى ج ٢ ص ١٤٣، ط. إيران وغيرها من .

الكبرى. كما كذبوا على جعفر أنه قال :

للقائم غيبتان : إحداهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه»[٤٩] .

وعنه أيضا أنه قال :

لصاحب هذا الأمر غيبتان : إحداهما يرجع منها إلى أهله ، والأخرى يقال : هلك ، فى أى واد سلك؟ قلت : كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال : إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»[٥٠]

وعن أبيه مثله[٥١] .

«أما غيبته الصغرى منهما فهى التى كانت فيها سفراؤ ه موجودين وأبوابه معروفين ، لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم فمنهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى ، ومحمد بن على بن بلال ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمان ، وابنه أبو جعفر محمد بن عثمان ، وعمر الأهوازى ، وأحمد بن اسحاق ، وأبو محمد الوجنانى ، وإبراهيم بن مهزيار ، ومحمد بن إبراهيم فى جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم ، وكانت مدة هذه الغيبة اربعاً وسبعين سنة ، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى باباً لأبيه وجده من قبل وثقة لهما ، ثم تولى الباقية من قبله وظهرت المعجزات على يده ، ولما مضى لسبيله قام ابنه محمد مقامه رحمهما الله بنصه عليه ، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة من سنة اربع أو خمس وثلاثمائة ، وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نوبخت بنص أبى جعفر محمد بن عثمان

(٤٩) كتاب الحجة من الكافى ص ٣٤٠ . كتاب الغيبة لمحمد بن ابراهيم النعمانى ص ١٧٠ ط مطبعة الصدوق طهران .

(٥٠) كتاب الحجة من الكافى ص ٣٤٠ .

(٥١) كتاب الغيبة للنعمانى ص ١٧٣ .

عليه، وأقامه مقام نفسه، ومات فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقام مقامه أبو الحسن على بن محمد العمرى بنص أبى القاسم عليه، وتوفى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

فروى عن أبى محمد الحسن بن أحمد المكتب أنه قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها على بن محمد السمرى فحضرته قبل وفاته بأيام فخرج وأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم ياعلى بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص لأحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن يدعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قال: فانتسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو بنفسه فقيل له: من وصيك؟ قال: لله أمر هو بالغه فقضى، فهذا آخر كلام سمع منه ثم حصلت الغيبة الطولى التى نحن فى أزمانها، والفرج يكون فى آخرها بمشيئة الله تعالى»(٥٢).

وأما أين يستقر غائبهم وماذا يعمل فيقولون: إنه مستقر فى سرداب سامراء كما يروى القطب الراوندى «أن العباسيين بعثوا عسكرا، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كلهم، فخرج من السكة على باب السرداب ومر عليهم، فلما غاب قال

(٥٢) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٤٥.

الأمير : انزلوا عليه فقالوا : أليس هو قد مر عليك؟ فقال : ما رأيت وقال : ولم تركتموه؟ قالوا : انا حسبنا أنك تراه»(٥٣) .

أو بالمدينة(٥٤) .

أو فى مكة(٥٥) .

أو برضوى ـ الجبل الذى يقولون فيه أنه غاب فيه محمد بن الحنفية كما نقلنا عن السيد الحميرى شاعر الشيعة أنه قال :

تغيب لا يرى فيهم زمانا   برضوى عنده عسل وماء(٥٦) .

ويقولون : فى ذى طوى . كما يذكر النورى الطبرسى :

ان للشيعة دعاء مشهورا رووه عن الأئمة عليهم السلام يعرف بدعاء الندبة ، أمروا بقراءته فى الأعياد الأربعة ، وفيه ما يخاطب به إمام زمانه الحجة عليه السلام :

ليت شعرى استقرت بك النوى   بل أى أرض تقلك أو ثرى

أبرضوى أم بغيرها ، أم بذى طوى(٥٧) .

أو فى اليمن بواد يقال له شمروخ(٥٨) .

أو الجزيرة الخضراء(٥٩) .

وأما الجزئرى فقد ذكر قصة طويلة غريبة عجيبة أنه يذكر الجزر التى مسيرة مدنها سنة :

لايوجد فى أهل تلك الخطط والضياع غير المؤمن الشيعى الموحد ، القائل بالبراءة والولاية . . . سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون

(٥٣) كتاب الخرائج للراوندى نقلا عن كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار للنورى الطبرسى ص ٢١١ ط طهران ، الفصول المهمة ص ٢٩٣ ط منشورات الاعلمى طهران .

(٥٤) الكافى فى الاصول ، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٢٨ ، الفصول المهمة ص ٢٩٢ .

(٥٥) كشف الأستار ص ٢١٥ .

(٥٦) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٣ .

(٥٧) كشف الأستار ص ٢١٥ .

(٥٨) الانوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٦٥ .

(٥٩) بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ باب جزيرة الخضراء .

بالعـدل وبـه يأمـرون ولـو جمع أهل الدنيا لكانوا أكثر منها على اختلاف الأديان والمذاهب»[٦٠] .

وكذلك يقولون : إنه فى جابلقاء أو فى جابلساء وغيرها من الخرافات .

وأما ماذا يعمل فيقولون :

إنه يشهد الموسم (الحج) فيراهم ولا يرونه»[٦١] .

ويروون أن خادمة إبراهيم بن عبدة قالت :

كنت واقفة مع إبراهيم على الصفا فجاء عليه السلام حتى وقف على إبراهيم وقبض على كتاب مناسكه وحدثه بأشياء»[٦٢] .

ويكذب آخر ـ وهو أبو عبد الله الصالح ـ فيقول :

إنـه رآه عنـد الحجـر الأسود والناس يتجاذبون إليه وهو يقول : ما بهذا أمروا»[٦٣] .

ويقول الآخر :

شاهـدت سيـماء (اسم رجل من أتباع السلطان) آنفا بسرمن رأى وقد كسر باب الدار، فخرج عليه وبيده طبرزين فقال له : ما تصنع فى دارى؟ فقال سيماء : ان جعفرا زعم أن أباك مضى ولا ولد له ، فان كانت دارك فقد أنصرفت عنك، فخرج عن الدار»[٦٤] .

ويحكى الآخر :

كنت حاجا مع رفيق لى ، فوافينا إلى الموقف فإذا شاب قاعد عليه

---

(٦٠) انظر الانوار النعمانية لمحدث الشيعة الجزائرى، باب نور فى ولادة عليه السلام ج ٢ ص ٥٨ وما بعد.

(٦١) الاصول من الكافى، كتاب الحجة، باب فى الغيبة ج ١ ص ٣٣٨.

(٦٢) ايضا، باب فى تسمية من رآه ص ٣٣١.

(٦٣) ايضا.

(٦٤) ايضا.

إزار ورداء، وفى رجليه نعل صفراء، قومت الازار والرداء بمائة وخمسين ديناراً وليس عليه أثر السفر، فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فسأله، فحمل شيئا من الأرض وناوله، فدعا له السائل واجتهد فى الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا، فدنونا من السائل فقلنا له ويحك ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهب مضرسة، قدرناها عشرين مثقالا، فقلت لصاحبى: مولانا عندنا ونحن لا ندرى، ثم ذهبنا فى طلبه فدرنا الموقف كله، فلم نقدر عليه، فسألنا كل من حوله من أهل مكة والمدينة، فقالوا شاب علوى يحج، فى كل سنة ماشيا»(٦٥).

ثم يحكون وينسبونه إلى على الرضا أنه قال:

لا يرى جسمه ولا يسمى اسمه»(٦٦).

كما نقلوا عن الحسن العسكرى أنه قال:

إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه، قيل: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد»(٦٧).

ويقول الأربلى:

إنه حى موجود، يحل ويرتحل، ويطوف فى الأرض ببيوت وخيم وخدم وحشم وإبل وخيل وغير ذلك»(٦٨).

ثم حكى قصة أن شمس الدين الهرقلى قال:

حكى لى والدى أنه خرج فيه - وهو شاب - على فخذه الايسر توثة (بثرة متقرحة) مقدار قبضة الإنسان، وكانت فى كل ربيع تشقشق ويخرج منها دم وقيح، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله؛ وكان مقيماً بهرقل، فحضر الحلة يوما ودخل إلى مجلس السعيد رضى الدين على بن

(٦٥) ايضا ص ٣٣٢.
(٦٦) ايضا ص ٣٣٣.
(٦٧) ايضا، باب النهى عن الاسم ص ٣٣٢، ٣٣٣.
(٦٨) كشف الغمة للاربلى ج ٣ ص ٢٨٣.

طاوس رحمه الله وشكا إليه ما يجده منها، وقال: أريد أن أداويها فاحضر له أطباء الحلة وأراهم الموضع، فقالوا: هذه التوثة فوق العرق الاكحل وعلاجها خطر ومتى قطعت خيف ان ينقطع العرق فيموت، فقال له السعيد رضى الدين قدس روحه: أنا متوجه إلى بغداد وربما كان أطبائها اعرف وأحذق من هؤلاء فاصحبنى فاصعد معه واحضر الاطباء فقالوا كما قال أولئك فضاق صدره، فقال له السعيد: ان الشرع قد فسح لك فى الصلوة فى هذه الثياب وعليك الاجتهاد فى الاحتراس ولا تغرر بنفسك فالله تعالى قد نهى عن ذلك ورسوله فقال له والدى: إذا كان الأمر على ذلك وقد وصلت إلى بغداد فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسر من رأى على مشرفه السلام، ثم أنحدر إلى أهلى فحسن له ذلك، فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضى الدين وتوجه، قال: فلما دخلت المشهد وزرت الأئمة عليهم السلام ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام وقضيت بعض الليل فى السرداب وبت فى المشهد إلى الخميس، ثم مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوبا نظيفا، وملاءت ابريقا كان معى، وصعدت أريد المشهد .

فرأيت أربعة فرسان خارجين من بات السور، وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون اغنامهم فحسبتهم منهم فالتقينا فرأيت شابين أحدهما عبد مخطوط وكل واحد منهم متقلد بسيف وشيخاً منقباً بيده رمح والآخر متقلد بسيف، وعليه فرجية ملونة فوق السيف وهو متحنك بعذبته، فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق ووضع كعب فى الأرض، ووقف الشابان عن يسار الطريق؛ وبقى صاحب الفرجية على الطريق مقابل والدى، ثم سلموا غليه فردّ عليهم السلام، فقال له صاحب الفرجية: أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقال: نعم، فقال له

تقـدم حتى أبصـر ما يوجعك؟ قال: فكرهت ملامستهم وقلت في نفسي أهـل البـاديـة ما يكـادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول، ثم اني بعد ذلك تقدمت إليه فلزمني بيده ومدني إليه وجعل يلمس جانبي من كتفي إلى أن أصابت يده التوثة فعصرها بيده، فأوجـعني ثم استـوى في سرجـه كما كان فقـال لي الشيـخ: أفلحت ياإسـماعيـل، فعجبت من معـرفته باسمي، فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله؛ قال: فقـال لي الشيـخ: هذا هو الإمـام، فتقـدمت إليـه فاحتضنته وقبلت فخذه.

ثم أنـه ساق وأنـا أمشي معـه محتضنـة فقـال: ارجع، فقلت: لا أفـارقـك أبـداً، فقـال: المصلحـة رجـوعـك، فأعدت عليه مثل القول الأول؛ فقال الشيخ: ياإسماعيل ما تستحي يقول لك الإمام مرتين ارجع وتخالفه؟ فجبهني بهذا القول، فوقفت فتقدم خطوات والتفت إلى وقال: إذا وصلت بغداد فلابد أن يطلبك أبو جعفر يعني الخليفة المستنصر رحمه الله؛ فإذا حضـرت عنـده وأعطـاك شيئـاً فلا تأخـذه وقـل لولدنا الرضي ليكتب لك إلى علي بن عوض، فإنني أوصيه يعطيك الذي تريد ثم سار وأصحابه معه، فلم أزل قائماً أبصرهم إلى أن غابوا عني وحصل عندي أسف لمفـارقتـه فقعـدت إلى الأرض ساعة مشيت إلى المشهد، فاجتمع القـوّام حولي وقـالوا: : نرى وجهك متغير أوجعك شيء؟ قلت قلت لا قالـوا أخـاصمـك أحـد؟ قلـ: لا ليس عنـدي مما تقـولـون خبر لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم فقالوا: هم من الشرفاء أربـاب الغنم، فقلت: لا، بل هو الإمـام عليـه السلام، فقالوا: الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية فقلت: هو صاحب الفرجية فقالوا: أريته المـرض الـذي فيك؟ فقلت: هو قبضه بيده واوجعني؛ ثم كشف رجلي

فلم ار لذلك المرض أثراً فتداخلنى الشك من الدهش، فأخرجت رجلى الأخرى فلم أر شيئا»(٦٩) .

كما حكى ان أبا عطوة كان به أدرة، وكان زيدى المذهب، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية، ويقول: لا أصدقكم ولا أقول بمذهبكم حتى يجيىء صاحبكم يعنى المهدى، فيبرأنى من هذا المرض، وتكرر هذا القول منه فبينا نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا؛ فأتيناه سراعاً فقال: ألحقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندى، فخرجنا فلم نر أحداً، فعدنا إليه وسألناه فقال: أنه دخل إلى شخص، وقال: ياعطوة فقلت: من أنت؟ فقال: أنا صاحب بنيك قد جئت لابرئك مما بك، ثم مد يده فعصر قروتى ومشى ومددت يدى فلم أر لها أثراً قال لى ولده: وبقى مثل الغزال ليس به قلبه واشتهرت هذه القصة وسألت عنها غير ابنه فاخبر عنها فاقر بها والاخبار عنه عليه السلام فى هذا الباب كثيرة، وأنه رآه جماعة قد انقطعوا فى طرق الحجاز وغيرها فخلصهم، وأوصلهم إلى حيث أرادوا(٧٠) .

فهذا هو غائبهم، وهذه هى الأساطير والقصص التى يحكونها عن غيبته .

الرجعة

وأما الرجعة فقال بها الشيعة الاثنا عشرية طبق ما قاله عبد الله بن سبأ بفرق أنه قال فى على رضى الله عنه وهؤلاء قالوا فى معدومهم، والجدير بالذكر أن هذه العقيدة من العقائد التى فشت وانتشرت فى جميع

(٦٩) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، منتهى الآمال للعباس القمى ص ١٢٤٤ .

(٧٠) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٢٨٧ .

فرق الشيعة فى مختلف العصور غير الشيعة الأولى كما ذكرناها فى الأبواب السابقة .

ثم لم يكتف الشيعة الاثنا عشرية بالقول إن معدومهم الغائب هو الـذى سيرجـع ، بل قالوا أكثر من ذلك وهو أنه يرجع ، ويرجع الآخرين من الشيعـة وأئمتهم وأعدائهم حسب زعمهم ، وهناك روايات وأكاذيب لا تعـد ولا تحصى فى هذا المعنى ، وقـد صنف فى هذا الخصـوص كتب مستقلة عديدة ، فنختار من الأساطير المضحكة والقصص المبكية أخبارا قليلة لوضـع النقـاط على الحـروف ولتمييـز الحقـائق عن أن القـوم ماذا يقـولـون وبـماذا يعتقدون ، وإلى أى حد ينقمون قوم رسول الله وقبيلته ، أصحابه وأزواجه ، أمته وشريعته التى جاء بها من الله عز وجل ، والقرآن الذى نزل عليه ، والأمر الذى أعطاه متبعيه والمؤمنين به .

عقيدة الشيعة التى توارثوها من اليهودية وعملاء اليهودية عبد الله بن سبأ وطـائفتـه ، وتنـاقلوهـا جيـلا بعـد جيل ، والتى قال عنها كبيرهم وخـاتمـة محدثيهم المـلا باقـر المجلسى صاحب (بحـار الأنـوار) بعد سرد الأخبار الكثيرة عن الرجعة :

اعلم ياأخى أنى لا أظنـك ترتـاب بعـد ما مهدت وأوضحت لك بالقـول فى الـرجعـة التى أجمعت عليهـا الشيعـة فى جميـع الأعصـار ، واشتهـرت بينهم كالشمس فى رابعـات النهـار . . وكيف يشـك مؤمن بأحقيـة الأئمـة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتى حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلفاتهم(٧١) .

فيروى القوم عن الحسين بن على بن أبى طالب أنه قال :

---

(٧١) بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢٢٥ الطبعة الأولى .

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما»(٧٢) .

وكذبوا على نبى الله ﷺ أنه قال :

القائم من ولدى اسمه اسمى وكنيته وكنيتى ، وشمائله شمائلى ، وسنته سنتى ، يقيم الناس على ملتى وشريعتى ، يدعوهم إلى كتاب الله ربى ، من أطاعه أطاعنى ، ومن عصاه عصانى ، ومن أنكر غيبته فقد أنكرنى ، ومن كذبه فقد كذبنى ، ومن صدقه فقد صدقنى ، إلى الله أشكو المكذبين لى فى أمره ، والجاحدين لقولى فى شأنه والمضلين لأمتى عن طريقته ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»(٧٣) .

من يكون المهدى؟

فلقد كذب الشيعة على الحسن بن على رضى الله عنهما أنه لما صالح معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال : ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله ، الذى عملت خير لشيعتى مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنى امامكم ومفترض الطاعة عليكم وأحد سيدى شباب أهل الجنة بنص من رسول الله علىّ؟ قالوا : بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطاً لموسى إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصوابا؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذى يصلى روح الله عيسى بن مريم خلفه ، فإن الله عز وجل يخفى ولادته ، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد فى عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين بن

(٧٢) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٧ .

(٧٣) ايضا ص ٤٢٥ .

سيدة الإماء، يطيل الله عمره فى غيبته، ثم يظهره بقدرته فى صورة شاب دون اربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شىء قدير»(٧٤).

ومثل ذلك ما رووه عن جعفر أنه قال:

من أقر بجميع الأئمة وجحد المهدى كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبوته، فقيل له: ياابن رسول الله فمن المهدى من ولدك؟ قال: الخامس ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»(٧٥).

منزلته وشأنه

ورووا فى مقامه وشأنه عن على بن الحسين أنه قال:

فى القائم منا سنن من ستة من الأنبياء عليهم السلام: سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد، فأما من نوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والغيبة، وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد فالخروج بالسيف... والقائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا: لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد فى عنقه بيعة... ومن ثبت على موالاتنا فى غيبته أعطاه الله أجر الف شهيد مثل شهداء بدر»(٧٦).

وأيضا كما روى النعمانى فى (غيبته) أنه قال بأن مهديهم يكون مسندا ظهره إلى بيت الحرام ويقول:

(٧٤) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٧.
(٧٥) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٩.
(٧٦) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٧، ٤٢٨.

أنـــا بقيـــة من آدم ، وذخـيرة من نوح ، ومصطفى من إبـراهيم ، وصفوة من محمد»[٧٧] .

ويقـــول :

أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم»[٧٨] .

ويكون جبرئيل بين يديه[٧٩] .

ويقولون :

نظر موسى بن عمران فى السفر الأول إلى ما يعطى قائم آل محمد من التمكين والفضل، فقال موسى : رب اجعلنى قائم آل محمد، فقيل له : ان ذاك من ذرية أحمد، ثم نظر فى السفر الثانى فوجد فيه مثل ذلك . فقال مثله ، فقيل له مثل ذلك ، ثم نظر فى السفر الثالث فرأى مثله ، فقال مثله ، فقيل له مثله[٨٠] .

ومتى يرجـــع؟

فيروى الكلينى فى كافيه عن الأصبغ بن نباتة أنه قال :

أتيت أمـير المؤمنـين عليـه السـلام فوجـدتـه متفكـرا ينكت فى الأرض ، فقلت ياأمـير المؤمنـين مالى أراك متفكـرا تنكت فى الأرض ، أرغبـة منـك فيهـا؟ فقـال : لا والله ما رغبت فيهـا ولا فى الـدنيـا يوما قط ولكنى فكـرت فى مولـود يكـون من ظهـرى ، الحـادى عشـر من ولدى ، هوالمهدى الذى يملأ الأرض عدلا قسطا كما ملئت جورا وظلما ، تكون له غيبـة وحـيرة ، يضـل فيهـا أقـوام ويهتـدى فيهـا آخرون ، فقلت : ياأمير المؤمنين وكم تكون له الحيرة والغيبة؟ قال : ستة أيام أوستة أشهر أوست

(٧٧) كتاب الغيبة للنعمانى ، ايضا بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ ص ١٧٩ .
(٧٨) الفصول المهمة ص ٣٢٢ .
(٧٩) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٧٤ .
(٨٠) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٤٠ .

سنين، فقلت: وان هذا لكائن؟ فقال: نعم كما أنه مخلوق وأنى لك بهذا الأمر ياأصبغ أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة»[٨١] .

وروى أيضا عن أبى جعفر الباقر أنه قال :

ياثابت ان الله تعالى قد كان وقت هذا الأمر فى سبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»[٨٢] .

وروى ابنه جعفر أنه قال :

وقد كان لهذا الأمر وقت كان فى سنة اربعين ومائة فحدثتم به وأذعتموه فأخره الله عز وجل»[٨٣] .

ورووا عن أبى جعفر أنه قال :

ليس بين القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»[٨٤] .

وذكر أيضا رواية عن ابنه جعفر أنه قال :

إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلى دار ابن مسعود فعند ذلك زوال ملك القوم وعند زواله خروج القائم»[٨٥] .

والمعروف أن النفس الزكية قتل ومضى على قتله آلاف الليالى، كما هدم حائط مسجد الكوفة وقد مضى على هدمه مئات السنين ولكن لم يكن لموهوم أن يخرج .

(٨١) الاصول من الكافى، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٣٨.
(٨٢) الاصول من الكافى ج ١ ص ٣٦٨.
(٨٣) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٢ ط طهران.
(٨٤) الارشاد المفيد ص ٢٦٠ .
(٨٥) أيضا.

ورووا عن إسحاق بن عمار أنه قال :

قال لى أبو عبد الله عليه السلام : ياأبا إسحاق إن هذا الأمر قد أخر مرتين»(٨٦) .

وهكذا كان الشيعة يعللّون بالأمانى بخروج قائمهم ورجوع مهديهم كما أقر بذلك إمامهم السابع موسى بن جعفر. كما رواه الكلينى فى (كافيه) والنعمانى(٨٧) فى (غيبته) كى لايرجع الشيعة عن تشيعهم، فهذا هو النص :

عن يقطين أنه قال لابنه على بن يقطين :

ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن - يعنى أمر بنى العباس -؟ فقال له على : ان الذى قيل لكم ولنا كان من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر (وقته) فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأمانى، فلو قيل لنا : إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجع عامة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا : ما أسرعه وما أقربه، تألفا لقلوب الناس وتقريبا للفرج»(٨٨) .

ولقد نقل الجزائري عن المجلسى أنه كان يرى وقت خروجه أيام الدولة الصفوية مستدلا من الأحاديث الثلاثة، فهذه هى عبارته :

اعلم أنه قد وردت أخبار مجملة وقد نقلها الأصحاب على إجمالها

---

(٨٦) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٨٧) «هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب النعمانى، وكان من كبار محدثى الامامية فى أوائل القرن الرابع، وانه من تلامذة ثقة الاسلام محمد بن اسحاق بن يعقوب الكلينى، كان مؤلفا جيد النظر، حسن الاستنباط وافر السهم فى معرفة الرجال وأحاديثهم، ومن أهم مؤلفاته كتاب الغيبة، قال فيه النجاشى :

النعمانى شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث» (مقدمة كتاب الغيبة ص ١١، ١٢).

(٨٨) الكافى للكلينى كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت ج ١ ص ٣٦٩، كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٥، ٢٩٦ - واللفظ له.

ولم يتعرضوا لبيان معناها وذلك أنها أخبار متشابهة يجب علينا الاذعان لها من باب التسليم ؛ ولما انتهت النوبة إلى شيخنا المحقق رئيس المحدثين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسى صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله أيام إفاداته ؛ وأجزل فى الاخرة مثوباته وسعادته ، توجه إلى إيضاحها وتفسيرها ، وطبق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفوية أعلى الله منار بنيانها ، وشيد رفيع أركانها ، وطبق البعض الآخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه ألف سلام فلننقل تلك الأخبار على وجهها ثم نذكر ما أفاده سلمه الله تعالى من البيان والإيضاح .

الحديث الأول : ما رواه الشيخ الأجل المحدث محمد بن إبراهيم النعمانى فى كتاب الغيبة بسنده إلى أبى خالد الكابلى عن الباقر عليه السلام أنه قال كأنى بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء ؛ قال أدام الله أيامه أنه لايخفى على أهل البصائر أنه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفوية وهو الشاه إسمعيل أعلى الله مقامه فى دار المقامة ؛ وقوله عليه السلام لا يدفعونها الا إلى صاحبكم : المراد به القائم عليه السلام ، فيكون فى هذا الحديث إشارة إلى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدى عليه السلام ؛ فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال .

الحديث الثانى : ما رواه النعمانى أيضا فى ذلك الكتاب باسناد معتبر إلى الصادق عليه السلام قال بينا أمير المؤمنين عليه السلام يحدث فى الوقائع التى تجرى بعده إلى ظهور المهدى عليه السلام فقال ل الحسين عليه السلام : ياأمير المؤمنين فى أى وقت يطهر الله الأرض مز

الظـالمـين؟ فقـال عليه السلام : لا يكون هذا حتى تراق دماء كثيرة على الأرض بلا حق ، ثم إنه عليه السلام فصل أحوال بنى أمية وبنى العباس فى حديث طويـل اختصـره الـراوى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إذا قام القـائم بخـراسـان وغلب على أرض كوفان وملطان، وتعدى جزيرة بنى كاوان وقام منها قائم بجيلان، وأجابته الأبروالديلم، وظهرت لولدى رايات الترك متفرقات فى الاقطار والحرمات، وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصـرة وقـام أمـير الأمرة؛ فحكى عليه السلام حكاية طويلة ثم قال إذا جهـزت الألـوف وصفت الصفـوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقـوم الآخـر ويثـور الثـائر ويهلك الكافر؛ ثم يقوم القائم المأمول والإمام المجهول له الشرف والفضل، وهو من ولدك ياحسين لا ابن مثله، يظهر بين الـركنـين فى ذر يسير يظهر على الثقلين ولا يترك فى الأرض الادنين؛ طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيامه .

قال ضاعف الله أيـام سعـادتـه : جزيـرة بنى كاوان جزيـرة حول البصـرة، وأهـل الأبر جماعة فى قرب استر آباد، والديلم هم أهل قزوين ومـاوالاهـا؛ والحـرمات الأمكنة الشريفة، قوله هنات وهنات أى حروب عظيمـة ووقـايـع كثيرة فى وقت خراب البصرة؛ والمراد بالقائم المأمول هو المهـدى عليـه السـلام، والمـراد بالركنين ركنا الكعبة وهو الركن والحطيم الذى هو محل خروجه عليه السلام، وقوله ذر يسير المراد به الجماعة القليلة وهم عدد شهداء بدر، وقوله يظهر على الثقلين يعنى به انه عليه السلام يغلب على الجن والإنس سميا به لأنهما يثقلان الأرض بالاستقرار فوقها؛ أو لأنهـما أشـرف المخلوقات السفلية والعرب تسمى الشريف ثقلا لحلمه ورزانتـه، وقيـل إنـما سميا به لأنهما قد ثقلا بالتكاليف فهما ثقلان بمعنى مثقـلان؛ وقـولـه الادنين جمع أدنى وهم أرذال الناس وأدناهم والمراد بهم

الظالمون الكافرون ، ثم قال سلمه الله تعالى : الظاهر ان المراد بأهل الخروج من خراسان هم أمراء الترك مثل جنكيز خان وهلا كوخان ، والمراد بالخارج من جيلان هو الشاه المؤيد الشاه إسمعيل ، ومن ثم أضافه عليه السلام إلى نفسه وسماه ولده ، والمراد بأمير الأمرة اما ذلك السلطان المذكور أو غيره من السلاطين الصفوية ؛ وقوله وقتل الكبش الخروف الظاهر انه إشارة إلى المرحوم صفى ميرزا فان أباه وهو المرحوم الشاه عباس الأول قد قتله ، وقوله يقوم الأخر المراد به المرحوم الشاه صفى فإنه أخذ دمه ، وأول من قتله هو الذى باشر قتل أبيه صفى ميرزا ؛ وقوله عليه السلام ثم يقوم القائم المأمول إشارة أيضا إلى اتصال الدولة الصفوية بالدولة المهدوية على صاحبها السلام .

الحديث الثالث : رواه الشيخ الأجل محمد بن مسعود العياشى وهو من ثقات المحدثين فى كتاب التفسير عن أبى لبيد المخزومى عن الباقر عليه السلام بعدما ذكر ملك شقاوة بنى العباس قال : ياأبا لبيد! ان حروف القرآن المقطعة لعلما جما ، إن الله تعالى أنزل الم ذلك الكتاب ، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد ؛ وقد مضى من الألف السابع مأة سنة وثلث سنين ؛ ثم قال وتبيانه فى كتاب الله فى الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من الحروف المقطعة حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه ، ثم قال الألف واحد ، واللام ثلثون ، والميم اربعون ، والصاد تسعون فذلك مأة وواحد وستون ؛ ثم كان بدو خروج الحسين بن على عليه السلام الم الله ، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند المص ؛ ويقوم قائمنا عند إنقضائها بالر؛ فافهم ذلك وعه واكتمه .

قال ذلك المحقق أيده الله تعالى : قوله عليه السلام من الألف

السابع المراد به من إبتداء خلق أبينا آدم عليه السلام، ثم قال أيده الله تعالى : إن هذا الحديث فى غاية الاشكال؛ وقد ذكرنا له وجوهاً فى كتاب بحار الأنوار ولنذكر هنا وجها واحداً ولكنه مبنى على تمهيد مقدمة : وهى أن المعلوم من كتب الحساب المعتبرة أن حساب أبجد له إصطلاحات مختلفة، ومناط حساب هذا الحديث على إصطلاح أهل المغرب، وقد كان شائعا بين العرب فى الأعصار السابقة، وهو هذا صعفض قرست ثخذ ظغش، فالصاد عندهم ستون، والضاد تسعون، والسين ثلثمأة والظاء ثمانمأة والغين تسعمأة، والشين ألف وباقى الحروف على موافقة المشهور.

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن تاريخ ولادة نبينا صلى الله عليه وآله يظهر من جميع فواتح السور ولكن باسقاط الحروف المكررة مثلا الم والروحم وغيرها من المكررات لا يؤخذ منه بالحساب إلا واحد؛ وكذلك الحروف المبسوطة مثل ألف را لا يحسب منه الا ثلثة وكذا لام راو نحو ذلك وحينئذ فألف لام ميم ألف لام ميم صاد ألف لام را ألف لام ميم را كاف ها ياعين صاد طا ها طا سين ياسين صاد حا ميم حا ميم عين سين قاف قاف نون، إذا عددت حروفها تكون مأة وثلثاً من وقت خلق أبينا آدم عليه السلام إلى وقت ولادة النبى صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستة الآف سنة ومأة وثلثون (ثلث سنين ظ) والأول من كل ألف سنة تاريخ، وأول كل سابع من آلاف مأة وثلاث سنين يكون قد مضت؛ وعدد هذه الحروف أيضا يكون مأة وثلاثة على ما عرفت، فيكون الم الذى فى أول سورة البقرة إشارة إلى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام وليس حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه واضح على هذا؛ وذلك أول دولة بنى هاشم

ابتـداؤ هـا من عبـد المطلب ومن ظهـور دولة عبد المطلب إلى ظهور دولة نبينا صلى الله عليه وآله إحدى وسبعين سنة تقريباً عدد الم بحساب أبجد على ترتيب القـرآن بعـد الم البقـرة والم آل عمران ، وهو إشارة إلى خروج الحسين عليه السلام فانه من إبتداء رواج دولة النبى صلى الله عليه وآله إلى وقت خروج الحسين عليه السلام إحدى وسبعون سنة تقريباً ، وأيضا بحسب ترتيب سور القـرآن المص وهـو إشـارة إلى خروج بنى العبـاس فانهم من بنى هاشم أيضا وإن كانوا غير محقين فى أمر الخروج وبحساب أبجد على طريق المغاربة مأة وواحد وثلاثون ، ومن أول بعثة النبى صلى الله عليـه وآلـه إلى وقت ظهـور دولتهم مأة وواحـد وثلثـون وإن كان إلى زمان بيعتهم أكثر .

ويحتمـل أن يكـون إبتـداء هذا التـاريـخ من وقت نزول سورة الأعـراف فيكـون مطـابقا لوقت بيعتهم وعلى حساب المص على طريق المغـاربـة يبنى الحـديث المروى فى كتاب معانى الأخبار وسنذكره إن شاء الله تعـالى ، وأمـا كون قيـام القـائم عليـه السـلام مبنيا على حساب الر فالذى يخطر بخاطرى ان الر قد وقع فى القرآن فى خمسة مواضع وينبغى ان يحسب بقـرينـة أنـه عليـه السـلام لم يتعـرض لبيـانه كما تعرض لبيان الم ومجمـوعـه ألف ومأة وخمس وخمسـون سنـة تقـريبـاً من سنـة تحريـر هذه الرسالة ، وهو سنة ألف وثمان وسبعون من الهجرة فيكون قد بقى من وقت خروجـه عليـه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من أوائل البعثة ؛ هذا محصل كلامه سلمه الله تعالى »[٨٩]

وقد مضى خمس وستون سنة وسبع وسبعون سنة وأكثر على ذلك

---

(٨٩) الأنوار النعمانية لنعمت الله الجزائرى ص ٧٦ الى ٨٠ .

الوقت ولم يأن لقائمهم أن يرجع، وليس لمعدوم أن يوجد .

وما أحسن ما قاله القائل :

ما آن للسرداب أن يلد الذى صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

كيف يرجع وأين يرجع؟

فيعتقد القوم أن جعفراً قال :

ينادى باسم القائم فى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان، ويقوم فى يوم عاشوراء، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على (ع) لكأنى به يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادى بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيا حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما»[٩٠] .

ثم بينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم فقالوا :

إذا أذن الإمام، دعا الله باسمه العبرانى[٩١] فاتيحت (فانتخب) له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف. فهم أصحاب الالوية. منهم من يفقد عن فراشه ليلا فيصبح بمكة. ومنهم من يرى يسير فى السحاب نهارا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبته. قلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً؟ قال: الذى يسير فى السحاب نهارا . . . وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا﴾[٩٢] .

ويروى الطوسى شيخ الطائفة :

ينادى منادى من السماء باسم القائم، فيسمع من بين الشرق

---

(٩٠) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٥٩، ومثله فى الارشاد للمفيد ص ٣٦١، ٣٦٢.
(٩١) ألا يدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية.
(٩٢) الغيبة للنعمانى ص ١٦٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٧٢، ٣٧٣.

والغرب فلا يبقى راقد الا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعا من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين»(٩٣).

وزاد النعماني :

فلا يبقى شيء من خلق الله فيه إلا سمع الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره، وتخرج الأذراع من خدرها، ويخرج القائم مما يسمع وهي صيحة جبرئيل»(٩٤).

وقد رووا عن المفضل بن عمر أنه قال : قلت لجعفر بن الباقر :

ففي أي بقعة يظهر المهدي؟ قال لا تراه عين وقت ظهوره إلا رأته كل عين وذلك أنه يغيب آخر يوم من سنة ست وستين ومأتين ولا تراه عين أحد حتى يراه كل أحد، ثم يظهر بمكة ووالله يامفضل كأني أنظر إليه داخل مكة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامته وفي رجليه نعل رسول الله المخصوفة، وفي يده عصا النبي صلى الله عليه وآله يسوق بين يديه أعنزاً عجافاً حتى يصل بها نحو البيت حتى لا يعرفه أحد قال المفضل : ياسيدي كيف يظهر؟ قال : يظهر وحده ويأتي البيت وحده إلى الكعبة ويجن عليه الليل، وإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل والملئكة صفوفا، فقول له جبرئيل ياسيدي قولك مقبول وأمرك جار، فيمسح يده على وجهه ويقول الحمد الله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين، ويقف بين الركن والمقام ويصرخ صرخة يامعشر نقبائي وأهل خاصتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض إيتوني طائعين، فترد صيحته عليهم وهم على تجايرهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل فيجيئون نحوه ولا

(٩٣) الغيبة للنعماني ص ٢٥٤ .

(٩٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤ .

يمضى لهم الا كلمحـــة بصـر حتى يكـونـوا كلهم بين يديـه بين الـركن والمقـام ، فيأمـر الله عز وجـل بنـور فيصـير عمودا من الأرض إلى السماء يستضيء به كل مؤمن على وجـه الأرض ، ويـدخـل عليه نور فى جوف بيتـه فتفـرح نفـوس المؤمنـين بذلـك وهم لا يعلمـون بظهور قائمنا ، ثم يصبحـون وقـوفـا بين يديـه وهـم ثلثمأة وثلثـة عشـر رجلا بعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر»(٩٥) .

ويقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة :

يامعشر الخلائق ألا من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فهاأنا ذا آدم وشيث ، ألا من أراد أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل فهاأنا ذا إبراهيم وإسـماعيـل ، ألا من أراد أن ينظـر إلى عيسى وشمعـون فهاأنا ذا عيسى وشمعـون ، ألا من أراد أن ينظـر إلى محمـد وأمير المؤمنين فهاأنا ذا محمد وأمـير المؤمنـين ، ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فهاأنا ذا الحسن والحسين ألا من أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فهاأنا ذا الأئمة ، أجـيـبـــوا مسألتى فإنى أنبئكم بما نبئتم به أو لم تنبأوا به ، ومن كان يقـــرأ الكتب والصحف فليسمـع منى ، ثم يبتـدىء بالصحف التى أنـزلها الله لآدم وشيث ، فتقول أمة آدم وشيث : هذه والله الصحف حقا ، ولقد رأينا مالم نعلمـه فيهـا ومـا كان أسقط منها وبدل وحرف ، ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبـراهيم حقـا ، ثم يقـرأ التوراة والإنجيل والزبور ، فيقول أهل التـوراة والإنجيـل والزبور : هذه والله التوراة الجامعة والإنجيل الكامل ، وإنهـا أضعـاف ما ترى فيهـا ، ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون : هذا والله القرآن وما حرف وما بدل»(٩٦) .

ويكون فى صورة شاب مؤنق ابن اثنتين وثلاثين سنة كما كذبوا عن

(٩٥) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٢ .
(٩٦) الأنوار النعمانية ص ٨٣ ، ٨٤ .

جعفر أنه قال :

لو قد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شابا مؤ نقا لا يثبت عليه الا من قد أخذه الله ميثاقه فى الذر الأول ـ وفى رواية : القائم يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة يدرى به، ثم يغيب غيبة فى الدهر ويظهر فى صورة شاب مؤ نق ابن اثنتين وثلاثين سنة»(٩٧) .

فيبايعه أول من يبايعه جبرئيل كما روى الطبرسى وغيره .

إن جبرئيل يأتيه ويسأله ويقوله :

إلى أى شىء تدعو؟ فيخبره القائم، فيقول جبرئيل : فأنا أول من يبايع، ثم يقول له : مد كفك، فيمسح يده على يده»(٩٨) .

وذكر البحرانى : أن جبرئيل ينزل على الميزاب فى صورة طائر أبيض حتى يكون أول من خلق الله جبرئيل(٩٩) .

وهذا مع قولهم :

أتى جبرئيل (ع) إلى رسول الله (ص) يعوده. فقال : السلام عليك يامحمد هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا. وعن عطاء بن يسار أن رسول الله (ص) لما حضر أتاه جبرئيل فقال : يامحمد الآن أصعد إلى السماء، ولا أنزل إلى الأرض أبدا. وعن أبى جعفر (ع) قال : لما حضرت النبى الوفاة. . . إلى أن قال : فعند ذلك قال جبرئيل : يامحمد، هذا آخر هبوطى إلى الدنيا، إنما كنت أنت حاجتى فيها(١٠٠) .

ولا جبرئيل وحده، بل الملائكة الآخرون أيضا كما روى الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسنده ظهره إلى الحرم ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء،

(٩٧) كتاب الغيبة للطوسى ص ١٨٩ .

(٩٨) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠ ـ٤٦١، الارشاد للمفيد ص ٣٦٤، روضة الواعظين ج ٢ ص ٢٦٥، اكمال الدين لابن بابويه القمى وغيره .

(٩٩) تفسير البرهان ج ٢ ص ٨٢ .

(١٠٠) كشف الغمة للأربلى ج ١ ص ١٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٥٢ .

فيقـول: هذه يد الله . . . فيكـون أول من يقبـل يده جبرئيل، ثم يبايعه الملائكة، ثم نجباء الجن، ثم نقباء المؤمنين»[١٠١] .

ويؤيـد هذا ما ذكـره المفيـد والطـبرسى وابن الفتـال والبحـرانى والنعمانى وغيرهم كذبا على محمد الباقر أنه قال :

كأنى بالقـائم على نجف الكـوفـة قد سار إليهـا من مكة فى خمسة آلاف من المـلائكـة، جبرئيـل عن يمينه وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه وهو يفرق الجنود فى البلاد»[١٠٢] .

ولا خمسـة آلاف فقـط، بل ينحـط عليـه ثلاثـة عشـر ألف ملك وثـلاثـمائـة وثـلاثـة عشر ملكا. قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم، الـذين كانـوا مع نوح فى السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقى فى النـار، والـذين كانـوا مع موسى حين فلق البحـر لبنى إسرائيل، والذين كانـوا مع عيسى حين رفعـه الله إليـه. وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبى صلى الله عليـه وآلـه مسـومـين، وألف مردفـين، وثـلاثـمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين. وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين (ع) فلم يؤذن لهم فى القتـال. . . وكـل هؤلاء فى الأرض ينتظـرون قيـام القـائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات الله والسلام»[١٠٣] .

وأورد مثل ذلك النعمانى فى كتاب (الغيبة)[١٠٤] .

وزاد على ذلـك أن الـذى يحمـل رأيتـه يوم ذاك يكون جبرائيل، ويكون عمودها من عمد عرش الله تعالى»[١٠٥] .

(١٠١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٣.
(١٠٢) الارشـاد للمفيـد ص ٣٦٢، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠، روضة الواعظين للفتال ص ٢٦٤، البرهان للبحرانى ج ٢ ص ٨٢، كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٣٤.
(١٠٣) كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٢٠.
(١٠٤) ص ٣٠٩، ٣١٠.
(١٠٥) انظر كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٠٩.

«وأن أربعـة الآلاف الـذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين فلم يؤذن لهم بقوا عند قبره شعثاً غبراً إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصـور، فلا يزوره زائـر إلا استقبلوه، ولا يودعـه مودع إلا شيعـوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلوا عليه»(١٠٦).

وماذا يعمل بعد رجعته؟

ومن أكـاذيب الشيعـة الشنيعـة والكـره الذى توارثوه عن اليهودية والمجـوسيـة الـذين دمـرت شوكتهم، وقضى على سلطانهم وملكهم من قبـل مسلمى العـرب وعلى أيـدى قادتهم من قريش، ومن شدة نقمتهم وحسدهم وحقدهم قالوا:

ان القـائم يبـدأ أول ما يبـدأ بقتل قريش وصلبهم، الأحياء منهم والأموات، ويضع فى العرب السيف، فقالوا:

عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال:

لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما أنه لايبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيهـا إلا السبف حتى يقـول كثـير من الناس: هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»(١٠٧).

وروى المفيد والطبرسى عن جعفر أنه قال:

إذا قام القـائم من آل محمـد أقـام خمسـمائـة من قريش فضـرب أعنـاقهم، ثـم أقـام خمسـمائـة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم»(١٠٨).

(١٠٦) ايضا ص ٣١١.
(١٠٧) ايضا ص ٢٣٣.
(١٠٨) الارشـاد للمفيـد ص ٣٦٤، اعـلام الـورى للطـبرسى ص ٤٦١، ومثله فى كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٥.

وأيضا أنه سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحدا[١٠٩] .

ومثل ذلك ما رووه عن جعفر أيضا أنه قال :

إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟ . . . وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيف»[١١٠] .

فانظر الحقد والوتر على العرب عامة وعلى قريش خاصة، وهل هناك شك بعد ذلك فى يهودية القوم ومجوسيتهم، أو تأسيس اليهودية وتكوين العنصر الايرانى عقائدهم ومعتقداتهم .

وأخرج المجلسى فى (البحار) عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسير فى العرب فى الجفر الأحمر قال (أى الراوى، وهو رفيد مولى ابن هبيرة) قلت : جعلت فداك وما فى الجفر الأحمر؟ قال : فأمرّ اصبعه على حلقه قال : هكذا، يعنى الذبح»[١١١] .

وروى أيضا عنه أنه قال :

إنه يخرج موتوراً غضباً أسفا . . . يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هوجاء . فأول ما يبدأ ببنى شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها فى الكعبة وينادى مناديه : هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشا فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف»[١١٢] .

يحيى الأموات ويقتل أصحاب النبى

ولا يكتفى بقتل الأحياء منهم، ولا يروى عطشه دم هذا القدر من

(١٠٩) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٥ .
(١١٠) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٣٣، ٢٣٤ .
(١١١) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ١٨١ .
(١١٢) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٠٨ .

الناس، بل يبدأ بالأموات ـ حسب أساطيرهم وأباطيلهم ـ فيحييهم ثم يقتلهم كما ذكروا أنه فى عصره يحيى يزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلون حذو القذة بالقذة(١١٣) .

وليس هذا فحسب، بل جازفوا فى القول حتى قالوا :

لو قام قائمنا رد بالحميراء (أى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما) حتى يجلدها الحد وينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله»(١١٤) .

وأكثر من ذلك بلغوا فى اللؤم والخبث والحقد لحاملى رايات الإسلام ومعلنى كلمته ومبلغى رسالته ومدمرى حضارة اليهودية وشوكة المجوسية، إلى حد لم يتصوره العقل ولم ترض بها الإنسانية، فقالوا :

إن القائم قال : ألا أنبئك بالخبر. أنه إذا فقد الصبى وتحرك المغربى وسار العمانى وبويع السفيانى يأذن الله لى فأخرج بين الصفا والمروة فى الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سواء، فأجىء إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام، وأجىء إلى يثرب وأهدم الحجرة واخرج من بها وهما طريان فآمرهما تجاه البقيع وآمر بالخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتها فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادى مناد من السماء : أبيدى، ويأرض خذى، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد خلص قلبه الإيمان. قلت : ياسيدى ما يكون بعد ذلك؟ قال : الكرة الكرة الرجعة»(١١٥) .

---

(١١٣) انظر بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩، تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٨٢، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨، الصافى ج ١ ص ٩٥٩.

(١١٤) تفسير الصافى ص ٣٥٩ مجلد كبير.

(١١٥) البرهان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٠٧ .

وذكـر هذا الجزائرى بالتفصيل والصراحة حيث قال : ان المفضل بن عمر روى عن جعفر أنه قال :

ان بقـاع الأرض تفـاخـرت ففخـرت الكعبـة على بقعـة كربلا ؛ فأوحى الله عز وجل إليها أن أسكتى ياكعبة ولا تفخرى على كربلا فإنها البقعة المباركة التى قال فيها لموسى عليه السلام انى أنا الله ، وهى موضع المسيـح وأمـه وقت ولادتـه ؛ وانها الدالية التى غسل بها رأس الحسين بن على عليهـما السـلام ؛ وهى التى عرج منهـا محمـد صلى الله عليه وآله ؛ وقـال له المفضـل ياسيدى يسير المهدى إلى أين؟ ، قال إلى مدينة جدى رســول الله صلى الله عليــه وآلــه وسلم فإذا وردهـا كان له فيهـا مقـام عجيب ، يظهـر فيـه سرور المؤمنـين وخـزى الكـافـرين ، فقـال المفضل ياسيدى ما هو ذاك؟ قال يرد إلى قبر جده فيقول يامعشر الخلائق هذا قبر جدى ، فيقولون نعم يامهدى آل محمد ؛ فيقول ومن معه فى القبر فيقولون صاحبـاه (مصـاحبـاه خ) وضجيعاه أبوبكر وعمر فيقول عليه السلام وهو اعلم الخلق من أبـوبكـر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدى رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم وعسى أن يكـون المـدفون غيرهما فيقول الناس يامهدى آل محمد ما هيهنا غيرهما وانهما دفنا معه لأنهما خليفتاه وآباء زوجتيه فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف ، ثم يقول هل يشك أحد فى دفنهما هنا؟ فيقولون لا ، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخـرجهـما ، فيخـرجـان طريـين كصورتهما فى الدنيا فيكشف عنهما أكفـانهـما ويأمـر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها ، فتتحرك الشجـرة وتـورق وتـرفع ويطول فرعها ، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذه والله الشـرف حقـا ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما ؛ فينشر خبرهما فكل من بقلبـه حبـة خردل من محبتهـما يحضـر المـدينة فيفتنون بهما فينادى مناد

المهـدى عليـه السلام هذان مصاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أحبهــما فليكن فى معــزل ومن أبغضهــما يكن فى معـزل فيتجـزء الخلق جزئـين، موال ومعـاد؛ فيعـرض على أوليـائهـما الـبراءة منهما، فيقولون يامهدى ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم ان لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهـما وقـد رأينـا منهما ما رأينا فى هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحيـاة الشجـرة بهما؛ بلى والله نبرأ منـك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما وممن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدى عليه السلام ريحاً فتجعلهم كاعجاز نخل خاوية ثم يأمر بانزالهما فينزلان فيحييهما باذن الله ويأمـر الخـلائق بالاجتـماع، ثم يقص عليهم قصص فعـالهم فى كل كور ودور حتى يقص عليهم قتـل هابيـل بن آدم وجمـع النـار لإبراهيم وطرح يوسف فى الجب وحبس يونس فى بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى وعـذاب جرجيس ودانيـال، وضـرب سلمان الفارسى وإشعال النار على باب أمـير المؤ منـين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة إحراقهم بها، وضـرب الصـديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسّنـا، وسم الحسن وقتـل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبنى عمه وسبى ذرارى رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حراما وكل رباء أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منـذ عهـد آدم إلى قيـام قائمنـا؛ كل ذلـك يعـدده عليهـما ويلزمهما اياه ويعترفان به؛ ثم يأمر بهما فيقتص منهما فى ذلك الوقت مظالم من حضر ثم يصلبهـما على الشجـرة ويأمـر ناراً تخرج من الأرض تحرقهـما والشجرة ثم يأمر ريحا فتنسفهما فى اليم نسفا .

قال المفضل ياسيدى هذا آخر عذابهما؟ قال هيهات يامفضل والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفضمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضا وكل من محض الكفر محضا وليقتصن منهما بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان فى كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب»(١١٦) .

ظلمه وقسوته

ومن قسوته أنهم ينقلون عنه عن جعفر أنه قال :

بينا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه إذ قال : أديروه ، فيديرونه إلى قدامــه ، فيأمــر بضــرب عنقــه ، فلا يبقى فى الخـافقـين شىء إلا خافه»(١١٧) .

أنه يقتل المولّى ويجهز على الجريح(١١٨) .

وذكروا فى رواية :

بعث الله محمــدا صلى الله عليــه وآلــه رحمــة ، وبعث القــائم نقمة»(١١٩) .

يدعو إلى أمر جديد وكتاب جديد

ومن عقـائـد الشيعـة الاثنى عشـريـة أن امامهم الموهوم وغائبهم المعـدوم سيـدعـو النـاس إلى كتـاب جديـد وأمـر جديـد ، وقد نقلوا فيه روايـات عديـدة ، منها ما رواها النعمانى عن أبى جعفر ـ الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة ـ أنه قال :

يقـوم القـائم بأمـر جديـد ، على العـرب شديـد ، ليس شأنه إلا السيف ، ولا يستتيب أحدا»(١٢٠) .

(١١٦) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٨٦، ٨٧ .
(١١٧) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٩ .
(١١٨) ايضا ص ٢٣٢ .
(١١٩) تفسير الصافى ص ٣٥٩ مجلد كبير .
(١٢٠) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٣ .

وعنه أنه سئل : أيسير بسيرة محمد ﷺ ؟

قال : هيهات يازرارة ما يسير بسيرته، قلت: جعلت فداك لم؟ قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار فى أمته بالمن كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل، بذاك أمر فى الكتاب الذى معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا»(١٢١) .

وروى أيضا عنه أنه قال :

فوالله لكأنى أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد شديد، وكتاب جديد، وسلطان جديد من السماء»(١٢٢) .

ومثل ذلك روى المجلسى فى بحار الأنوار(١٢٣) .

ورووا أيضا عن أبى عبد الله أنه سئل :

كيف سيرته؟ فقال : يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام الجديد»(١٢٤) .

وهذه الروايات واضحة فى معناها تنبىء بما دست اليهودية الأثيمة من الدسائس الخبيثة بين الذين ينتسبون إلى الإسلام، وتوضح معنى هذه الروايات رواية أخرى التى أوردها النعمانى والمجلسى وغيرهما عن أبى جعفر أنه قال :

لو قد خرج القائم من آل محمد عليهم السلام لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين، ويكون جبرئيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، واسرافيل عن يساره والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله، والملائكة المقربون حذاه وأول من يتبعه محمد

(١٢١) أيضا ص ٢٣١ .

(١٢٢) أيضا .

(١٢٣) ج ١٣ ص ١٩٤ وما بعد .

(١٢٤) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤ .

صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفى رواية يتبعه، وفى أخرى: يبايعه ـ وعلىّ الثانى ومعه سيف مخترط، يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر.

يا أبا حمزة لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتت فى دينهم، وتغير من حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحا ومساء من عظم ما يرى من كلب الناس، وأكل بعضهم بعضا، وخروجه إذا خرج عند الإياس والقنوط.

فياطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وكان من أعدائه، ثم قال: يقوم بأمر جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلا القتل ولا يستتيب أحدا ولا تأخذه فى الله لومة لائم»(١٢٥).

فهذه هى حقيقة الأمر، وهذا هو أصل الشيعة الاثنى عشرية الذين يدعون بأنهم من الشيعة المعتدلين، وينفون انتسابهم إلى عبد الله بن سبأ اليهودى وكونهم من أصل مجوسى إيرانى، الناقمين على الإسلام، والباغين على الأمة الإسلامية، والطاعنين على أسلافهم وأعيانها، والشاتمين قوادها وسادتها، وقد بيناها من كتبهم أنفسهم وبعباراتهم هم.

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثنى عشرية لا يعتقدون برجعة القائم فحسب، بل وأكثر من ذلك يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم، ويبقون، ويملكون، وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم،

(١٢٥) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥. ومثله فى بحار الأنوار للمجلسى وغيره.

كما روى المجلسى عن جعفر أنه قال :

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن على ، وان الرجعة ليست بعامة وهى خاصة ، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا»[١٢٦] .

ورووا عن أبيه الباقر أنه قال :

إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن على عليه السلام ، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر»[١٢٧] .

ولا الحسين وحده فحسب ، بل يرجع معه سبعون رجلا من أصحابه الذين قتلوا معه[١٢٨] .

وفى رواية أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدى عليه السلام ثلاث مائة سنة وتسع سنين[١٢٩] .

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه ثأرهم منهم[١٣٠] .

ويساعد الحسين وأصحابه فى أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيا ورسولا ويكون أحدهم إسماعيل ، كما حكى الجزائرى حكاية باطلة بقوله :

وفى الأخبار الكثيرة عن بريد العجلى أنه سأل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى فى إسماعيل انه كان صادق الوعد ما المراد

(١٢٦) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ ، الصافى ج ١ ص ٩٥٩ .
(١٢٧) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١١ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٧ ، الصافى ج ١ ص ٩٥٩ ، اثبات الهداة للعاملى ج ٧ ص ١٠٢ .
(١٢٨) تفسير العياشى ج ٢ ص ١٨١
(١٢٩) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٨ ، ٩٩ .
(١٣٠) تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٨٢ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨ ، الصافى ج ١ ص ٢٥٩ تحت قوله تعالى : ثم رددنا لكم الكرة عليهم : ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩ .

بإسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام :

لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه، فبعث الله عليهم ملك العذاب وهو سطاطائيل، فأتى إلى إسماعيل وقال: إن الله أرسلنى إليك بما تأمر فى عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لى فى عذابهم، فأوحى الله سبحانه إليه: إن كان لك حاجة إلى فاطلبها، فقال: يارب إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحدك ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبإمامة الأئمة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه، فحاجتى يارب أن ترجعنى فى زمانه لأجل أخذ ثأرى وقتل من قتلنى، فقبل الله حاجته وجعله من الذين يرجعون فى زمان الحسين عليه السلام، وفى رواية أخرى أن الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال»(١٣١).

وقالـــوا :

إن الأئمة الاثنى عشرية كلهم يرجعون إلى الدنيا فى زمن القائم مع جماعتهم(١٣٢).

ويرجع علىّ ونبىّ أيضا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيا ممن مضوا فى سالف الزمان وحدهم، بل ويرجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلىّ أيضا، كما روى المجلسى عن بكير بن أعين أنه قال :

قال لى من لا أشك فيه يعنى أبا جعفر (ع) أن رسول الله (ص)

(١٣١) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٨.
(١٣٢) الصافى ج ١ ص ٣٤٧.

وعليا سيرجعان»[١٣٣] .

ورووا عن جعفر أنه قال :

قال رسول الله (ص) : لقد أسرى بى ربى عزوجل ، فأوحى إلى من وراء حجاب ما أوحى وكلمنى بما كلم به وكان مما كلمنى به . . . يامحمد، علىّ آخر من أقبض روحه من الأئمة»[١٣٤] .

وليس هذا فحسب ، بل وأكثر من ذلك وأدهى وأمر أنهم يروون عن جعفر أنه قال :

لم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا ردهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدى على بن أبى طالب عليه السلام»[١٣٥] .

وعنه أيضا أنه قال :

لا يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا رد إلى الدنيا من آدم فهلم جرا حتى يقاتل بين يدى على بن أبى طالب عليه السلام»[١٣٦] .

مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين .

كما روى الجزائرى عن الباقر أنه قال : إن عليا رضى الله عنه خطب خطبة ذات يوم ، فحمد الله فيها وقال فيها ما قال ، ومنه :

وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه ، فأما أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه ، وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء ، والكفار الأموات ،

(١٣٣) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٤) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٧ .

(١٣٥) نور الثقلين ج ١ ص ٣٥٩ . بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٠

(١٣٦) العياشى ج ١ ص ٢٨١ تحت قول الله : لتؤمنن به ولتنصرنه . البرهان ج ١ ص ٢٩٥ ، بحار الأنوار ص ٢١٧ .

الـذين يحييهم الله تعـالى ، وأعجب وكيف لا أعجب من أمـوات يحييهم الله تعـالى يرفعـون أصـواتهم بالتلبيـة فوجـا فوجـا لبيـك ياداعى الله ، ويتخللون أسـواق الكـوفـة وطـرقهـا حتى يقتلون الكـافـرين والجبارين والظـالمـين من الأولـين والآخـرين ، حتى يحصـل لنـا ما وعـدنـا الله تعالى »(١٣٧) .

ولا هذا فحسب ، بل عمموا الرجعة حيث قالوا :

ليس أحـد من المـؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل»(١٣٨) .

وروى الطبرسى والمفيـد :

إذا آن قيـام القـائم مطـر النـاس فى جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطـرا لم ير النـاس مثله ، فينبت الله به لحوم المـؤمنين فى أبدانهم فى قبورهم ، فكأنى أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رؤ وسهم من التراب»(١٣٩) .

وروى المفيد أيضا :

يخرج إلى القـائم من ظهـر الكـوفـة سبعة وعشرون رجلا ، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون»(١٤٠) .

دابّـــة الأرض

ويعتقـد الشيعـة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التى تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم يكون عليا رضى الله عنه كما رووا عن جعفر أنه قال :

أتى رسول الله (ص) إلى أمير المؤمنين (ع) وهو نائم فى المسجد ،

(١٣٧) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٩٩ .

(١٣٨) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٩) اعلام الورى ص ٤٦٢ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٣ ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٢٣

(١٤٠) الارشاد للمفيد ص ٣٦٥ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٤ .

وقد جمع رملا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله ثم قال: قم يادابة الله . فقال رجل من أصحابه: يارسول الله أيسمى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟. فقال: لا والله ماهو إلا له خاصة، وهو الدابة التى ذكر الله فى كتابه: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم. ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ ثم قال: ياعلى، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله فى أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك»(١٤١).

ثم إن عليا ليست له رجعة واحدة، بل له رجعات كثيرة كما ذكروا أنه قال فى إحدى خطباته:

إن لى رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات»(١٤٢).

هذا ومثل هذا فإنه لكثير.

ومن غرائب الاعتقادات التى يعتقدها القوم أنهم يقولون: إن بعد قائمهم اثنى عشر مهديا أخر، كما رووا عن جعفر عن أبائه عن على أنه قال:

قال رسول الله (ص) فى الليلة التى كانت فيها وفاته: ياأبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول الله (ص) وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع. فقال: ياعلى، انه سيكون بعدى اثنا عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا. فأنت أول الاثنى عشر إماما... وساق الحديث، إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعنى الإمام العسكرى عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، فذلك اثنا عشر إماما. ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا. فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين. له ثلاثة اسامى: اسم كاسمى

(١٤١) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٣.
(١٤٢) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٩.

واسم أبى، وهو عبد الله، وأحمد، والاسم الثالث: المهدى، وهو أول المؤمنين»(١٤٣).

وروى الطوسى : انهم أحد عشر، كما حكى عن أبى حمزة عن أبى جعفر أنه قال له :

يا أبا حمزة ان منا بعد القائم أحد عشر مهديا»(١٤٤).

وإلى ذلك يشير رواية النعمانى حيث يحكى عن أبى جعفر أنه قال :

والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعا، قال: فقلت له : ومتى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام فى عالمه حتى يموت؟ فقال: تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته»(١٤٥).

ويؤيد ذلك أيضا دعاء شيعى يدعونه للمهدى، فيقولون فى آخره :

الهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد فى آجالهم، وأعز نصرهم وتمم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم وثبت دعاتهم، واجعلنا لهم أعوانا وعلى دينك أنصارا»(١٤٦).

وأخيرا نأتى برواية أوردها محدث القوم نعمت الله الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن الشيطان لما قال : رب أنظرنى إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهو آخر رجعة يرجعها

(١٤٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٣٧.
(١٤٤) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٨٥.
(١٤٥) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٣٢.
(١٤٦) مفاتيح الجنان ص ٥٤٢.

أمير المؤمنين عليه السلام فقال الراوى: كم لأمير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال: ان له رجعات ورجعات، وما من إمام فى عصر من الأعصار إلا يزجع معه المؤمنون فى زمانه والكافرون فيه حتى يستولى أولئك المؤمنون على أولئك الكافرون فينتقمون منهم، فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه وظهر الشيطان مع أصحابه، فيتلاقى العسكران على شط الفرات فى مكان اسمه الروحا قريب الكوفة، فيقع بينهم حرب لم يقع فى الدنيا من أولها وآخرها وكأنى أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع أرجلهم فى الفرات فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوّة من الملئكة يتقدمها النبى صلى الله عليه وآله وبيده حربة من نور، فإذا نظر الشيطان أدبر فاراً، فيقول له أصحابه إلى أين تفر ولك الظفر عليهم؟ فيقول إنى أرى مالا ترون إنى أخاف من عقاب رب العالمين؛ فيصل النبى صلى الله عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره، فعند ذلك يعبد الله على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه فى كل سنة ولد، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذى قال الله تعالى مدهامتّان؛ وفيهما من الاتساع مالا يعلمه إلا الله تعالى»[١٤٧] .

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم انتخبناها من الكثير الكثير ولهم كتب مستقلة فى هذا الباب .

(١٤٧) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ١٠١، ١٠٢ .

الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله

وكى لا يطول بنا الحديث نذكر فقط رواية واحدة تشتمل على خطبة على رضى الله عنه حسب زعم القوم وفيها كل ما يعتقده القوم عن الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله ، تعالى عما يقولونه علوا كبيرا ، يذكر الجزائرى هذه الخطبة فى كتابه المشهور رواية عن محمد الباقر أنه قال :

إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه بالوحدانية ، وقال إن الله سبحانه قد تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبى ونورى ونور الأئمة وتكلم بكلمة أخرى فصارت روحاً فأسكنها فى ذلك النور وذلك النور مع تلك الروح ركبها فى أبداننا معاشر الأئمة ، فنحن الروح المصطفاة ونحن الكلمات التامات ونحن حجة الله الكاملة على الخلق ؛ فنحن كنا نورا أخضر حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق ولا مخلوقات ، وكنا نسبح الله ونقدسه قبل خلق الخلق ؛ فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيمان بنا وعلى نصرتنا ؛ وهذا معنى قوله سبحانه ﴿وإذ أخذ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ ، فقال عليه السلام يعنى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله ونصرة وصيه ؛ وهذه النصرة قد صارت قريبة ؛ وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه ؛ فأما أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله

لنصـرتى الأنبيـاء من آدم إلى محمـد يجاهـدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء والكفار الأموات الذين يحييهم الله تعالى ؛ واعجب وكيف لا أعجب من أمـوات يحييهم الله تعـالى يرفعـون أصـواتهم بالتلبية فوجاً لبيـك لبيـك ياداعى الله ، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتى يقتلون الكـافـرين الجبـارين والظالمين من الأولين والآخرين ؛ حتى يحصل لنا ما وعــدنـا الله ثم تلا هذه الآيـة ﴿ثم وعـد الله الـذين آمنـوا منكم وعملوا الـصــالحــات ليـستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الــذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الــذى ارتضى لهم وليبــدلنهم من بعـد خوفهم أمنـا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا﴾ .

قال عليه السلام يعنى يعبدوننى ولا يتقون من أحد لأن لى رجعة بعد رجعة ؛ وحيوة بعد حيوة ، انا صاحب الرجعات وصاحب الصولات وصـاحب الانتقـامـات وصاحب الدولة العجيبة ، أنا حصن الحديد وأنا عبـد الله وأخـو رسـولـه ، وأنا أمين الله على علمه وصندوق سره وحجابه وصـراطـه وميـزانـه وكلمتـه ؛ أنـا أسـماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى ، أنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة فى جنتهم وأهل النار فى نارهم ، وأنـا الـذى أزوج أهل الجنة وإلىّ مرجع هذا الخلق فى القيامة وعلىّ حسابهم .

وأنـا المـؤذن على الاعـراف وأنـا الـذى أظهـر آخر الزمان فى عين الشمس ، وأنا دابة الأرض التى ذكرها الله فى الكتاب أظهر آخر الزمان ، ومعى عصا موسى وخاتم سليمان أضعه فى وجه المؤمن والكافر فتنقش فيه هذا مؤمن حقا ، وهذا كافر حقا ، وأنا أمير المؤمنين وإمام المتقين ولسان المتكلمـين وخـاتم أوصيـاء النبيـين ووارثهم وخليفة الله على العالمين وأنا الـذى علمنى الله علم البـلايا والمنايا وعلم القضا بين الناس ، وأنا الذى

سخر لى الرعد والبرق والسحاب والظلمة والنور، والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم أيها الناس إسألونى عن كل شىء»(١٤٨) .

فهذه الرواية ومثل هذه الرواية وإنها لكثيرة جدا موجودة منتشرة فى كتب القوم - يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

فهذه العقائد التى تتبناها الشيعة الاثنا عشرية، وتعتقدها، ويعتقدها الإماميون والجعفريون الذين يعدون من الشيعة المعتدلة وهى عين تلك العقائد التى وضع بذورها عبد الله بن سبأ، ونشرتها السبئية وروجتها بين الفئات الشيعية المختلفة، ولولا خوف الإطالة لأكثرنا الروايات التى وردت فى كتبهم المعتبرة المعتمدة الموثوقة لديهم، ولكننا نرى أن ماذكر فيه الكفاية لمن أراد أن يتثبت ويتحقق، وكذلك لمن أراد أن يتبصر ويهتدى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ونختم الكلام فى هذا الموضوع بنقل آراء بعض المستشرقين فى علاقة الشيعة بالسبئية أوبتعبير صحيح بالعقائد الأجنبية المدسوسة بين المسلمين، يهودية كانت أم إيرانية، التى لاتمت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة، فيقول المستشرق دوزى :

كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى، الذى يحب الحرية، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد، لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبى أمراً غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يترك ولداً يرثه، فإن عليا هو الذى

(١٤٨) الأنوار النعمانية لنعمت الله الجزائرى ج ٢ ص ٩٩، ١٠٠ .

يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل على . ومن هنا فإن جميع الخلفاء ـ ماعدا علياً ـ كانوا فى نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة . وقوّى هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية ، فكانوا فى الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم . وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا فى ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثنى إلى على وذريته . فالطاعة المطلقة «للإمام» الذى من نسل على ـ كانت فى نظرهم الواجب الأعلى ، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب ، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعداها . لقد كان «الامام» عندهم هو كل شىء ، إنه الله قد صار بشراً . فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات ـ ذلك هو الأساس فى مذهبهم»(١٤٩) .

وبمثل ذلك قال المستشرق ملّر، وزاد عليه «أن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التى تنتقل فى أصلاب الملوك إلى الأبناء»(١٥٠) .

ويذكر هذه الآراء مستشرق ألمانى متعاطف على الشيعة ولهوزن ، فيقول :

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين ـ فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه . بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك ، إذ تقول أن التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً فى الدوائر العربية ، ثم انتقل

(١٤٩) مقالة فى تاريخ الاسلام للدوزى ص ٢٢٠ وما بعد.
(١٥٠) كتاب ملر، ج ١ ص ٣٢٧.

بعـد ذلـك منها إلى الموالى ، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الدوائر. وأولئك الـذين كانـوا يتـواثبـون حول الكـرسى المقدس يذكرون أنهم «السبئية» (ص٧٠٣ س١٧ ، ص٧٠٤ س١١)، ولم يكـونـوا من المـوالى ، بل من العـرب ، إذ كانـوا من عشـائـر: نهد وخارف وثور وشاكر وشبام . وهؤلاء السبئيـة كانـوا على علاقـات سيئـة بعشائرهم نتيجة لمذهبهم الغريب، خصـوصـا شبام بالنسبة إلى قبيلة همدان ، بينما كانوا على علاقات وثيقة جداً بالمختار، ومن أجله خاضوا النار ووشوا بقبائلهم . ونجد حديثاً عن بطـانـة من الشيعة العرب كانت تجتمع فى منزلى امرأتين بارزتين. وتذكر أسماء بعض أفراد هذه البطانة ومنهم ابن نوف الهمدانى الذى كان ينافس مولاه وأستـاذه (المختـار) فى التنـبؤ. لقـد كان يصنـع وحيـا لدى الكرسى المقدس ، وكان أحد عمومة الأعشى ممن تأثر لهذا الوحى ، وكان أول سادن للكرسى هو موسى بن أبى موسى الأشعرى ، ثم تلاه حوشب الـبرسمى . والبيئـة هنـا كلها يمنية . ويقال إن المختار قد أظهر الكرسى على أنـه كرسى على بن أبى طالب. ولكن ثمت روايـات أخـرى تقول بعكس ذلـك ، وهـذه الـروايـات الثانية أقرب إلى التصديق . وعلى كل حال فقد كان الكرسى فى حوزة اليمنيين ، وأصله إنما يبحث لديهم . ولم يكن اختـراعـاً أبدعه الهوى ، بل مثله مثل الحجر الأسود كان قطعة وثنية وفى الأصـل كرسى الله ثم كرسى على ، لأنهم ألهـوا عليـا . وكراسى الله الخالية هذه نجدها كثيراً ، وإن لم تكن عادة من الخشب .

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان على والحسن وتنسب إلى عبد الله بن سبأ . وكما يتضح من اسمه الغريب ، فإنه كان أيضاً يمنياً ، والواقع أنه من العـاصمـة صنعـاء . ويقـال أيضـا إنه كان يهودياً . وهذا يقود بالقول بأصل يهودية لفرقة السبئية»(١٥١) .

(١٥١) الخوارج والشيعة لولهوزن ص ١٦٩ ـ ١٧٠ . ط عربى

ثم يقول :

يلوح أن مذهب الشيعة ، الذى ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه ، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين . والدليل على هذا ما سأحاول هنا إيراده بطريقة عارضة دون أن أعير المسألة من الأهمية أكبر مما تستحق .

كان القدماء من أنصار على يعدونه فى مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين فى خلافته ـ فى سلك واحد ، وكان يوضع فى مقابل الأمويين . المغتصبين للخلافة بوصفه استمراراً للخلافة الشرعية . وحقه فى الخلافة ناشىء عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه فى القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة ، ولم ينشأ هذا الحق ـ أوعلى الأقل لم ينشأ مباشرة ـ عن كونه من آل بيت الرسول . ومع ذلك فيبدوا أن آل البيت أنفسهم قد ادعوا حق ميراث الخلافة عن رسول الله منذ البداية ، وبعد وفاة على كانت المعارضة ضد الأمويين تنظر إلى أبناء علىّ على أنهم المطالبون الشرعيون للخلافة . ولكن المسألة هنا كانت مقصورة على دعوى الخلافة . ولابد أن نميز بين هذا وبين دعوى النبوة . وزعم أن النبوة لم تنته بمحمد ، بل استمرت فى على وبنيه ـ كان هذا الزعم هو الخطوة الأخيرة .

إن الفكرة القائلة بأن النبى ملك يمثل سلطان الله على الأرض قد انتقلت من اليهودية إلى الإسلام . ولكن الإسلام السنى يقول إن محمداً خاتم النبيين ، وبعد وفاته حلت محله الشريعة وهى أثر مجرد غير مشخص ، ومعوض عنه أقل قيمة بكثير جداً . فكان ذلك نقصاً ملموساً ، فمن هنا تبدأ نظريات الشيعة . وكان المبدأ الأساسى الذى بدأ منه مذهبهم هو : أن النبوة ، وهى المعرض الشخصى الحى للسلطة الإلهية ، تنتسب بالضرورة إلى الخلافة وتستمر تحيا فيها . وقبل محمد

وجـدت سلسلة طويلة متصلة من الأنبيـاء الـذين يتلوبعضهم بعضـاً ، على نحو مايقول اليهود ـ «سلسلة دقيقة من الأنبياء» .

وكـما ورد فى أصحـاح ١٨ من سفـر «ثنية الاشتراع» من أنه لم يخل الزمان أبداً من نبى يخلف موسى ومن نوعه . وهذه السلسلة لا تقف عند محمـد . ولكـل نبى خليفتـه إلى جانبـه يعيش أثنـاء حيـاته (هذا الزميل الثـانى) هو أيضـا فكرة يهودية) فكما كان لموسى خليفة هو يوشع ، كذلك لمحمـد خليفـة هو على ، به يستمـر الأمر . على أن كلمة «نبى» لم تطلق على علىّ وبنيــه ـ بل أطلق عليهم أسـماء «الـوصى» أو «المهـدى» أو «الإمـــام» عامــة ـ ولكن إن لم يطلق الاسم فإن الحقيقـة الفعليـة كانت مقصودة بوصفهم عارفين بالغيوب وتجسيدات للخلافة عن الله»[١٥٢] .

وأخيرا يذكر :

وأقيم تأليـه آل بيت الـرسول على أساس فلسفى بواسطة مذهب «الـرجعـة» أو (تنـاسـخ الأرواح) فالأرواح تنتقـل بالمـوت من جسم إلى جسم ، وثمت بعث مستمـر فى المجـرى الطبيعى للحياة الدنيا ، وهذا فى تنـاقض حاد مع القـول ببعث واحـد عنـد زوال الـدنيـا . ويستفيـد هذا المذهب أهمية عملية خصوصاً عن طريق رفعه إلى روح الله التى تحل فى نفــوس الأنبيـاء ، فهـذه الـروح تنتقـل من نبى إلى نبى آخـر بعـد وفـاة السـابق . ولا يـوجـد فى الـوقت الـواحد غير نبى واحد ، ويتتابعون حتى يبلغـوا ألف نبي . وتبعـاً لهذا فإن الأنبيـاء جميعا بما يُبْعَث فى كل منهم من روح الله ، والحق أن النبى الصـادق الحق واحـد يعـود أبـداً من جديـد . وبهذا المعنى قالوا إن محمداً يبعث فى علىّ وآل علىّ . ويبنون ذلك على الآيـة ٨٥ من السـورة ٢٨ والآيـة ٨ من السـورة ٨٢ . وهـذا يذكر كثيراً

(١٥٢) الخوارج والشيعة لولهوزن ص ١٧١ ، ١٧٢ .

بالفكرة (المحتمل جداً أنها) يهودية، وإن كانت من البدع اليهودية، التى وردت فى المـواعظ المنحولة على كليمانس «Pscudoclementinen» فروح الله تتحـد فى آدم مع شخص إنسـان يظهـر بصفـة النبى الصـادق فى صور متعددة وقد قدر له السيادة على الملكوت الدائم. راجع :

(1,1,P.283 «Gieselers KG. (4.Aufl.)» .

ولكن المتأخـرين قد فهمـوا ـ فيما يبدو ـ «الرجعة» على نحو آخر. فقـد تصـوروهـا على نحو ديالكتيكي. فقالوا بفترة «غيبة» دورية للإمام الصـادق، ثم سمـوهـا ـ فى مقـابـل ذلـك ـ ظهوره من جديد «رجعة». والمعنى الأصيل للرجعة يظهر جلياً من مرادفتها لتناسخ الأرواح. والسيد الحميرى يؤمن أيضاً برجعته نفسه، ومن أجل ذلك كانوا يسخرون منه ويشنعـون عليـه («الأغـانى» ج٧ ص٨). كما يتضح أيضاً من كون كثيّر كان يعـد جميـع أبنـاء الحسن والحسـين أنبيـاء صغـاراً، لأنـه كان يؤمن بالـرجعـة (الأغانى ٨/ ٣٤)، وكذلك من كون محمد كان ينظر إليه على أنه يرجع، خصوصاً فى ورثة دمه (آله) ونبوته»[١٥٣] .

ثم نقـل ما قالـه أبـو حمزة الخـارجى فى خطبة له على المنبر بالمدينة المنورة عن الشيعة نقلا عن (الأغانى) أنه قال :

شيعـة ظاهـرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظـر نافـذ فى القرآن، ولا عقل بالغ فى الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب. قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطـاعـوه فى جميـع مايقـولـه لهم : غياً كان أو رشداً، أو ضلالة أو هدى. ينتظـرون الـدول فى رجعـة المـوتى، ويـؤمنـون بالبعث قبـل السـاعة، ويـدعـون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحـدهم ما فى داخل بيته، بل لا

(١٥٣) أيضا ص ١٧٣، ١٧٤.

يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه . ينقمون المعاصى على أهلها، ويعملون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها. جفاة فى الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة»(١٥٤) .

وبمثل ذلك القول قال هشام بن عبد الملك الأموى فى كتاب له إلى يوسف بن عمر :

إن عبادة الشيعة لله كانت عبادة لبنى الإنسان. والنتيجة لذلك قيصرية بابوية معاً. كانوا يعترضون على إمامة السلطة القائمة، ولكن إمامتهم الشرعية القائمة على دم الرسول (ذرية آل للبيت) لم تكن أفضل منها، إذ كانت تفضى إلى إهدار القانون وكسر الشريعة. فالإمام عندهم كان فوق النصوص الحرفية وكان يعلم الغيب، فمن اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسئولية»(١٥٥) .

ولا بأس بنقل ما كتبه أحمد أمين فى كتابه (فجر الإسلام) عن الشيعة ولو أننا ذكرنا منه جزءاً فيما مر، فإنه قال :

والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم؛ فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا، كما قال اليهود: لن تمسنا

(١٥٤) الخوارج والشيعة ص ١٧٥ .

(١٥٥) أيضا ص ١٧٥ نقلا عن الطبرى ج ٢ ص ٨٨٢ .

النار إلا أياماً معدودات» ؛ والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت فى الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ؛ وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ؛ وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ، وما فى نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم ، والسعى لاستقلالهم . قال المقريزى : «واعلم أن السبب فى خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام ، أن الفرس كانت سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، وفى كل ذلك يظهر الله الحق . . . فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشباع ظلم علىّ ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

وقد ذهب الأستاذ «ولهوسن Wellhausin» إلى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية ، مستدلاً بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودى ، ويميل الأستاذ «دوزى Dozy» إلى «أن أساسها فارسى ، فالعرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالْمُلك ، وبالوراثة فى بيت المالك ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ، وقد مات محمد ولم يترك ولداً فأولى الناس بعده ابن عمه على بن أبى طالب ، فمن أخذ

الخلافة منه كأبى بكر وعمر وعثمان والأمويين، فقد اغتصبها من مستحقها. وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهى، فنظروا هذا النظر نفسه إلى على وذريته وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب وإن إطاعته إطاعة الله» .

والذى أرى - كما يدلنا التاريخ - أن التشيع لعلى بدأ قبل دخول الفرس فى الإسلام، ولكن بمعنى ساذج، وهو أن عليا أولى من غيره من وجهتين، كفايته الشخصية، وقرابته للنبى، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة، وهذا الحزب - كما رأينا - وجد من بعد وفاة النبى ﷺ ونما بمرور الزمان وبالمطاعن فى عثمان، ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى فى الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم. فاليهود تصبغ الشيعة يهودية، والنصارى نصرانية، وهكذا. وإذ كان أكبر عنصر دخل فى الإسلام هو عنصر الفارسى كان أكبر الأثر فى التشيع إنما هو الفرس»[١٥٦] .

وهذا آخر ما أردنا ثبته فى كتابنا هذا والله يهدينا إلى سبيل الرشاد ووفقنا لما يحبه ويرضاه من خدمة دينه ورفع كلمته والدفاع عن شريعته وحملة شريعته محمد وأصحابه وأهل بيته أجمعين، وصلى الله على نبيه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

---

(١٥٦) فجر الاسلام ص ٢٧٦ الى ٢٧٨ .

مصادر الكتاب ومراجعه

١ - اثبات الوصية للمسعودي. ط: نجف.
٢ - اجمع الفضائح للملاكاظم. ط: إيران.
٣ - الاحتجاج للطبرسي. ط: قم، ايران.
٤ - احقاق الحق للشوستري. ط: ايران.
٥ - الأخبار الطوال للدينوري ط: بغداد.
٦ - ادوار علم الفقه لآل كاشف الغطاء. ط: بيروت ١٣٩٩هـ.
٧ - الارجوزة المختارة للقاضي النعمان. ط: مونتريال. كندا ١٩٧٠م.
٨ - الارشاد للمفيد ط: ايران.
٩ - اساس الأصول لدلدار علي. ط: الهند.
١٠ - الاستبصار للطوسي. ط: طهران طبعة ثالثة ١٣٩٠هـ.
١١ - اسرار الشهادة للدربندي. ط: ايران.
١٢ - الاشعثيات للاشعث الكوفي. ط: طهران.
١٣ - أصل الشيعة وأصولها لآل كاشف الغطاء. ط: بيروت.
١٤ - أصول العقيدة لمهدي الصدر ط: بيروت.
١٥ - أصول الفقه لمحمد رضا المظفر. ط: القطيف، السعودية.
١٦ - الاعتقادات لابن بابويه. ط: طهران.
١٧ - اعلام الورى للطبرسي. ط: دار الكتب الإسلامية، طبعة ثالثة، ايران.
١٨ - اعيان الشيعة لمحسن الأمين ط: بيروت.
١٩ - الأغاني للأصفهاني ط: بيروت، لبنان.
٢٠ - الأمالي لابن بابويه القمي. ط: بيروت.
٢١ - الأمالي للطوسي ط: قم، ايران.
٢٢ - أمالي المرتضى. ط: بيروت ١٣٨٧هـ.
٢٣ - الامام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر. ط: بيروت.
٢٤ - أمل الآمل.
٢٥ - أمير المؤمنين لمحمد جواد الشرى.
٢٦ - الانتصار للمرتضى. ط: نجف، ١٣٩١هـ.
٢٧ - أنساب بيوتات قاين. ط: طهران، ايران.
٢٨ - الأنوار النعمانية للجزائري. ط: تبريز.
٢٩ - الايقان المحلي.
٣٠ - الايقاظ من الهجعة للحر العاملي. ط: قم، ايران ١٣٨١هـ.
٣١ - الباكورة السليمانية ط: بيروت.
٣٢ - بحار الأنوار للمجلسي. ط: قديم، ايران.
٣٣ - بشارة المصطفى لأبي جعفر. ط: نجف.
٣٤ - تاريخ الامامية لعبد الله فياض. ط: بيروت، لبنان.
٣٥ - تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري. ط: قم، ايران.
٣٦ - تاريخ ما بعد الظهور لمحمد الصدر. ط: بيروت.
٣٧ - تاريخ طراز مذهب مظفري. ط: ايران.
٣٨ - تاريخ العلويين للطويل. ط: بيروت.
٣٩ - تاريخ اليعقوبي. ط: بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٠ - تأسيس الشيعة للعلوم الاسلامية للسيد حسن الصدر. ط: بيروت.
٤١ - تبصرة المعلمين لابن المطهر الحلي: مجمع الذخائر الاسلامية، ايران.
٤٢ - تتمة المنتهى للعباس القمي. ط: ايران.

٤٣ ـ تحف العقول عن آل الرسول للمرانى ط: نجف ١٣٨٠هـ.
٤٤ ـ تحفة الأحباب. ط: ايران.
٤٥ ـ تفسير البرهان للبحرانى. ط: قم، ايران.
٤٦ ـ تفسير البصائر لرستكار. ط: ايران.
٤٧ ـ تفسير العياشى. ط: ايران.
٤٨ ـ تفسير العسكرى. ط: الهند، القديم.
٤٩ ـ تفسير فرات الكوفى. ط: قم، ايران.
٥٠ ـ تفسير القمى. ط: نجف ١٣٨٦هـ.
٥١ ـ تفسير الصافى للفيض الكاشانى. ط: كبير ايران.
٥٢ ـ تفسير الكاشف للمغنية. ط: بيروت.
٥٣ ـ تفسير مجمع البيان للطبرسى. ط: بيروت.
٥٤ ـ تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشانى. ط: طهران، ايران.
٥٥ ـ تفسير الميزان للطباطبائى. ط: بيروت.
٥٦ ـ تفسير نور الثقلين للحويزى. ط: قم،
٥٧ ـ تلخيص الشافى للطوسى. ط: ايران.
٥٨ ـ التنبيه والاشراف للمسعودى. ط: ايران.
٥٩ ـ جامع الرواة للاردبيلى الحائرى. ط: قم، ايران ١٤٠٣هـ.
٦٠ ـ جامع السعادات للنراقى. ط: بيروت.
٦١ ـ الجامع فى الرجال للزنجانى. ط: قم،
٦٢ ـ جلاء العيون للمجلسى. ط: طهران، ايران.
٦٣ ـ حجة اثنا عشرى لحقكو فارسى. ط: ايران.
٦٤ ـ حديقة الشيعة للمقدسى الاردبيلى. ط: طهران، ايران.
٦٥ ـ حق اليقين للمجلسى. ط: طهران.
٦٦ ـ حق اليقين فى معرفة أصول الدين لعبد الله الشبر. ط: ايران.
٦٧ ـ حلية المتقين للمجلسى. ط: طهران.
٦٨ ـ حملة حيدري للمرزه بازل. ط: ايران.
٦٩ ـ حياة القلوب للمجلسى. طهران، ايران.
٧٠ ـ الخلاصة للحلى.
٧١ ـ دائرة المعارف الشيعية لحسن الأمين. الطبعة الثانية ١٣٩٣ بيروت.
٧٢ ـ دعوة الحق وقول الصدق للصافى. ط: بيروت.
٧٣ ـ دلائل الصدق للمظفر.
٧٤ ـ ذخائر العقبى. ط: بيروت.
٧٥ ـ ذرائع البيان للنحفى. ط: ايران.

٧٦ ـ رجال الكشى. ط: كربلاء.
٧٧ ـ رجال الطوسى. ط: نجف، ١٣٨٠.
٧٨ ـ رجال النجاشى. ط: قم، ايران.
٧٩ ـ رجال أبى داؤد.
٨٠ ـ الرسائل للخمينى. ط: قم، ايران ١٣٨٥هـ.
٨١ ـ روضة الواعظين للفتال النيسابورى. ط: قم، ايران.
٨٢ ـ روضة الصفا فارسى. ط: ايران.
٨٣ ـ روضات الجنات للخوانسارى. ط: قم،
٨٤ ـ رياحين الشريعة للمحلاتى. ط: ايران.
٨٥ ـ رياض العلماء.
٨٦ ـ الشافى للشريف المرتضى. ط: ايران.
٨٧ ـ شرائع الأسلام للحلى. ط: ايران.
٨٨ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد. ط: بيروت
٨٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن الميثم. ط: ايران.
٩٠ ـ شرح نهج البلاغة للدنبلى. ط: ايران.

٩١ ـ شرح نهج البلاغة لعلى النقى. ط: ايران.
٩٢ ـ شرح نهج البلاغة للكاشانى. ط: ايران.
٩٣ ـ الشيعة فى عقائدهم واحكامهم للقزوينى. ط: الكويت.
٩٤ ـ الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين. ط: الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٩٥ ـ الشيعة فى الميزان للمغنيه. ط: بيروت.
٩٦ ـ شيعة در إسلام للطباطبائى. ط: ايران.
٩٧ ـ الشيعة بين الحقائق والأوهام لمحسن الأمين. ط: الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٩٧هـ.
٩٨ ـ الصافى للقزوينى فى شرح أصول الكافى.
٩٩ ـ الصراط المستقيم للنباتى. ط: الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ايران.
١٠٠ ـ الصحيفة الكاملة لزين العابدين. ط: بيروت.
١٠١ ـ الصلح الحسن لآل ياسين. ط: ايران.
١٠٢ ـ الصلة بين التصوف والشيعة. ط: بغداد.
١٠٣ ـ الطرائف فى معرفة مذاهب الطوائف لابن طاؤس. ط: قم، ايران ١٤٠٠هـ.
١٠٤ ـ طرائق الحقائق للحاج معصوم على. ط: ايران.
١٠٥ ـ عمدة الطالب فى أنساب آل ابى طالب.
١٠٦ ـ عمدة الشيعة فى الامامة لمحمد باقر الشريعتى. ط: قم، ايران.
١٠٧ ـ علل الشرائع لابن بابويه القمى ط: بيروت، لبنان.
١٠٨ ـ علل الشرائع للصدوق ط: بيروت.
١٠٩ ـ علم أصول الفقه للمغنيه. ط: بيروت.
١١٠ ـ عين الحياة للمحلى. ط: ايران.
١١١ ـ عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمى. ط: طهران، ايران.
١١٢ ـ عيون الأخبار وفنون الآثار للقرشى بيروت.
١١٣ ـ عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمى. ط: طهران، ايران.
١١٤ ـ الغارات للثقفى. ط: ايران.
١١٥ ـ فرق الشيعة للنوبختى. ط: كربلاء.
١١٦ ـ الفصول المهمة للحر العاملى. ط: قم.
١١٧ ـ الفصول المهمة فى معرفة الأئمة لابن الصباغ. ط: ايران.
١٨ ـ فضائل أمير المؤمنين لمحمد حسن المظفر.
١١٩ ـ فقه القرآن للراوندى. ط: قم، ايران ١٣٩٩هـ.
١٢٠ ـ فقه الشيعة للقزوينى. ط: ايران.
١٢١ ـ الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للشيبى. ط: بغداد ١٣٨٦هـ.
١٢٢ ـ الفهرست للنجاشى. ط: نجف،
١٢٣ ـ الفهرست لابن النديم. ط: بيروت لبنان.
١٢٤ ـ فهرست لابى القاسم الابراهيمى. ط: ايران.
١٢٥ ـ الفوائد الرضوية للقمى. ط: ايران.
١٢٦ ـ الفوائد المدنية للاستر آبادى. ط: ايران.
١٢٧ ـ قرب الاسناد للحميرى القمى. طهران،
١٢٨ ـ قصص الأنبياء للراوندى. ايران.

١٢٩ ـ قصص الأنبياء للجزائرى. ط: بيروت.
١٣٠ ـ الكافى للكلينى. ط: طهران، ايران.
١٣١ ـ كامل الزيارات لابن قلويه. ط: ايران.
١٣٢ ـ كتاب سليم بن قيس العامرى. ط: بيروت ١٤٠٠هـ.
١٣٣ ـ كتاب الخصال لابن بابويه القمى. ط: طهران، ايران ١٣٨٩هـ.
١٣٤ ـ كتاب الغيبة للطوسى. ط: ايران.
١٣٥ ـ كتاب الغيبة للنعمانى. ط: ايران.
١٣٦ ـ كتاب كمال الدين والنعمة لابن بابويه. ط: طهران طبعة ثانية ١٣٩٥هـ.
١٣٧ ـ كتاب الخرائج والجرائح للراوندى. ط: ايران.
١٣٨ ـ كتاب المناقب لابن شهر آشوب. ط: قم، ايران.
١٣٩ ـ كتاب الخلاف للطوسى، ط: قم، ايران.
١٤٠ ـ كتاب الرجال للحلى. ط: نجف ١٣٨١هـ.
١٤١ ـ كتاب الشيعة والسنة فى الميزان لمؤلف مجهول. بيروت لبنان.
١٤٢ ـ كتاب البلدان لليعقوبى. ط: مصر.
١٤٣ ـ كشف الغمة للاردبيلى. ط: بيروت.
١٤٤ ـ كتاب صفين لابن مزاحم. ط: بيروت.
١٤٥ ـ كشف الأسرار عن وجه الغائب عن الابصار للنورى الطبرسى. ط: قم ١٤٠٠هـ.
١٤٦ ـ كتاب الزهد للاهوازى. ط: ايران ١٤٠٢هـ.
١٤٧ ـ لغت نامه دهخدا. ط: طهران.
١٤٨ ـ متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب ط: قم، ايران.
١٤٩ ـ مجالس المؤمنين للشوسترى ط: ايران.
١٥٠ ـ المجالس السنية لابن شهر آشوب ط: ايران.
١٥١ ـ مجمع البيان للطبرسى. ط: بيروت لبنان.
١٥٢ ـ المحاسن للبرقى. ط: قم ايران الطبعة الثانية.
١٥٣ ـ مدارج نهج البلاغة لكاشف الغطاء ط: بيروت.
١٥٤ ـ مرآة العقول للمجلسى. ط: قديم ايران.
١٥٥ ـ مروج الذهب للمسعودى. ط: بيروت.
١٥٦ ـ المراجعات لشرف الدين الموسوى.
١٥٧ ـ مستدرك الوسائل للنورى الطبرسى. ط: مكتبة دار الخلافة، طهران.
١٥٨ ـ مصائب النواصب للشوسترى، ايران.
١٥٩ ـ مشجر الأولياء لنور بخش، باكستان.
١٦٠ ـ مشارق أنوار اليقين للبرسى. ط: بيروت ١٩٧٨م.
١٦١ ـ مصحف الدروز.
١٦٢ ـ معالم الأصول لجمال الدين. ط: ايران.
١٦٣ ـ معراج السعادة للنراقى. ط: ايران.
١٦٤ ـ معالم العلماء.
١٦٥ ـ معاشر الأصول.
١٦٦ ـ معجم المؤلفين للكحالة ط: بيروت.
١٦٧ ـ مع الشيعة الامامية للمغنية. ط: بيروت.
١٦٨ ـ مفاتيح الجنان. ط: ايران.

١٦٩ - المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي. ط: طهران ١٩٦٣م.
١٧٠ - مقاتل الطالبين للاصفهاني. ط: بيروت.
١٧١ - مقتل أبي مخنف. ط: بيروت.
١٧٢ - من لا يحضره الفقيه لابن نابويه القمي. ط: طهران.
١٧٣ - منار الهدى لعلي البحراني.
١٧٤ - منتهى الآمال للعباس القمي. ط: طهران، ايران.
١٧٥ - منهاج الكرامة للحلي. أوفست باكستان ١٣٩٦هـ.
١٧٦ - ناسخ التواريخ للميزره تقي خان. ط: قديم ايران.
١٧٧ - النجم الثاقب للنوري الطبرسي. ط: نجف.
١٧٨ - نهاية الدراية.
١٧٩ - نقد الرجال للتفرشي. ط: ايران.
١٨٠ - نقد الرجال. ط: ايران.
١٨١ - نهج البلاغة بتحقيق صبحي صالح. ط: بيروت.
١٨٢ - نهج البلاغة، بتحقيق محمد عبده. ط: مصر.
١٨٣ - هوية التشيع لأحمد الوائلي. ط: بيروت.
١٨٤ - وسائل الشيعة للحر العاملي. ط: بيروت.

كتب التاريخ والرجال والفرق للسنة

١٨٥ - أساس البلاغة للزمخشري المعتزلي.
١٨٦ - أسد الغابة لابن الأثير.
١٨٧ - ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولي الله.
١٨٨ - الاصابة لابن حجر.
١٨٩ - أصول الدين للبغدادي.
١٩٠ - أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان.
١٩١ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي. ط: الأزهر، قاهرة ١٣٩٨هـ.
١٩٢ - الاكمال لابن ماكولا.
١٩٣ - الأنساب للسمعاني.
١٩٤ - أنساب الأشراف للبلاذري.
١٩٥ - البداية والنهاية لابن كثير. ط: بيروت.
١٩٦ - البابية للمؤلف.
١٩٧ - البهائية للمؤلف.
١٩٨ - التاريخ الصغير.
١٩٩ - تاريخ بغداد للخطيب.
٢٠٠ - تذكرة الحفاظ للذهبي.
٢٠١ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. ط: حيدر آباد، دكن، الهند.
٢٠٢ - تقريب التهذيب. بيروت.
٢٠٣ - تاريخ ابن عساكر.
٢٠٤ - تهذيب تاريخ ابن عساكر.
٢٠٥ - تاريخ دمشق.
٢٠٦ - تاريخ الأمم والملوك للطبري. ط: بيروت.
٢٠٧ - تاريخ ابن خلدون. ط: بيروت ١٣٩٩هـ.
٢٠٨ - تاريخ الخلفاء للسيوطي.
٢٠٩ - تاريخ خليفه بن خياط.
٢١٠ - التبصير في الدين للاسفرائيني.
٢١١ - تاج العروس للزبيدي.
٢١٢ - تثبيت دلائل النبوة للهمذاني.
٢١٣ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم.
٢١٤ - الحور العين.
٢١٥ - خلاصة تهذيب الكمال.
٢١٦ - الخطط للمقريزي.
٢١٧ - دائرة المعارف الاسلامية اردوط: لاهور.

٢١٨ - سير أعلام النبلاء للذهبي.
٢١٩ - السيرة لابن هشام.
٢٢٠ - الشيعة والقرآن للمؤلف باكستان
٢٢١ - الشيعة والسنة للمؤلف باكستان
٢٢٢ - الشيعة وأهل البيت للمؤلف.
٢٢٣ - الصحاح للجوهري.
٢٢٤ - الصواعق المحرقة لابن حجر المكي.
٢٢٥ - الطبقات لابن سعد.
٢٢٦ - طائفة الدروز لمحمد كامل حسين.
٢٢٧ - العواصم من القواصم.
٢٢٨ - الفصل بين الملل والنحل لابن حزم.
٢٢٩ - فتاوى شيخ الاسلام لابن تيمية.
٢٣٠ - فجر الاسلام لأحمد أمين.
٢٣١ - فتوح البلدان للبلاذري.
٢٣٢ - القاموس للفيروز آبادي.
٢٣٣ - كتاب الكنى والاسماء للدولابي.
٢٣٤ - كتاب الجرح والتعديل للرازي.
٢٣٥ - كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي.
٢٣٦ - كتاب المجروحين لابن حبان.
٢٣٧ - الكامل لابن الأثير.
٢٣٨ - كتاب المحبر للبغدادي.
٢٣٩ - لسان الميزان لابن حجر.
٢٤٠ - لسان العرب لابن المنظور الأفريقي.
٢٤١ - ميزان الاعتدال للذهبي.
٢٤٢ - مقدمة ابن خلدون.
٢٤٣ - منهاج السنة لابن تيمية.
٢٤٤ - مقالات الاسلاميين للأشعري.
٢٤٥ - الملل والنحل للشهرستاني.
٢٤٦ - موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية للتهانوي. ط: بيروت.
٢٤٧ - مختصر التحفة الاثنى عشرية للآلوسي.
٢٤٨ - معجم مقاييس اللغة.
٢٤٩ - المخصص لابن سيده.
٢٥٠ - النهاية لابن الأثير.
٢٥١ - النجوم الزاهرة للتغرى البردى.
٢٥٢ - نسب قريش لمصعب الزبيري.
٢٥٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان.

كتب المستشرقين

٢٥٤ - الخوارج والشيعة لولهوزن ترجمة عربي.
٢٥٥ - عقيدة الشيعة لدونالدسن ترجمة عربي.
٢٥٦ - العقيدة والشريعة لجولدزيهر ترجمة عربي.
٢٥٧ - مقالات في تاريخ الاسلام للدوزي.
٢٥٨ - كتاب المستشرق ملر.
٢٥٩ - مقدمة نقطة الكاف للبراؤن. ط: فارسي.